الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهـــــــــــــران

كلية العلــــــــوم الاجتماعية

قسم الفلسفـــــــــة

البراغماتية الجديدة

في فلسفة ريتشارد رورتي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة

تقديم الطالــــــــب: إشراف الأستاذ الدكتـــــــــور:

* بشير خليــفي * الحسيــن الــزاوي

لجنة المناقشة :

أ . د – محمد مولفي	جامعة وهران	رئيسا
أ . د – الحسين الزاوي	جامعة وهران	مؤطرا و مقررا
أ . د – عبد الرحمان بوقاف	جامعة الجزائر	مناقشا
د – حميد حمادي	جامعة وهران	مناقشا
د – محمد جديدي	جامعة قسنطينة	مناقشا
د – رشيد دحدوح	جامعة قسنطينة	مناقشا

السنــــة الجامعيـــــة: 2010 / 2009

إهـــــــداء

إلى فضاءات الإلهام ...

أريج حب لا يعرف الانقضاء

بشير خليفي

شكر و تقدير

يسعدني أن أفتح قلبي و أسكب لغته التي يتعذر على قلمي اختزالها موجها أسمى شكري و تقديري إلى :

- أبي و أمي إحسانا و خفض جناح ، كل الحب على العناية و الدعاء و التعضيد
- زوجتي قرة عيني التي بدونها ما استطعت للكتابة صبرا
- أستاذي الفاضل الدكتور الحسين الزاوي ...تقديرا و عرفانا
- أساتذتي الذين علموني ... بدءا من شدوا على أناملي ليرسخوا في ذاكرتي حروف الأبجدية ... و صولا إلى الذين ساعدوني في إنجاز هذا البحث و إخراجه إلى النور
- عائلتي و أصدقائي الذين يكبرون في عيني يوما بعد يوم ... و الذين شكلوا لي السند و الأمل بأسئلتهم و تشجيعاتهم في إخراج هذا البحث

مقدمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة

إن التفكير الفلسفي ليس أمرا جاهزا و معطى ، و إنما يكون نفسه – في إطار أولي – بقدر التطور الحاصل في المعرفة الفلسفية نفسها .

و الواقع أن الفلسفة كخطاب معرفي يتجه أساسا لاستقصاء الإنسان و محيطه من خلال اكتساب المعرفة المساعدة على حل التباساته و إشكالاته ، سيستفيد من الواقع المعرفي الحاصل في بيئة التفلسف ، بمعنى أن تطور الأداء الفلسفي في شكله العام رهين بالإرادة المطبقة للذات المفكرة و كذا بجملة الشروط الموضوعية المتوفرة .

وفق هذا السياق تقدم الفلسفة الأمريكية المعاصرة نفسها اليوم كحالة بحث متفردة تغتني بالإنتاجات المعرفية للرعيل الفلسفي الأول ، من خلال تأكيـــــدها على قضية استئنـــــــــــاف القـــــول و الفعل الفلسفي ، زيادة على انفتاح جزء كبير منها على التجارب الفلسفية عبر سجال معرفي أصبح يعرف في شكله العام بالفلسفة القارية .

إن الحضور المتميز الذي تبرر به الفلسفة الأمريكية المعاصرة وجودها ضمن السياق الفلسفي العام ، عائد بالأساس إلى جدتها كحراك فلسفي لا يستند في كل تفاصيله إلى معطى التاريخ الفلسفي ، زيادة على وجودها في بيئة عرفت أهم الاكتشافات المعرفية و الاختراعات العلمية .

و الواقع أننا كأفراد غالبا ما نحوز على الرغبة في التطلع المعرفي ، ننجذب بدافع الرغبة في الفهم إلى كل تيار معرفي يتسم بطابع الجاذبية و التأثير على الحوادث التاريخية و الوقائع الاجتماعية .

كما ننجذب أيضا إلى كل إسهام فلسفي عمد صاحبه إلى إحداث الفاعلية و الفرادة عبر إنتاجه المعرفي على مستوى الموضوع و المنهج ، و كذا من خلال أطروحات تحوز على الكفاءة في

إحداث التماهي أثناء عملية الأداء الفلسفي بين استعاب الواقع بكل مضامينه و تملك أبجديات الإرث الفلسفي المؤهلة للإجادة و الإبداع في طرح الأفكار ، بالشكل الذي يسعف المفهوم أثناء الدلالة بالجمع بين حصول المعنى و التمكن من اللغة الفلسفية .

في هذا الإطار جاء اهتمامنا بالفلسفة الأمريكية بشكل خاص كحلقة جديدة تضاف بشكل حفري و بنائي إلى اهتمامات سابقة بالفلسفة التحليلية و الأنجلوسكسونية بشكل عام .

و على الرغم من حداثة الاشتغال الفلسفي في أمريكا مقارنة بما هو حاصل عند أصحاب الإنتاجات الفلسفية الذين يحوزون على تقاليد و خلفيات تاريخية ممتدة إلى عصور موغلة في القدم كما هو حاصل في أوروبا مثلا ، فقد تبدى لنا مشروع البراغماتية الجديدة أو المحدثة من خلال فلسفة ريتشارد رورتي (Richard Rorty) الفضاء المناسب للبحث و الاستقصاء بغرض الاطلاع على أبجديات الفلسفة الأنجلوسكسونية في شكلها العام ، و الحراك الفلسفي الدائر في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص .

و ذلك من خلال تقفي المسار المعرفي لرورتي نفسه ، إذ أنه بدأ على مستوى الاحتراف فيلسوفا تحليليا منتميا بشكل واضح إلى المجال اللغوي الذي يرى من خلاله أن المهمة الأساسية للفلسفة ترتبط في عمومها بتحليل الفكـــــــــر الذي لا يمكن أن يـــــــــدرك إلا من خلال لغة توضحه و تجليه .

بيد أن الفلسفة التحليلية لم تستطع أن تمد ريتشارد رورتي بمختلف الآليات الفكرية الأساسية التي تمكنه من النظر إلى الواقع المادي في شقه الاجتماعي خصوصا ، و كما كان حال اغلب التحليليين الذين تحولـــــــوا إلى براغمـــــــــــاتيين – كما يقر جيرارد دولودال (G . Deledalle) – لم يجد رورتي فكاكا عن هذا التحول أو العودة إلى الأصول المعرفية الأولى ، مستفيدا في ذلك بإرثه في الفلسفة التحليلية و كذا من ثقافته المتنوعة ، خصوصا و أنه كان محاضرا في الأدب المقارن ، زيادة على إطلاعه و تفتحه على فلسفات عديدة من خلال انخراطه في النشاط الفلسفي الذي تبنته الفلسفة القارية .

و الواقع أن تأجيج و إذكاء الرغبة السابقة كان نتيجة قلة الدراسات و نذرتها فيما يتعلق بالفلسفة الأمريكيـــــــة بشكل عام و البراغماتية الجـــــــديدة و كذا فلسفـــــــــة رورتي بشكل خاص ، و الحديث عن الندرة و القلة مرتبط بالإنتاج الفلسفي في اللغة العربية ، فعدا الإنتاج المتقن الذي قام به الدكتور محمد جديدي من خلال كتابه الحداثة و ما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي ، و كذا الفصل الذي خصصه الباحث الزين محمد شوقي في كتابه تأويلات و تفكيكات و الشيء نفسه بالنسبة للباحثة عطيات أبو السعود في كتابها الحصاد الفلسفي للقرن العشرين ، إضافة إلى الملف الذي خصص لرورتي في مجلة أوراق فلسفيـــــــة العدد الخامس و العشرين ، و كذا إسهامات المفكر اللبناني على حرب و المصري صلاح إسماعيل و المغربي الذهبي المشروحي ، لا نكاد نجد في المكتبة العربية دراسات تفي بالغرض و بالحاجة الملحة لفهم انتاجات هذه الفلسفة باعتبارها تراثا إنسانيا .

و انطلاقا من قضية العنوان ، فإن الدراسة في منحاها العام ستتجه منهجيا و معرفيا للإجابة عن الإشكالية التالية : هل استطاع ريتشارد رورتي أن يبدع – عبر إنتاجه المعرفي الموسوم بالبراغماتية الجديدة – تيارا فكريا يجاور في خصائصه و

مواصفاته البراغماتية الكلاسيكية ، أم أن الأمر لا يعدو كونه شكلا جديدا لفلسفة تحتفي بالتسمية و تتأسس على قراءة إجرائية للفكر و الواقع ؟ .

و كان لابد لتحليل الإشكالية المركزية السابقة من طرح أسئلة جزئية بغرض تشكيل هاجس معرفي يتجه إلى استعاب التصور العام اعتمادا على تفصيل الوحدات و تفكيك البنيات وفق المضامين الاستفسارية التالية : هل كانت براغماتية رورتي استجابة لضرورة معرفية أم عبرت عن نزوع لتأسيس معرفي ؟ و هل تشير براغماتية رورتي الجديدة إلى كل فلسفته ؟ ثم ما هي الخصائص الجوهرية التي تنفرد بها ؟ و ما هي مواضيع تطبيقاتها ؟ و أخيرا : هل حقق هذا المشروع الفلسفي أهدافه المعرفية ؟ .

و مرد طرح الإشكالية السابقة و الإشكالات الجزئية عائد بالأساس إلى النقاش الشديد الحاصل بين رورتي و المناوئين لمشروعه الفلسفي و كذا بين المهتمين بفلسفته من المعارضين و المساندين ، أي بين من يعتبرونه من خلال مشروعه علامة فارقة في تاريخ الفكر الفلسفي الأمريكي و أبرز فيلسوف أنجبته أمريكا على مستوى الشهرة و الإجادة بعد ديوي ، و من يرونه دلالة على عصر مضطرب أعاد من خلاله إبراز النزعة السفسطائية بثوب جديد .

إن البحث في الإشكالية الأساسية و في فروعها الجزئية مرهون بالعمل على تحقيق الهدفين المعلنين التاليين : أولا : قراءة مشروع البراغماتية الجديدة وفق النسخة التي أبدعها رورتي مباشرة من مصادرها ، مع الاستعانة بالنصوص الموازية بغرض تعميق الفهم و توسيع الإدراك ، و ثانيا : محاولة الفهم الموضعي للبراغماتية الجديدة كإنتاج معرفي ضمن سياقين شاقولي باعتبارها نسخة ثانية لبراغماتية سابقة ، و على المستوى الأفقي في إطار الإنتاجات الفلسفية الأخرى .

و بغرض تحقيـــق هذه الأهداف و تقفـــي مســـــار معالجة الإشكاليـــــة و كنتيجـــــة لتبريرات و مقتضيات معرفية و منهجيـــــة تم ترتيـــــــب هذا البحـــــــث و توزيــــــع عناصره على الفصول و المباحث وفق الطريقة التالية :

الفصل الأول خصصناه لدراســة الأصول الفلسفية للبراغماتية من البدايات إلى الطرح الجديد ، حجتنا في ذلك أن دراسة الطرح الجديد لابد أن تسبق بأسناد و خلفيات تتمظهر كدعائم منهجية و معرفيـــــة ، و لن يتم ذلك في موضوعنا دون التطرق إلى مفهوم البراغماتية و كذا إلى طبيعة الفهم الفلسفي للبراغماتية من خلال تصور المؤسسين .

كما ركزنا على الخلفية العلمية و المنطلقات الفلسفية للبراغماتية و ذلك بغرض فهم طبيعتها الأولى و فك أسرار توجهاتـــــها المعرفية اللاحقـــــة ، كما تم البحث أيضـــا في ظروف نشأتهـــا و عوامل تطورها ، إضافة إلى وضعيتها ضمن المنظومة المعرفية للاتجاهات الفلسفية في أمريكا .

و بغرض إدراك الخصوصية الفلسفية للبراغماتية ، تم استقصاء الخصائص الأساسية للبراغماتية في شكلها العام ، زيادة على تقفي مراحل تطورها وصولا إلى الطرح المعاصر المعروف بالبراغماتية الجديدة .

أما **الفصل الثاني** المعنون بالخصوصية الفلسفية للبراغماتية الجديدة ، فقد عرضنا فيه المسار الحياتي و الفكري لريتشارد رورتي ، كما قمنا بضبط التصور العام للبراغماتية الجديدة من خلال التركيز على مفهومها مع إبراز ملامح الجدة فيها .

كما حددنا المظاهر العامة لبراغماتيـــــة رورتي الجديـــدة ، بالشكل الذي يمكننا من معرفة طبيعة تصوره المعرفـــي من خــــلال تحليل المفاهيــــم الأساسية

التي تستند عليها طروحاته المعرفية ، إضافة إلى ذلك فقد كان لزاما علينا أن نستقصي و نحلل الخلفية الفلسفية في شكلها العام التي شكلت الأسناد و الدعائم المنهجية و المعرفية للبراغماتية الجديدة .

و في **الفصل الثالث** المعنون بالفلسفـــــة و اللغة في البراغماتيـــــــة الجديــــدة ، قمنــــــا بعرض و تحليل و إبراز أهم المسائل الفلسفية التي تساعد في التعرف على البراغماتية الجديدة كما تصورها رورتي ، وذلك بعرض و تحليل مفهومه للفلسفة و تصوره لأداءات الفيلسوف .

و في مبحث آخر أبرزنا أعراض التحول الملازمة لهذا المشروع الجديد ، إن على مستوى مفهوم الحقيقة أو على مستوى توسيع الإطار المعرفي ، و ذلك بالخروج من الضوابط النسقية المستندة على التفسير المرآوي للمعرفة بمقابل الاتجاه نحو فلسفات التشكيل المفتوح المماهية للطرح الشاعري .

و طالما أن الاشتغال الفلسفي باللغة و حول اللغة يشكل هاجسا أساسيا في التصور البراغماتي الجديد ، فقد خصصنا المبحث الثالث لمسالة فلسفة اللغة عند رورتي ، و كذا مبررات الانعطاف التي حصلت حينما تم الانتقال من الخبرة كدعامة أساسية في التصور الكلاسيكي إلى اللغة كعلامة فارقة في التصور الجديد ، إضافة إلى التفصيل في الشكل الذي تم به توظيف اللغة سواء على الصعيد الاجتماعـــــي من خلال تقويض اللغة المثالية ، أو على الصعيد الفردي و ذلك من خلال التعرف على ملامح الكتابة الفلسفية التي يستند إليها رورتي .

و فيمـــــــا يتعلـــق بمباحث **الفصل الرابع** الذي عنوناه بالدين و السياسة في البراغماتية الجديدة ، و الذي أردنا من خلاله التعرف على طبيعة التعامل الفلسفي للبراغماتية الجديدة مع أهم المسائل إثارة و تأثيرا سواء على صعيد المعالجة الفلسفية

التي قام بها رورتي ، أو على صعيد الأسئلة و التحديات المفروضة من هذين الموضوعين .

ففي المبحث الأول تم التعرض لفلسفة الدين رورتي بعرض مفهومه للدين و كذا تصوره لشكل الممارسة الدينية من خلال وضعية الدين ضمن إطار المحادثة ، إضافة إلى تحديد طبيعة علاقته مع السياسة .

أما في المبحث الثاني فقد تم البدء بنقطة نهاية المبحث السابق ، و ذلك بتوضيح شكل الفهم السياسي الذي تتبناه براغماتية رورتي الجديدة من خلال التعرض لنمط الليبرالية الذي يتصوره رورتي أثناء تأكيده على أهمية الديمقراطية في الحياة الاجتماعية بما في ذلك أسبقيتها على الفلسفة .

كما تم البحث في نماذج تطبيقية ضمن إطار فلسفته السياسية ، في ضوء نقده لليسار و كذا رفضه للاستبدادات التكنوعلمية .

و في سياق آخر قمنا بوصف و تحليل تصور رورتي لسؤالي حقوق الإنسان و العدالة ، ضمن إطار منظومة متفاعلة تستند أساسا إلى الملامح العامة المعلنة لفلسفته ، زيادة على طبيعة الحوادث في صيغتها التشابكية و التي تفرض حضورها هي الأخرى أثناء المعالجة و التوصيف ، و مثال ذلك إحداث التفاعل أثناء التعامل مع سؤال العدالة انطلاقا من الخلفية المعرفية التي يستند غليها رورتي ، إضافة إلى إسهامات معرفية أخرى مثل التزود بتجربة جون راولس ، زيادة على الاستفادة من معطى التاريخ كالذي وقع في بوسنيا في نهاية القرن الماضي .

في حين خصصنا **الفصل الخامس** – الذي حمل عنوان البراغماتية الجديدة بين رهانات الحاضـــــــر و أسئلة المستقبل – للدراســـــــة النقديـــــة التي تـــــدور في معظمـــــها بين طرفي التأييد و التفنيد .

فعبر مبحث استقصاءات فلسفية قمنا بمناقشة القناعات الفلسفية التي يحوزها رورتي سواء عن الفلسفة و شكل إستمراريتها عبر ما يسمى بثقافة ما بعد الفلسفة ، أو عن سمات اللغة الفلسفية التي تحمل المضامين الفكرية في جدلها المستمر المرتبط بتجاذبات الصرامة و الشاعرية .

أما في موضوع نظرية المعرفة ، فقد تم التساؤل عن الجديد الذي تقدمه المحادثة كوسيلة للإنتاج المعرفي ، في ظل رفض رورتي للجوانب التأسيسية التي بنيت عليها نظرية المعرفة في سياقهـــــا التقليـــــدي ، زيادة على معالجة حدود المعرفة عند رورتي في إطار النزاع النسبي و النسبوي .

كما أشرنا في المبحـــــــث الثـــــــاني إلى طبيعـــــة الحضـــــور البراغمـــــــاتي في المجاليـــــــــن السياسي و الاجتماعي خصوصا أمام التحديات الكبيرة التي تفرضها النوازل السياسية و الاجتماعية ، الأمر الذي يجعل من استعاب الفلسفة للواقع أمرا متعذرا ، و هو الأمر الذي يتضح من خلال التحديات السياسية عبر إعلاء المنفعة و الحسابات الشخصية ، و كذا في الإطار الاجتماعي العـــــــام من خـــــــــلال الطبيعـــــة الاجتماعيـــــــة التي غالبا ما تحبذ الانكفـــــــاء في إطار ما هو فردي و خاص .

أما المبحث الثالث فقد تم فيه تفحص الموقف المعرفي للبراغماتية رورتي الجديدة من خلال وضع مقاربات معرفية بينها و بين المنطلقات الفلسفية الأساسية للحداثة و الحداثة البعدية و كذا مع المجتمع التداولي كإنجاز فلسفي أظهر فيه المفكر علي حرب اقترابه و

ملامسته لمفهوم المحادثة كما تصورها رورتي ، إضافة إلى محاولة التعرف على طبيعة البراغماتية الجديدة بين اعتبارها مدرسة فلسفية أو اتجاها فنيا شاعريا ، و أخيرا التعرف على موقعها ضمن إطار الفلسفة المعاصرة .

و كما بدأنا بحثنا بمدخل تمت موقعته بعد المقدمة مباشرة ليشكل البوابة الرئيسية للدخول إلى الموضوع عبر تمهيد يتعرض بالتحليل للملامح العامة للفلسفات الجديدة ، أنهيناه بخاتمة حاولنا من خلالها إحصاء أهم النتائج التي توصلنا إليها بالشكل الذي تبدو من خلاله إجابة عن الإشكالية المركزية و كذا جملة الإشكالات التي طرحت في المقدمة .

أما بخصوص المنهج المستخدم ، فإن البحث يستند في تصوره العام للمنهج التحليلي الذي يتأسس على تجزيء و تفكيك المعطيات العامة الظاهرة من خلال النصوص الفلسفية الأساسية بهدف تجليتها و فهمها بالشكل الذي يمكننا من تقفي أصولها و التفكير في مآلاتها .

و انطلاقا من عمومية منهجية التحليل من جهة ، و صعوبة الالتزام الحرفي بمنهج محدد سلفا من جانب آخر ، فقد قمنا في إطار المنهج التحليلي بتوظيف المنهج التاريخي الوصفي في تعقب بعض المشكلات الفلسفية بغرض فهم تطورها ، زيادة على استعمال منهج النقد و المقارنة و ذلك بعرض أفكار معينة على نصوص و استشهادات معرفية موازية بغرض إبراز حالات الاتفاق و الاختلاف .

هذا و ينبغي الإشارة إلى الصعوبات المتعددة القائمة كعائق حقيقي لانجاز هذا البحث ، إذ زيادة على عناء الشديد المميز للبحث العلمي بشكل عام و البحث الفلسفي على وجه الخصوص ، فإن الصعوبة الكبرى و التحدي الأكبر الذي عمد

الباحث إلى تذليله مرتبط أساسا بمغامرة توفير المصادر و المراجع المكتوبة باللغة الانجليزية – خصوصا – و التي تتناول فلسفة رورتي بالبحث و التحليل ، بمقابل غياب ذلك في المكتبات العربية إضافة إلى شبه انعدام هذا النمط من الدراسات ضمن إطار الفلسفة المكتوبة باللغة العربية .

و إذا كان كل بحث لا يخلـــــو من عوائـــــق و مصاعـــب طالـــما أن لكـــل بحث معرفي أفراحه و أحزانه ، فإن العزاء الأنسب لصاحبه و أقصى أمانيه أن يحقق هذا البحث أغراضه المعرفية المرجوة منه .

و الله من وراء القصد ، إليه الأمر كله و منه التوفيق .

بشير خليفي

مدخـــــــــــــــل

يدرك الملاحظ المتبصر لمعظم الأوراق المعرفية للفلسفة الغربية المعاصرة نزوعا واضحا نحو الجدة ، و إن كان البعض منها قد تحدث بمنطق الموت و الطرح القيامي ، فإن جزءا كبيرا راح يعيد فهم و استنطـــــــاق الإرث الفلسفي من خـــــــــــــلال طـــــرح أسئلة و إشكالات تدحض الخلود و السكون و تعطي لفعلي تفكيك وبناء النصوص أهمية بالغة .

الأمر الذي أدى إلى تبني تشكيل مفتوح لإبعاد كل نظام مغلق ، بدعوى الخروج عن تلك التمثلات و الأنساق الكبرى ، و ذلك من خلال الدعوة إلى الابتعاد عن التفكير انطلاقا من خلفية معرفية محددة سلفا تمد الفيلسوف بالإجابة و الموقف عن أي سؤال جديد .

إن النـــــــزوع نحو الجدة كمطلـــــب أساسي تبدى من خلال خطابات فلسفية على مستوى اللغـــــــــــة و الفكر ، كان مرده إلى طبيعة الوقائع الحاصلة و التي فرضت تجديدا لأدوات الفهم و تغييرا للعلاقات التي تجمع بين الذات العارفة و مواضيع المعرفة أو بين الكلمات و الأشياء .

و الواقع الفلسفات الجديدة أو المابعدية عمدت إلى تبرير طبيعتها الإنعطافية باختلافها مع القديم من خلال إيجاد منطقة مبتكرة للتفكير ، الأمر الذي يفرض السعي لتحقيق ممارسة ناجحة عبر إعادة النظر في الوسائل المفاهيمية و الممارسة الفكرية [1].

بيد أن عنصر الجدة في الفلسفة يحتاج بالضرورة إلى معرفة القديم و التعمق فيه بغرض تعديله أو تجاوزه ، فبين الجديد والقديم صراع أبدي مبني على رهان الوجود و راهنيته ، إذ ليس ثمة قديما لم يكن جديدا ، كما أن الجديد يستحيل عبر التداول و التوظيف إلى القديم ، و خلاصة القول أن الجديد يحتاج إلى قديم .

لقد أعلن الإصلاحي و الفيلسوف الأمريكي توماس باين (Tomas Paine) في كتابه الحس المشترك (Common sense) " أنه باستطاعتنا أن نبدأ العالم من جديد " ، مذكرا بأن إرادة الجدة تعني إرادة التغيير ، و الجديد كمطلب يحتاج إلى إرادة مطبقة تتجاوز حدود الإحساس إلى مستوى الفعل والممارسة .

لتكون الجدة متعالية عن غرض مناقضة القدامة كغاية وحيدة ، إذ الجدة ليست غاية في حد ذاتها ، بل مطالبا رئيسا تفرضه " تجاوز الصلاحية " بالنسبة لطرائق و آليات الفهم والممارسة في التعامل مع إشكالات الحياة و الوجود .

---

(1) البيطار نديم ، **فكرة المجتمع الجديد** ، بيسان للنشر و التوزيع و الإعلام ، بيروت، 2000 ، ص 38 .

فأن تكون فيلسوفا جديدا – حسب جاك دريدا في إحدى حواراته الصحفية – هو أن تكون دون جواز سفر أو أوراق ثبوتية بالشكل الذي يجعلك ممثلا لإرث الإنسانية .

أما بالنسبة لريتشارد رورتي في براغماتيته الجديدة ، فالجدة تكمن في إخراج الفلسفة من أزمتهـــــا الأساسية التي كانت تتمحور في دائرة إما أن تكون الأشياء على هذه الشاكلة أو لا تكون ، و هو الأمر الذي ترسب كماض ثقافي عبر قرون من الاشتغالات الفلسفية المؤسسة على منطق الثنائية [1].

داخل هذا السياق يجب الإشارة إلى أن الجدة الفلسفية تحتاج إلى ذات مبتكرة ، فطالما أن الجديد يحتاج إلى خلفية القديم باعتباره دحضا أو تصديقا أو تعديلا أو إبداعا ، فإنه يتطلب أساسا إعادة استنطاق مفاهيم القديم بهدف إستعابها ، زيادة على استقصاء المعطى الحركي للوضع المعرفي الذي أنتج الفلسفة أو المفاهيم المراد تعديلها أو تجديدها ، فالجديد يحتاج إلى تضحيات ، أهمها التضحية بالقديم بطريقة ما ، خصوصا و أن القديم كموضوع للعادة غالبا ما يمثل سلطة نفسية تدفع الذات إلى إبداء نوع من التوجس و الحيطة إزاء ما يعارضه .

إن رهان الفلسفة المعاصرة في بحثها عن مشروعية البقاء أمام التحديات التي فرضتها أنماط المعرفة المختلفة ، يبقى رهينا بدور الفيلسوف في التعامل مع الوقائع الجديدة ، و بالتالي القيام بدور محوري في إنتاج الفكر و صناعة المعرفة عن طريق " خلق واقع فكري جديد بإنتاج أفكار جديدة ، أو بتغيير نماذج التفكير ، أو بابتكار ممارسات فكرية

---

(1) Tartaglie James , **Guide Book in Rorty Mirror of Nature ,** Edition of Routelje philosophy , USA, 1 published , 2007 , P 41 .

جديدة ، أو بإعادة ابتكار الأفكار القديمة على أرض الممارسة و في أتون التجربة " [1]...

(1) حرب علي ، **أوهام النخبة أو نقد المثقف** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت و الدار البيضاء ، ط 3 ، 2004 ، ص ص 145 ، 146 .

الفصل الأول

<u>الفصل الأول:</u> الأصول الفلسفية للبراغماتية من البدايات إلى الطرح الجديد

<u>المبحث الأول:</u> في البراغماتية و تجلياتها : تحديدات مفاهيمية أولى

يستدعي مطلب التحليل الفلسفي أن يتم التعامل مع المفاهيم بكثير من الحذر ، فالمسألة لا تختزل إلى مجرد " لعب بالكلمات " أو تقديم " تهويم فضفاض " ، إنها فلسفـــــة واصفة تأخذ بعين الاعتبار خصوصية المفهوم في إحالته لمحطات حضارية معينة .

لاشك أن الطرح الأكاديمي يتماهى مع السعي الحثيث للاتسام بالموضوعية ، إذ أن منطلقات الإبداع الفلسفي التي تتمحور حول الشك والمرونة تثبت ضرورة التأكيد على هذه المحطات في إشارة إلى عدم الإقرار بضبط نهائي للمفاهيم وذلك للتطور والتجدد الحاصل في التفكير الفلسفي نفسه ، هذا الأخير الذي يشكل صرحا قابلا للبناء وإعادته وفق روح مرنة تعقد العزم على عدم الانقضاء ، وهو أمر يتماهى مع المطلب الإجرائي الذي نود تحقيقه في ضبط مصطلح البراغماتية كمفهوم فلسفي تماشيا مع ما تقتضيه المراجع الفلسفية المتخصصة والتي تتناول المصطلحات بالضبط والاستقصاء ، ثم التأكيد على التنوع ولكن هذه المرة في سياق أفقي لا يحيل إلى السمة الكرونولوجية وإنما إلى الحضور الواعي لهذا المفهوم بحسب تعريفه من طرف المؤسسين إما بشكل قصدي أو عن طريق الاستنتاج في ضوء المدخلات الموضوعية التي نجدها أساسا أثناء المعالجة للقضايا عبر المواقف والتحاليل .

إن التركيز على جيل المؤسسين جاء كاستجابة لمطلب منهجي ومعرفي بالنظر إلى المحايثة الحادثة عند كثير من الباحثين بين التعرف على البراغماتية كاتجاه فلسفي وقراءة أعمال المؤسسين لتحقيق فهم وتفهم تنوعاتها البعدية .

أولا : تعريف البراغماتية

تشير البراغماتية من زاوية الاشتقاق اللغوي إلى المصطلح ذي الأصل اليونانـــــي (pragma) الذي يعني الفعل (Action) بالمعنى الذي يحيل إلى المهارة والنجاعة [1].

وهي تعبر عن نزوع فلسفي عادة ما ينظر إليه بوصفه إنتاجا أمريكيا صرفا ، يتماهى وسمات الفرد الأمريكي أي كطبع وتقنية بتعبير جوزيف بلو [2].

بيد أن تمظهر المفهوم كوعي يتوطن عقول الأفراد لم يحل إلى صفة الحيادية في معظم الأحوال بسبب تعدد التأويل من الحديث عن الايجابية غير المحدودة وصولا إلى ربطها بالدهاء والميكيافيلية [3].

ويعتبر شارل سندرس بيرس (Charles Sanders Peirs) أول من استعمل هذا المصطلح ، مستعيرا إياه من الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط ، وهذا في مقاله الشهيـــــــر كيف نجعــل أفكارنــــــا واضحة (How to Made our Ideas Clear) سنة 1878 [4].

وقد " قفز " هذا المصطلح إلى ذهن بيرس من جراء دراسته لإمانويل كانط هذا الأخير " الذي ميز في كتابه ميتافيزيقا الأخلاق بين براغماتيك ، وبين عملي (Practical) ، فالعملي عند كانط ينطبق على القوانيـــــــــن الأخلاقية التي يعدها أولية

(1) James William , **Pragmatism** , Dover Philosophical Classics , New York, first published, 1995, P 18.
(2) Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy** , prentice Hall Philosophy Series , USA , Ninth Printing , 1966 , P 228 .

(3) جديدي محمد ، **فلسفة الخبرة : جون ديوي نموذجا** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2004 ، ص 16.

(4) Menand Louis , **Pragmatism ; A Reader** , Vintage books , New York , first edition , 1997 , P 26

، أما البراغماتيـــــــك فينطبــق علــــــى قواعـــــــد الفن والصيغة التي تعتمد على الخبرة وتقبل التجربة " [1].

وإن كانت البراغماتية داخل السياق الفلسفي لا تحيل إلى نظرية فلسفية مغلقة ، بالغة التدقيق ، إذ أن أفرادها لا يشكلون " حزبا معرفيا " بالمعنى الدوغمائي للكلمة وإنما تيارا فلسفيا ينطلق من فكرة مفادها أن قيمة الفكرة مرتبطة بنتائجها العملية ، من منطلق أن أي فكرة لا تؤدي محصولا في الواقع لا تحوز على مبررات البقاء [2].

ورغم أن الفهم العام يحيل إلى عنصر الفاعلية إلا أن تمظهر المفهوم لم ينف تعدد المعنى بتعدد السياقات ، من زاوية إشارته للذكاء – مثلا – كأداة للفعل والنجاح في الواقع ، وكذا إشارته إلى اعتبار النجاح الفعلي هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الحقيقة مما يحيل – حسب فهم نويلا باركان (Noella Baraquin) – إلى فهومات أساسية : يتمثل الأول في تغليب عنصر التحقق كحالة إثبات لمعرفة الأشياء بينمـــــا يحيل الثاني إلى تغليب المصلحـــــة بإحداث مماهاة بين المعرفة والمنفعة .

في حين يحيل الفهم الثالث إلى أن الملفوظات الوحيدة التي يمكن أن نتنبأ بصدقها التجريبي تحوز على المعنى وهي جائزة القبول في مجال الفلسفة [3].

كما يقر أندري لالاند (Andre Lalande) بأن مصطلح البراغماتية مفتوح على دلالات متعددة ترتبط أساسا بأفكار موريس بلوندال في الفعل (1893) على الرغم من

---

(1) الأهواني أحمد فؤاد ، **جون ديوي** ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1968 ، ص 84 .

(2) James William , **Pragmatism and meaning of truth** , Harvard University press , seventh printing , 1944 , p 32 .

(3) Baraquin Noella , **Dictionnaire de Philosophie** , Armand Colin , Paris , 2 édition , 2000 , P269 .

عدم إبداعه لهذا المصطلح إلا أن تركيزه على الفعل والممارسة أحال إلى فهمه بوصفه واقعا يتجاوز الظواهر والمجردات [1].

ويشير لالاند إلى سياق البراغماتية بوصفه إحالة إلى الفعل في إشارة منه إلى الاقتراب من الملموس حينما نتحدث عن الإنسان كحيوي ماهر أو عن الشيء من حيث نفعه ونجاعته .

ومن بين إحالات المعنى التي يتحدث عنها معجم لالاند : أولا : ارتباط المفهوم بالفعل والنجاح في الحياة بمقابل المعرفة النظرية والمجردة أو بمقابل الضرورات الأخلاقية .

وثانيا : بالمعنى التقريظي المتعلق بالحقيقي والناجح بمقابل ماهو كلامي [2].

ثانيا : ملامح الطرح البراغماتي عند المؤسسين

ا- تشارلز سندرس بيرس (1839- 1914) Charles Sanders Peirce

يقر المفكر الأمريكي جوزيف بلو (Joseph Bleau) أن فلسفة بيرس عسيرة على الفهم إذ ما قورنت ببقية الإسهامات داخل السياق البراغماتي نظرا لاستغراقها في التحليل وكذا لاحتوائها على مصطلحات وكلمات غريبة [3].

---

(1) Lalande André , **Vocabulaire Technique et Critique De La Philosophie** , P.U.F , 16 édition , 1988 , P806 .
(2) Ibid , P 802 .
(3) Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy,** P 241.

ويعتبر بيرس فيلسوف البراغماتية الأول ، من منطلق استعماله المتقدم للمصطلح وكذا اعتباره واضع " خارطة طريق النهج البراغماتي " خصوصا من خــــــــلال مقاليـــــــه الشهيريـــــــن " تثبيت الاعتقاد " The Fixation of Belief (1877) و " كيف نجعل أفكارنا واضحة " How to make our Ideas Clear (1878) [1].

لقد أقر بيرس بأن البراغماتية تخلصنا من إشكالية المعنى الذي يتحدد من خلال قابليته للتحقق ، إذ أن مفهومنا للعسل – مثلا – يرتبط خصوصا بمذاقه ، من منطلق أن المعرفة الحقة هي ما تقبل الحل عن طريق التجسيد و إلا لكانت مزيفة ، لذلـــــــك يـــــــرى بيرس أننا لا يمكن أن نتحدث عن الفهم الحقيـــــــقي بعيـــــــدا عن الظـــــروف الإجرائية ، مما يجعل براغماتيته تتجه نحو نظرته للمعنى التي تحيل دائما إلى ما هو حقيقي ، فقولي بأن بطاريـــــــــــة السيارة انتهت لها معنى لأننا نتحول إلى جملة من التجارب الفعلية بهدف التحقق و الإنجاز [2].

والواقع أن بيرس – زيادة على إسهاماته السميوطيقية من زاوية اعتباره مؤسسا للطرح التداولي للغة – قد ركز على الطابع التجريبي للعقل بوصفه فيلسوفا مهتما بالشأن العلمي ، رافضا بذلك مختلف المنطلقات المؤسسة للفكر التأملي كحالة الشك الديكارتي الذي لا يراه موصلا للعبقرية ولا يعتبره نقطة بداية المعرفة إلا في حالة واحدة عندما تتعارض نتائج التجربة مع حواسنا ومعتقداتنا ، وبذلك نتســـــــــاءل ونحاول أن نقضي على حالة الشك [3].

بيد أن حصـــــــــول فهم مختلــف لمـــــــا أراده بيـــــرس مـــــن خـــــــلال مصطلحـــــــه الأول " البراغماتية " الذي أصبح – في نظره – يستخدم

(1) Menand Louis , **Pragmatism ; A Reader,** P P 7, 26 .
(2) Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy,** P 247.
(3) Gauchotte Pierre , **Le Pragmatisme ,** P.U.F , 1 édition , 1992 , P 15 .

لغير ما أراده ، دفعه للقيام بتعديل الكلمة إلى براغماطيقية (Prarmaticism) والتي رأى في إمكانية قبحها ما يصرف عنها اللصوص [1].

II- وليم جيمس (1842- 1910) William James

نشأ وليم جيمس في جو علمي يعطي للجوانب الأكاديمية أهمية بالغة ، فقد تلقى تعليمه في أمريكا وأوروبا ، واستطاع أن يجمع بين لغات عديدة ، زيادة على تأسيسه للطرح الفلسفي من باب اهتمامه بعلم النفس والطب . وكان أهم ميل فكري جسدته اهتماماتـــــــــــه هو الوعي بقضايا الاختلاف والمواءمة بين التفكير العلمي والديني [2].

يتضح تصور وليم جيمس للبراغماتية من خلال مقاله المعنون بصيغة سؤال : ماذا تعني البراغماتية في كتاب جاء يحمل اسم هذا النزوع الفلسفي.

و يشير جيمس إلى أن أصـــــــول هذه التسمية تعود إلى المصطلح اليونانـــــــي الذي يحيل إلى الفعل والتطبيق ، والذي قام شارل سندرس بيرس بإدخاله إلى العمل الفلسفي سنة 1878 في مقاله المعنون بكيف نجعل أفكارنا واضحة الصادر في المجلة العلمية العامة في جانفي لذات السنة ، كما يشير أيضا إلى جهوده في نشر هذا المصطلح الذي لم ينتبه إليه أحد ، حسب تقديره ، وذلك من

---

(1) Reck J Andrew , **William James** , Edition Seghers , Paris , 1967 , P 49 .
(2) Russel Bertrand , **History of Western Philosophy , ,** Unwin University books , UK , 8 edition , 1962 , P 766.

خلال الخطاب المعرفي حول المصطلح وتطبيقاته الدينية الذي ألقاه في جامعة كاليفورنيا سنة 1898 [1].

بيد أن انتشار المصطلح أوجد معه مواقف متعددة – بحسب جيمس – تصل أحيانا إلى درجة التناقض خصوصا من زاوية الأهمية التي يرى جيمس بشأنها أنها خاضعة للوقائع المجسدة ومدى إحداث التغيير في العالم.

ويعترف جيمس بأنه لا شيء جديد في البراغماتية ، فقد كان سقراط نصيرا لهــــــــــــا

في حين استعملها أرسطو منهجيا ، كما أن لوك وباركلي وهيوم جسدوها في محاولات عديدة للوصول للحقيقة ، لكن استعمالهم لها في نظر جيمس كان كمقدمة وفي أجزاء محددة تختلف من حيث التأسيس والوضوح البداية التي جاءت مع بيرس ، وبشكــــــل أقــــــــل مع الكيميــــــــــائي الألمانــــــــــــــي وليــــــم أوستولــــــــــد (1853–1932) Wilhem Ostwald الذي لامس الاتجاه من خلال طروحاته العلمية وكذا في فلسفة العلوم من دون الإشارة إلى التسمية [2].

كما تجدر الإشارة إلى أن جيمس يركز كغيره من البراغماتيين على النتائج في صعد مختلفة ، ففي الفلسفة مثلا يرى جيمس بأن كثيرا من الأسئلة والمواقف الفلسفية عبر تاريخ الأفكار كانت خالية من المعنى من منطلق إيغالها في التصورات الهلامية التي لا تتجه نحو التحقق الفعلي في الواقع .

بمقابــــــــل ذلك يرى أن البراغماتيـــــــة كتسمية جديدة لطريقة قديمة في التفكيــــــــــر تتقاطــــــــــع مــــــع سياقـــــــــــات ومذاهـــــــــــب

---

(3) James William , **Pragmatism ,** P P 18,19.
(1) Ibid , P19.

معرفيـــــــــــة متعــــــــــددة ، و هو مـــــا يوضحــــــــــه جيمس بقوله بأن : " البراغماتية تسعى لإعطاء الفاعلية لكل نظرياتها بربط كل واحدة بالعمل ، وطالما أنه ليس ثمة جديدا في ذاته ، فإنها تتواءم مع كثير من الاتجاهات القديمة في الفلسفة : إنها ترتبط مثلا مع الاسمية بالشكل الذي تستدعي فيه أجزاء ممثلة ومع النفعية في الأهمية التي تعطيها للجانب العملي ، و مع الوضعية عن طريق إبعادها للحلول المفرداتية وبالإشكالات عديمة الأهمية وكذا التوصيفات الميتافيزيقية [1].

ليكون الهدف الأساس للبراغماتية في نظر جيمس ممثلا في ربط التفكير مع الواقع ليتحول كسلوك مبرز لعنصر الذكاء في قابلية التكيف المتجدد مع الوسط ، مما يؤسس لحضور حالة " الخبرة " التي يعمد جيمس في تفصيلاته إلى إعطائها بعدا مفصليا متأثرا بتصوره في علم النفس الذي يعتبر العق ل وظيفة وليس جوهرا ، كما يعطي للديناميكية في التكيف مع الوسط أهمية بالغة [2].

بقيت الإشارة إلى أن وليم جيمس رغم استقصاءاته العديدة في إعطاء الأهمية البالغة للأمبريقية الخالصة (Radical Empiricism) – كنزعة تختلف عن تجريبية بعض الفلاسفـــــــــــة الإنجليــــــــــز على شاكلة دافيـــــــــــد هيوم (David Hume) وجـــــــــون ستـــــــــــوارت مل (John Stuart Mill) لوقـــــــــــوعهـــما فـــــي بعـــــــض الأحيـــــان ضحيــــــــــة التجريــــــديــــــــة (Abstractionism) – من منطلق اعتبار التجربة عنصرا أساسا للحقيقة .

---

(1) Ibid , P 21 .
(2) Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy,** P 252.

إلا أنه لا ينكر قيمة التجريد (Abstraction)* من حيث هو ميزة إنسانية تتطلبها المواقف والتصورات ، إذ لا يمكن لأي علم أن يتأسس مبرزا نسقه وخصوصية نتائجه بعيدا عن تصورات يكون التجريد المرتبط بالواقع أساسا لها [1].

III- جون ديوي (1859 -1953) John Dewey

عادة ما يشار إلى جون ديوي بأنه الفيلسوف " الأمريكي المؤثر " بالنظر إلى منجزاته المعرفية ، في ضوء ربطه للفلسفة بالواقع، إذ أن فلسفته تتجه نحو الإطار العملي ، كما تتأسس على علاقات ديناميكية مركزها الفرد في علاقاته التفاعلية الدائمة مع غيره (وسط اجتماعي) والمحيط (وسط طبيعي) .

ويظهر تأثير ديوي خصوصا في فلسفة الجمال والسياسة والاجتماع والتربية ، هذه الأخيرة التي جعلها مركز اهتماماته تحديدا في كتابه المحوري " المدرسة والمجتمع " 1899 [2].

ويتضح الطرح البراغماتي بجلاء عند ديوي من خلاله مفهومه للخبرة التي هي نتاج التفاعل بين الكائن ومحيطه داخل سياق الأبعاد الزمنية الثلاثة ، من منطلـــــــــــق الديناميكية المستمرة والاستفادة من الخبرات بغرض إنتاج الإنسان المتكيف الفعال ، في ظل عالم مبني علـــــــــــــى صراع لا يتجـــــــــــاوز

---

* يفرق وليم جيمس بين التجريد كحالة مرتبطة بالبحث والتجريدية كاتجاه يتجه إلى الإسراف في البعد عن الواقع والاستغراق في الفكر الصرف.

(3) الشنيطي محمد فتحي ، **وليم جيمس** ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ط 1 ، 1975 ، ص 38.

(1) Russell Bertrand , **History of Western Philosophy ,** P774.

بتأملات ميتافيزيقيـــــــة بعيدة عن الواقع وإنما بالتركيز على الخبــرة من منطلـــق محايثتها للواقع (1).

فبالنسبة له إن التفكير أو حيازه المعرفة ليست نتاج الجانب الــتأملي ، وإنما هي انعكاس للتجريب داخل معطى أدائي * يعطي الأولية للممارسة كنتيجة علائقية في إطار سلوكي يربط بين الإثارة والاستجابــــــة ، لتصبح مسألة التعليم استجابة طبيعية لأعضاء الكائن (2).

وللتدليل على فلسفته المؤسسة على الخبرة يقدم ديوي مثال الطفل الصغير الذي يلمس النار بإصبعه ، إذ ليس حرق النار لإصبع الطفـــــل كافيـــــــــا فـــــــي حصـــــــــول الخبرة ، بل لابد أن يتألم ويفهم ، ليتجـــــــــه الأمر إلى ربط بين الأزمنـــــــــة بهـــــــــدف الحصول على الفهم الذي هو " إدراك للعلاقات "، ثم إن فلسفة ديوي لا تتجه نحو التحليق في الفضاء بالاكتفاء بطروحات ترستندالية و إنما ترنو إلى التجسيد ، ومثال ذلك التربية متجاوزا في ذلك المعطى التلقيني للتعليـــم ، مركزا على عنصر " إدراك العلاقات " عند المتلقي الفعال (3).

وعلى الرغم من بدايات ديوي الهيجلية في رؤيته لسبب قلق الفكر الحديث أنه ناشئ من التعارض بين المثل الأعلى والواقع ، إلا أن الأساس الجوهري لفلسفته يرتكز

---

(2) جديدي محمد ، **فلسفة الخبرة : جون ديوي نموذجا** ، ص 270.

* الفكرة عند ديوي ماهي إلا أداة أو ذريعة لتحقيق خدمة ، لذلك سمى اتجاهه بالذرائعية أو الأداتية .

(1) Radhakrishman Sarvepall , **History of Philosophy Eastern and Western** , Bradford and Dickens Drayton House ; UK ; 2 edition , p 347 .

(2) الأهواني أحمد فؤاد ، **جون ديوي** ، ص 52 .

على الطرح الواقعي بغية تغيير الفرد والمجتمع داخل إطار البيئة ، بدعوته إلى الفعل أو إلى التفكير في القضايا التي يمكن اعتبارها خططا وتصميمات تتجه نحو الفعل [1].

من منطلق أن هدف الفلسفة في نظر ديوي يرتبط بالاتجاه الفعلي نحو حل مشكلات الإنسان ، خصوصا أثناء استخلاص الضرر الذي تؤديـــــــــــه بعض أنمـــــــــــاط التقاليد الاجتماعية باعتبارها عائقا أمام التكيف والتطور، هنا يتحدد الدور المصيري للفلسفة في تجلياتها العديدة، بإيجاد الطرائق المناسبة لإحداث فعل التغير الحضاري ، الذي يهدف في أساسه إلى استشراف المستقبل في شكل حضاري ، بحجة أن هدف الفلسفة في نظر ديوي أمر أكبر من الحيازة على المعرفة و " تعداد مسائـــــل الاعتقـــــــاد فيمـــــــــا يختص بهذا الأمر أو ذاك " [2].

(3) الصايغ نوال الصراف ، **المرجع في الفكر الفلسفي** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 1 ، 1983 ، ص 261 .

(1) الأهواني أحمد فؤاد ، **جون ديوي** ، ص 189 .

المبحث الثاني : الأصول المعرفية للبراغماتية : أسس قديمة لاسم جديد

تتسم الفلسفة بطابعها التراكمي ، إذ لا يمكن ونحن في بحثنا عن الحقيقة أن نلغي تصورات ومواقف فلسفية سابقة ، خصوصا وأن العمل المعرفي يستحيل في نهايـــــة المطاف إلى إبداع يتأسس في غالب الأحيان على التصديق أو الضحد أو التعديل .

فالبراغماتية وإن كانت إنتاجا فلسفيا حديثا ، إلا أن ذلك لا يعدم وجود تقاطعات وتناصات – إما في شكلها الواعي أو اللاواعي – بين سياقاتها من جهة وطروحات معرفية متعددة من جانب آخر .

وهـــــــــذا بالضبـــــط ما يحـــــــدد الإجابـــة عن ســـــــؤال حقيقة وجود الفلسفة في أمريكا ، آخذيــــــــن بعين الاعتبــــــــــار نفـــــــــي ألكـــــســـــس دو توكفيـــــــل (1805 – 1859) Alexis de Tocqweville ونعته للواقـــــــــع الفلسفي الأمريكي بالبهاتــــة ، وكذا موقف برترانـــد رســـــــــل (1872 – 1970) Bertrand Russell الذي أورده ريتشارد رورتي (1931 –

2007) Richard Rorty في مقدمة كتابه الأمل بدل العلم La Science au lieu du Savoir، والقاضي بسطحية وضحالة المشروع الفلسفي البراغماتي .

إن الإجابة عن السؤال السابق تقتضي منا العودة الممرجعة لأهم الإشتغالات المعرفية التي تناولت طبيعة الوجود الفلسفي في أمريكا ، من منطلق أن حضور الفلسفة في أي بلد لا يحيل إلى اجترار معرفي لقضايا سابقة لا تظهر الخصوصية المكانية والزمانية ، أو إحياء لمذاهب وأنساق فلسفية سابقة بافتعال وسطحية ، وإنما هو إحالة لتأصيل مفاهيمي يدعو للتأمل في صيغة جدوى وجود الفلسفة ، والنظر إليها كتجربة معرفية تساهم في مساعدة الإنســــان على فهم مشاكله وحلهــــــا ، إلى درجــــــــة الابتســــــام لها بتعبير دافيد هنري ثورو (1817 – 1862) Henry David Thoreau

أولا : الخلفيات المعرفية

ا- المنطلقات الفلسفية

رغم أن البراغماتية فلسفة أمريكية بالأساس ، إلا أن ذلك لم يمنع وجود روافد وتأثيرات – أدت إلى النشأة – تعود إلى بدايات التفلسف .

لقـــــــد أشار وليـــــــم جيمــــــس إلى مسألة الأصول الممتدة إلى الماضي الفلسفي السحيق ، حينما وصف البراغماتية بأنها اسم جديد لبعض الطرائق القديمة في التفكير (Pragmatism : A New Name for some Ways of Thinking) .

وبغض النظر عن تنوع تسمياتها وتعدد محمولاتها من (ذرائعية ، أداتية ، عاقبية ، تجريبية ، علمية ...) فإن البراغماتية في شكلها العام تعطي أهمية بالغة للفكرة التي تتجسد في الواقع بشكل ناجح ، كما أن حضورها عند كثير من المفكرين كان وارد عبر تاريخ الأفكـــــــار ولو بدون معرفة منهم ، هذا ما عبر عنه الفيلسوف الإيطـــــــالي جيوفاني بابينـــــي (1881- 1956) Giovanni Papini في تأكيـــــده بأن " البراغماتية بمثابة ممر طويل ، في خندق كبير ، تطل عليه أبواب مختلفة ، في غرفة معينة نجد مفكرا في إطار الكتابة في علم الجمال ، وفي أخرى متبتلا راكعا يترجى الإيمان والقوة ، و في الثالثة نجد كيميائيا في إطار استقصاء وسائل عمله ، وفي الرابعة ميتافيزيقا مثاليا في إطار تأملاته (...) لكنهم جميعا ملزمون بالخروج من هذا الممر إن هم أرادو طريقا عمليا للخروج" (1) .

لذلك تلتقي وتتقاطع البراغماتية مع مختلف الاتجاهات الفلسفية التي تقر بالفعل والنجاح وكذا النسبية في النظرة للمعرفة .

فبالنسبة للفيلسوف البراغماتي الانجليزي فرديناند شيلر (1864- 1937) Ferdinand Schiller أحد مؤسسي الاتجاه البراغماتي كان يعتبر نفسه تلميذا لرائد النزعة السفسطائية بروتاغوراس (485 – 411 ق .م) Protagoras (2).

ووجه المقاربة يكمن في خصوصية الطرح الفلسفي عند بروتاغوراس والمؤسس على النسبية (3) هذا زيادة على محورية عنصر المنفعة كدافع للفعل .ثم إن بروتاغوراس لم

(1) William James , **Pragmatism ,** P 21.
(1) Russell Bertrand , **History of Western Philosophy ,** P 94.
(2) Montoy Jacque , **Précis D'histoire de la Philosophie** , Les Edition de L'ecole, Paris , P 16.

يعمد إلى الإسهاب في التحليلات والتوصيفات التي يجد مبررا لها ، من منطلق تركيزه على سبيل النجاح الدنيوي بشكل عام والسياسي على وجه الخصوص [1] .

كما أن بروتاغوراس في سعيه للارتباط بالواقع لا يتجه نحو المفاضلة بين اعتقاد وآخر ، مبرزا البعد الفردي للفكرة التي لا تستنـــــــد لأي معيار خارج عن التحقق [2].

هذا ما تبرزه مقولته الشهيرة بأن الإنسان معيار كل شيء ، معيار ماهو موجود فيكون موجودا ، ومعيار ما ليس موجودا فلا يكون موجودا .

(Man is the Measure of all Things , of Things that are that they are , and of Things that are not that they are not)

وفي سياق التقاطعات المعرفية يشير وليم جيمس إلى سقراط وأرسطو الأول على صعيد الممارسة والثاني في تجسيد البراغماتية منهجيا [3].

فبالنسبة لسقراط (399 – 490 ق م) فإن المدخل المهم لفهم فلسفته هي حياته ، مع العلم أن تقاطعه مع الطروحات البراغماتية لا يفسر بالضرورة في مختلف القضايا المثارة ، وإنما في كثير من الجزئيات الأساسية زيادة على التوجه نحو الفعل [4].

فانخراطه في النقاش مع الآخرين من منطلق كل معرفة هي معرفة من خلال المفاهيم تحيلنا بشكل من الأشكـــــــال إلى طروحات بيرس ، واحتفاؤه بعبارة

---

(3) ستيس وولتر ، **تاريخ الفلسفة اليونانية** ، تر : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1984 ، ص 99 .

(3) Tarnas Richard , **The Passion of the Western Mind** , Unwin University Books , UK , 8 Edition , 1962 , P 27 .

(4) William James , **Pragmatism ,** P 20.

(1) كيسيدس ثيو كاريس ، **سقراط** ، تر : طلال السهيل ، دار الفارابي ، ط 1 ، 1987 ، ص 16 .

معبـــــــد دلـــــــــفي " اعرف نفسك بنفسك " لتكون نقطة انطلاق الفلسفة هي علم النفس ونقطة نهايتها ممارسة أخلاقية هي إحالة لتمثلات وليم جيمس الفلسفية .

كمـــــا تتضح أبعاد البراغماتية عند سقراط في تركيزه على الفعل ، واعتقاده بالنسبية (Relativity) في ضوء مقولتـــــــه الشهيـــــــــرة : " إنــــــي أعــــــرف جيـــــــدا بأنني لا أعرف شيئا " (I Only Know that I don't Know any Thing) ، وكذا تمثله لمفهوم الخبرة التي تتيح للفرد إمكانية التعلم داخل الوسط بمساعدة الآخرين عن طريق الممارسة اليومية التي هي نتاج السياقات المرتبطة بفكرة الاستجابة والتعزيز، بالشكل الذي يعطي للإنسان وعيا لما يدور حوله ، هذا ما توضحه مقولة سقـــــــراط الشهيـــــرة بـــــــأن الحيـــــــاة دون خبـــــرة لا تستحـــــــــق أن تعـــــــاش (Unexamined Life is Not Worth Living) [1] .

أما بالنسبة لأرسطو Aristotle (322 – 384 ق م) فيمكن وضع مقاربة على الصعيد الاستعمال المنهجي بحسب وليم جيمس من خلال التركيز الأرسطي – خصوصا أثناء مرحلته الثانية حينما انفصل عن التأثير الأفلاطوني – على المعرفة الساعيـــــة لفـــــهم طبيعـــــة الإنسان بغرض تأسيس فهم لا يجد فكاكا عن النسبية والفعل [2] .

كما أن المنهج الفلسفي عند أرسطو لم ينفصل – في أجزاء عديدة منه – عن التوجه نحو المعرفة الرصينة المبنية على خلفية مؤسسة بغرض الوصول إلى حياة

(2) Russ Jacqueline, **Histoire de la Philosophie de Socrate a Foucault** , Edition Hatier , Paris , 1985 , P 23 .

(3) Copleston Frederick , **A History of Philosophy , Greece and Rome** , VolumeI,part II, Image Book Edition , New York , 1962 , P 24 .

أفضل ، عن طريق حسن التصرف الـــــــذي يماهي الفعل الناضج والاختيار الجيد ، آخذا – أقصد أرسطو – في ذلك الإنسان كما هو في الواقع بصفته غير المكتملة [1] .

وفي السياق نفسه يرى جون ديوي بأن للتجريبية البريطانية أثر كبير على البراغماتية الأمريكية ، كما يعتقد بأن وليم جيمس حينما نعت البراغماتية بأنها " اسم جديد لطريقة قديمة للتفكير " قد أشار من خلال إحالـــــــة تاريخية أولى إلى أعمال فرنسيس بيكون (1561 – 1626) Francis Bacon [2] .

وتحيل الاجتهادات المعرفية التي جسدها فرنسيس بيكون في عصر النهضة إلى التأكيد على وجوب خروج الإنسان من شرنقة التركيز على الذات في معطياتها التأملية ، بمقابل التوجه إلى الطبيعة بغية استنطاقها ، من منطلق هدف فلسفته التي كانت تتجه في عمومها إلى التركيز على الفعل والتأكيد للإنسان على قدرته للسيطرة على الطبيعة عن طرق الاكتشافات والتجارب العلمية ، في سياق تربوي يهدف أساسا إلى تحقيق النفع للإنسان .

كما يماهي فرنسيس بيكون بين الحقيقة والطبيعة ، ويرى أن منطق التجارب هو المنتصر في نهاية المطاف ، مستدلا في ذلك برؤية أرسطو الذي يقر بأن الطفل أثناء صغره يمكن أن ينادي كل امرأة على أنها أمه لكن حينما يصل إلى التمايز لاشك أنه سيعرف أمه في ضوء الحقيقة أو الخبرة ، كذا الحال بالنسبة للفيلسوف يمكن أن يعلن

---

(1) O’toole James , **Greating the Good Life, How to Apply the Wisdom of Aristotle**, Rodal International LTD , London , First Published , 2005 , P 13 .
(2) Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy**, P 230.

نظريا عن فلسفة ما على أنها إطاره المعرفي الوحيد ، لكن الزمن في نظر بيكون كفيل بإظهار الحقيقة [1] .

كما تتقاطـــــع البراغماتيـــــــة مع الفلسفة التجريبية الظـــــــــاهرة في أفكار جون لوك (1632 – 1704) John Locke جــــورج بــــــاركــــــلــــــي (1685 – 1753) George Berkeley ودافــــــيــــــد هيــــــــــــــوم (1711 – 1776) David Hume .

و يتأسس الفهم التجريبي على رفض التسليم بالمطلقية ، زيادة على نفي دور التأمل في إنتاج المعرفـــة الحقيقية ، بمقابل التركيز على الفعل المستند إلى الحس والتجربة .

هذا ما يمكن ملاحظته في أعمال دافيد هيوم الذي أقصى مختلف الحدوس من المعرفة ، من منطلق الرغبة في تطبيق مراحل الفعل التجريبي لدراسة وفهم الإنسان كحالة متفردة وجديدة ، لذلك عد دافيد هيوم واحدا من فريق الاسميين [2] .

للإشارة فإن جلبرت أوتوا Gilbert Hottoi يشير إلى تأثير النزعة الاسمية على الفلسفة البراغماتية [3] .

---

(1) Bacon Francis , **The Advancement of Learning** , Heron Books , UK , 1861, P 104

(2) محمود زكي نجيب ، **دافيد هيوم** ، دار المعارف ، مصر ، 1958 ، ص 44 .

(3) Hottoi Gilbert , **De la Renaissance a la Postmodernité : Une Histoire de la Philosophie Moderne et Contemporaine** , Edition de Boeck Université , France , 3 Edition , 2002 , P 264 .

وتؤكد النزعة الاسمية (Nominalism) * في نظريتها للمعرفة بأن الوجود الفردي يحيل إلى الواقع ، و أن الأشياء الفردية و الجزئية تحيل إلى الحقيقة [1] .

ويعد وليم أوكام (1285 – 1349) William Of Ockham – الممهد للحركة التجريبية البريطانية [2] – واحدا من بين أشهر الفلاسفة الذين تبنوا المذهب الاسمي تأثرا بروجر بيكون (1220 – 1292) Roger Bacon الذي اعتبر التجربة معيارا أساسيا لكل معرفة [3] .

وفي السياق نفسه يرى وليم جيمس بأن أفكار الفيلسوف الإنجليزي جون ستوارت مــــــل (1806 – 1873) John Stuart Mill تعد تعبيرا صريحا عن الطروحات البراغماتية ، لذلك لم يتوان في التعبير عن هذا التأثر من خلال كتاب البراغماتية وتحديدا في صفحة الإهداء بقوله " إلى ذكرى جون ستوارت مل ، الأول الذي علمني الأبعاد المفتوحة للبراغماتية والذي يسعدني أن أقدمه كقائد " .

وميزة جون ستوارت مل أنه يصر على منطق الخبرة والاحتكام للواقع من منطلق درء الفلسفات القبلية والحدسية .

---

* هناك تقاطعات معرفية عديدة يحيل إليها الفلاسفة البراغماتيون بين نظريتهم للمعرفة وبين تمثلات فلاسفة وعلماء وكذا تيارات فلسفية ضمن سياق هذه الأخير يمكن الإشارة إلى الوضعية والماركسية .

(1) Lerous Emmanuel , **La Philosophie Anglaise Classique** ,Edition Armand Colin , Paris , 1951 , P 16 .

(2) Didier Julia , **Dictionnaire de la Philosophie** , Librairie Larousse , Paris , 1977 , P 209 .

(3) بدوي عبد الرحمن ، **فلسفة العصور الوسطى** ، وكالة المطبوعات : الكويت ، دار القلم : بيروت ، ط 3 ، 1979 ، ص 183 .

داخـــــل إطــــار المدرســـة النفعيـــــة (Utilitarianism) يتضح تأثيـــــــر جيرمـــــي بينتـــــام (1748 – 1832) Geremy Bentham فـــــي تركيـــزه علـــــى نتــــائـــــج الفعـــــل التـــــــي تـــــقـــــاس في أساسها بنفعـــــهـــــا وإسعادهــــــا لأكبــــــر عـــــــد د من النــــــاس (The Greatest Happiness for the Greatest Number) .

هذا زيادة على تأسيس طروحاته على مهاجمة الحدوس والمبادئ التي لا تعير اهتماما للنتائج [1] .

من زاويـــــــة أخرى فإن تأثير إيمانويـــــل كانط (1764 – 1804) Immanuel Kant كان واضحا على بيرس ، الذي أقر بأنه قد اقترح مصطلح البراغماتية بناء على قراءتـــــه لفلسفة كانط ، من منطلق تقاطعهما في الاهتمام المشترك لتأسيس أطر العقل العملي .

كما تأثر ديوي بكانط في طريقة التعمق أثناء استقصاء المشكلات الفلسفية ، بمنظور العقل الفعال المؤثر بدل العقل المذعن والهامد ، خصوصا وأن كانط في كتابه نقد العقل العملي (Critique of Pratical Reason) قد ركز على تحليل دور العقل في معناه المتجه

نحو التطبيق ، وذلك بالبحث عن أسس محددة للإرادة ، بغرض إيجاد مواضيع ومنجزات تتماشى وفكرة التمثيل التي يعبر عنها العقل في حضوره كمنجز من خلال تجسيد منتجاته فعليا [1] .

---

(1) Ted Honderich , **The Oxford Companion to Philosophy** ,Oxford University Press , UK , 2 Edition , 2005 , P 89 .

II- التأثيرات العلمية :

ينبغي الإشارة إلى أن البراغماتية في عمقها تتقاطع مع العلم ، سواء كمبرر للوجود أو كنتاج لطروحات هذه الفلسفة التي تعتمد أساسا على الواقع وتتبنى تطويره .

إذ أن نظرية المعرفة عند البراغماتيين تتأسس على السلوك العملي ومدار اهتمامهـــــا هو القيام بعمل معين [2] ، بمقابل نظريات أخرى في المعرفة تتبنى التفسير التأملي وتتجه نحو إعطاء التفكير المجرد أهمية بالغة .

كما يتضح الحضور العلمي في شكله البين من خلال التكوين المعرفي للبراغماتيين الرواد ، فعلى سبيل المثال اتجه بيرس نحو الرياضيات كعلم صارم يتمظهر بوصفه معيارا لليقين ، أما وليم جيمس فقد أبان عن اهتمام شديد بالطب وعلم النفس هذا زيادة على تكوينه الأساسي الذي كان علميا تجريبيا بمدرسة لورانس للعلوم بجامعة هارفارد [3] .

---

(2) Kant Emmanuel , **Critique de la Raison Pratique** , Tr : Picavet François , PUF , 5 Edition , 1966 , P14

(1) محمود زكي نجيب ، **نظرية المعرفة** ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، د ت ، ص 30 .

(2) الشنيطي محمد فتحي ، **وليم جيمس** ، ص35.

كما يمكن القول بأن مرجعية هذا الحضور المبرز للطرح البراغماتي تعود بالأساس – كما يرى جيرارد دولودال – إلى العلم التجريبي والنظرية التطويرية اللذان جعلا من البراغماتية أمرا ممكنا .

فبحسب جون ديوي فإن التجريبية تعد ركنا أساسيا كمنتج لتاريخ الذكاء الإنساني لأنها حررتنا من العودة المستمرة للماضي ومكنتنا من تعريف طبيعة الأفكار في سياقها الإجرائي المعتمد أساسا على نتائج العمليات [1] .

وبالتالي فإن العلــــــــــــم في شقه التجريبي يتجـــــــــــه أساسا إلى الفعل ، ويهدف نظريا – على مستوى أول – إلى تحقيــــــق منفعة الإنسان ، هذا زيادة على فائدته الجمة في تطوير الاقتصاد .

لقد تمت الإشـــــــــــارة إلى علماء تجريبيين على شاكلة العالم السويسري لويس أغاسيز (1807 – 1873) Louis Agassiz في التمييز بين طريقة البحث الفكري الخالص والطريقة العملية في البحث [2] .

وكذا إلى أعمال الكيميائي الألماني وليهم أوستوالد (1853 – 1932) Wilhem Ostwald الحائز على جائزة نوبل للكيمياء سنة 1909 ، والذي أشر للطروحات البراغماتيــــــة فـــــــي أعمال ـــــــــه العلميـــــــــة وكـــــــــــذا في محـــــــــــاضراته حول فلسفـــــــــــة العلـــــــــــم (Philosophy of Science) [3] .

---

(3) Deledalle Gerard , **La Philosophie Américaine** , P P 53 ,54 .

(1) الشنيطي محمد فتحي ، **وليم جيمس** ، ص37.

(2) William James , **Pragmatism ,** P 19.

من جهة أخرى ، وبغض النظر عن الجدل الشديد الذي أحدثته أفكار تشارلز داروين (1809 – 1882) Charles Darwin ، فـــــــإن الداروينية – كطرح أساسي للتطورية – عدت خلفية مفصلية لنشوء البراغماتية كفكرة .

بل أن جيرارد دلودال Gerard Deledalle يذهب إلى تأريخ نشأة الفلسفة الأمريكية بكتاب أصل الأنواع (Origine of Species) لداروين الذي ظهر سنة 1859 السنة نفسها التي ولد فيها ديوي [1] .

فتشارلز داروين بحكم تكوينه العلمي من منطلق دراسته للطب في جامعة إدمبورغ (Edmbourg) واتجاهه للبحث في علم المستحثات مدة خمس سنوات على ظهر سفينة بيجـــــــل (Beagle) [2] ، كان قد أمد الفكـــــر الأمريكـــــــــي بعنصر التحريض (Stimulus) أي ذلك النفس الذي يعطي للأفكار قابليتها للصيرورة أو الاختفاء داخل نقاش تتقاطع فيه مختلف المعارف بغية تدعيم نظريته أو ضحدها ، والتي تقر بأن تطور الأنواع بما في ذلك النوع الإنساني رهين بالصراع داخل الأنواع المؤدي لانتخاب الأنواع التي تحوز على ملكات ايجابية تكيفها مع البيئة وتمدها للأخلاف [3] .

وقد استفادت البراغماتيـــــة من هذا التفسير مركزة في ذلك على المسار أكثر من البنية ، معتبـــــــرة التفكيــــــــــر كمسار طبيعي وهو ما يفك بعض الصعوبات

---

(3) Deledalle Gerard , **La Philosophie Américaine** , P 251.
(1)De camp sepragne et De camp Catherine ,**L'histoire de la Science Américaine** , Edition Nouveaux Horizons , Paris , 1970 , P 139 .
(2) Ted Honderich , **The Oxford Companion to Philosophy** , P 189 .

التي واجهت مفهوم طبيعة المعرفـــــــــة ، وبالتالـــــــــي فقد أصبح التفكير عند الإنسان مثـــل الصراع عنـــــد الحيـــــــوان وسيلــــــــة طبيعيـــة للمقـــاومـــــة المؤسســـــة على الصــــــراع من أجــــل البقــــــــــــاء (Struggle for Survival) [1] .

لذلك شكلت التطورية دافعا مهما لتبلور الطروحات العلمية في العالم الجديد ، فبحسب جون ديوي فإن كثيرا من الإشكالات العلمية قد وجدت حلولها مع أصل الأنواع ، هذا زيادة على حضورها عبر أشكالها المختلفة – سواء عند داروين ، لامارك ، هسكلـــــي و سبنسر – في أعمال البراغماتيين الرواد كحالة مؤثــــرة ومبشرة لقدرة الإنسان [2] .

ثانيا : سمات البيئة الحاضنة

I – ظروف النشأة وعوامل التطور

بحسب كثير من المعطيات التاريخية فإن اكتشاف العالم الجديد * يعود إلى البحار الإيطالي كريستوف كولومبس (1451 – 1506) Christophe Columbus الذي بدأ رحلته البحرية يوم 03 أوت 1492 بغرض البحث عن طريق مريح جديد يوصل أوروبا بآسيا .

---

(3) Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy**, P 232.

(4) Deledalle Gerard , **La Philosophie Américaine** , P P 54 , 55 .

* الملاحظ بأن العالم الجديد لم تتوفر فيه عنصر الجدة على الأقل بالنسبة للساكنة الأصليين (للهنود الحمر وقبائلهم المختلفة : بيبلو ، أباتشي ، أيريكو ، سيو ، بوتلاتشز ، شيروكي ...) الذين عمروا تلك الأراضي أكثر من 50 ألف سنة قبل أن يطأ كريستوف كولومبس على ساحل سان سالفادور .

ويعــــــــــــد الاكتشــــــــاف وجملة الهجرات التي قام بها المتطهرون رغبة في الحرية الدينيــــــــــــــــة أو العمــــــال بغيــــــــــــة تحسيــــــن أوضاعهم الاقتصادية السبب الأول الذي أدى إلى إعمار هذه الأرض خصوصا و أن مفردة " العالــــــم الجديد " (The New word) ارتبطت بالتسمية التي أقرها المهاجرون الأوروبيون [1] .

و بعد المحاولات الاستيطانيـــــــــــــة التي قام بهـــــــــــا – خصوصا – الإسبان ، الفرنسيين و البريطانييــــــــــن فإن بدايـــة الاستقـــــــرار الحقيـــــــقي في العالـــــــم الجديـــــــد تعود إلى الحجـــــــــــاج (Pilgrims) أو المتطهرين الانفصاليين (Separatists) الذين أبحروا في المحيط الأطلنطي تجاه العالم الجديد سنة 1620 بحثا عن الحرية الدينية تأثرا بأفكار الألماني مارتن لوثر (1546 – 1483) Martin Luther القاضية بضـــــــــرورة التواصل المباشر مــع الرب بعيـــــــدا عن أي واسطـــــــة ، وتأثـــــــــرا أيضا بالمصلـــــــح الفرنسي جـــــون كالـــــــــفــــن (1509 – 1564) John Calvin الـــــــــــذي ركز على المسؤولية الفردية للإنسان إزاء خالقه ، وقد عرف هذا الاتجاه الجديد المضاد لتوجيهات الكنيسة الكاثوليكية باسم البروتستانتيــــــــــة (Protestantism) [2] ، ومع التشدد الذي أبداه الملك هنري الثامن (Henry VIII) في مفهومه للكنيسة الإنغلكانية المتأثرة بالطرح الكاثوليكي وكذا مع تولي جيمس الأول للحكـــــم (James I) سنة 1603 عمـــــــد إلى تحذيــــــــر المتطهرين (Puritans) الراغبين في إعادة مفهوم الإيمان إلى مظانه

---

(1) O'callaghan Bryn , **An illustrated History of the U.S.A** , Longman , UK , 2 published , 1992 , P 04 .
(1) Mcgrath E Alister , **Christian Theology** : **An Introduction** , Black well publishing , UK , Third edition , 2003 , P P 62 , 63 .

الأولى ، ليقوم بملاحقتهم فكانت النتيجة هروبهم إلى هولندا أولا ثم بعد ذلك إلى العالم الجديد .

وقد كتب الحجاج (Pilgrims) وهم المتطهرون الانفصاليون أثناء سفرهم مدة 65 يومــــــــا على ظهر سفينة زهرة ماي جملة من القوانين التأسيسية سموها بـــ " عقد زهرة ماي " (May Flower Compact) وذلك بهدف التغلب على جملة الصعوبات التي ستواجههم في إقامتهم .

وكان من بين ركاب زهرة ماي المفكر وليم براد فورد (1590 –1657) William Bradford الذي أعلن في خطبة معرفية له عن وجوب العمل والاعتماد على الذات بغية تغيير وجه الطبيعة [(1)] .

لقد أصبح من الملاحظ منذ بدايات الاستيطان الأولى توفر عنصر العمل في صيغته المؤدية إلى المنفعة والنجاح ، فالأرض الأمريكية كانت غنية بالمكونات على مختلف الصعد ، بيد أن سكانها الأوائل من الوافدين وجدوا صعوبات كبيرة في الاحاطة والتمكن منها نتيجة الظروف البيئية القاسية .

لقد عمــــــــــــد الوافدون الأوائل إلى تشكيـــــــــــــل مستعمرات ، ليصل بهم الأمر إلى المطالبـــــة بالاستقلال عن التاج البريطاني حينما حققوا الاكتفاء الذاتي ، هـــــــذا ما عبـــــــــــر عنه توماس بــــــــــايـــــــــــن (1737 – 1809) Tomas Paine في كتابـــــــه الحـــــــس المشتـــــــــرك (Common Sence) أثناء إقراره بالحالة الطبيعية والضرورية للمطالبة بالانفصال ، عند الوصول

---

(2) Gehlman John and Browman Mary River , **Adventure in American Literature** , Harcourt and World Edition , New York , 1952 , P 444 .

إلى مرحلة الحس المشترك كتعبير فردي واجتماعي يدفع أمريكا لكي تحس بكينونتها [1].

والواقع أن هذه الكينونة قد تجسدت مع الدستور الأمريكي ومبادئ الاستقلال من خلال التأكيد على الطروحات الليبرالية في حرية الدين والتعبير وكذا ضرورة الأمن وتحقيق المحاكمات العادلة .

لقد كانت الظروف السابقة مواتية لنشأة الاتجاه البراغماتي في شكله الصريح إذ أن التطورات التاريخية وكذا الأوضاع البيئية والسياسية والاجتماعية شكلت المعطيات المواتية التي أفرزتها أوضاع العالم الجديد المتمظهر على شاكلة قارة متراصة الأطراف ، مع التأكيد على تميزه بمناخ متنوع و أراضي تنفرد بعطاءاتها المتعددة (احتوائها على المعادن ، قابليتها للإنتاج الزراعي ، ملاءمتها للإنتاج الحيواني ...) .

كما أن الرغبة في تجسيد الحلم الأمريكي (American Dream) كانت دافعا مهما لإحداث السجال المفضي لتبني القرارات المناسبة الهادفة أساسا إلى إعلان الشأن الأمريكي ، الذي ارتبط في لحظات عديدة بالمماهاة بين السياسي والفيلسوف ، وقد عبر – بضم العين – عن ذلك صراحة في المبررات التي أرفقت وضع بيان الاستقلال الذي أكد على الرغبة في تحقيق العدالة والتآلف والطمأنينة [2].

وقد تجسدت هذه " الأماني " المعبر عنها في نقاط متميزة من تاريخ الحكم الأمريكي ، إذ تعتبر أمريكا البلد الوحيد في العالم الذي شهد حكم أربع فلاسفة جورج واشنطن (George Washington) ، توماس جيفرسون ( )

---

(1) Paine Tomas ,**Common Sense** , Dover thrift Edition , New York , W.Y , P 11 .
(2) Warren E . Burger and Others , **The Constitution of the United States** , Edition of Jackson Place , Washington , 1991 , P 01 .

(Thomas Jefferson ، جـــــون آدمـــــــز (John Adams) ، جيمـــــس مـــــــاديســـــــــون (James Madison) وبهـــذا الشكل تجسدت – حسب حسن نصار – لأول مرة دعوة أفلاطون في أن يتولى الأمـــر السياســـــي " حاكم فيلسوف " (1).

إن مناخ الحرية وتمجيد العمل جعل من العالم الجديد أرض استقطاب ومكانا مفضلا للمهاجرين – الذين تركوا أوطانهم لظروف اقتصادية ، سياسية ودينية – بفضل التركيز على ما يقدمه الفرد بغض النظر عن موطنه ، جنسه ، لونه أو دينه .

لذلـــــك نعـــــــت العالـــــم الجديـــــد بسمــــة بـــــــوتقـــــــة الصهـــــــر أو الوعـــــاء المختلـط (Melting Pot) أو أمة الأمـــم (Nation of Nations) ، لاحتوائه على أجناس متعددة ، مع إمكانيـــــة الفرد بالتمتع بخصوصيته الإثنية والدينية شريطة الالتزام بالمواطنة .

لقد تكرس هذا الاتجاه نحو المستقبل من خلال الفعل في التقدم التكنولوجي والتقني الهائل من شق الطرقات و مد الجسور وبناء السدود إلى الاختراعات العلمية الملفتة – وذلك بتوفير جملة الأسباب والشروط الملائمة – كالذي حصل على سبيل المثال مع ألكسنـــــــدر غرهام بال (1847 – 1922) Alexander Graham Bell ، في اشتغالاتـــــه الصوتية ، و كـــــــذا اختراعـــــه للتلفـــــون سنة

---

(1) نصار حسن – المقدمة – في كاز بيتر وآخرون ، **تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200 عام** ، تر ، حسن نصار ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ب ت ، ص 06 .

1876، و كذا توماس أديسون (1847 – 1931) Tomas Addison في بنائه لمعمل الاختراعات العلمية وكذا اختراعه للمصباح الكهربائي سنة 1878 [1].

إن هذه الشروط والنتائج * هي التي أوجدت الظروف المواتية لنشأة الأفكار وتطورها ، فالبراغماتية – كاسم جديد لبعض الطرائق القديمة في التفكير حسب وليم جيمس – قد وجـــــــدت من واقع العالم الجديد المحيط الأنسب للتفتق والتطور المعرفي ، أذكى ذلك مناخ الحرية المتوفر زيادة على القدرات الإعلامية الهائلة في النشر والتبليغ التي شجعت الفلاسفة الأمريكا ن على الإبداع ، كما شجعت بالمقابل فلاسفة وعلماء على شاكلة لودفيج فتغنشتاين Ludwing Wittgenstein و رودولف كارناب Rudolf Carnap على اختيار العالم الجديد كموطن للاستقرار .

II– البراغماتية والاتجاهات الفلسفية في أمريكا

لقد حدث انتشار الفلسفة البراغماتية نتيجة لطروحات البراغماتية نفسها ، المسألة تعود أساسا إلى خصوصية نظريتها للمعرفة ، و كذا للظروف السائدة زيادة على الأخذ والرد الحاصل عن سجال الأفكار.

وإن كان البعض يحايث بين الفلسفة الأمريكية والاتجاه البراغماتي ، اعتقادا منه بأن الفلسفة الأمريكية في معظمها جاءت كرد فعل عن المثالية والذاتية والمطلقية [2].

---

(1) De camp sepragne et De camp Catherine ,**L'histoire de la science Américaine** ,P P 219 , 225 .

* لقد تم التركيز خصوصا على الشروط والنتائج قبل الحرب العالمية الثانية .

(2) Deledalle Gérard , **La Philosophie Américaine** , P 113.

فإن ذلك يثبت أكثر مما ينفي واقعا معرفيا مفاده وجود تيارات واتجاهات معرفية في الولايات المتحدة تختلف في طروحاتها عن البراغماتية ، وهو أمر يدحض رؤية أليكس دو توكفيل (1805 – 1859) Alexis de Tocqweville المؤسسة على شبه غياب العمق الفلسفي في العالم الجديد (1).

إن الحديث عن فلسفة سابقة أو موازية للطروحات البراغماتية في العالم الجديد أمر يبرره وجود اتجاهات فلسفية وكذا فلاسفة يعرفون أساسا بإنتاجاتهم الفلسفية .

وتعود البدايات الفلسفية الأولى إلى طروحات البيوريتان ، إذ وعلى الرغم من أصولها المثالية إلا أنها تبنت في نهاية المطاف التوجه نحو الفعل ، فالتطهير وإن كان فكرة فإن صياغته تحيله إلى الفعل أكثر ، من منطلق الأداء والتغيير .

والواقع أن الفلسفة الأمريكية في عمومها استندت أثناء البدايات على الوافد ، وهي إشارة إلى أن القـــــرن السابع عشرعرف بالتأثـــــــــر الأمريكي لما هــــــو حاصل ببريطانيا ، في إشـــــــــــارة البعض بـــــــأن أمريكا قد تحصلـــــــــت على استقلالهــــــا الفكـــــري مـــــع رالـــــف والدو إمرسون (1803 – 1882) Ralph Walds Emerson (2).

---

(1) De Tocqueville Alexis , **De la Démocratie en Amérique** , Tome II, ENAG Edition ,unité de Reghaia , Algérie , 2 édition , 1991 , P07 .

(2) Luedtke S . Luther , **A Reader's guide to Making America : The society and culture of the United States** , United State information Agency , Washington , 2 published , 1990 , P73 .

وهو فهم ناتج من إسهامات بعض المؤرخين وعلماء الاجتماع الأمريكان من خلال القول بأن تحقيق الأمركة قد تجسد مع الجيل الثالث الذي بدأ الإحساس معه بالطرح المعرفي الأمريكي الخالص [1].

وما كان هذا الإحساس ليحصل لولا إسهامات الحركة الأنوارية التي اتجهت نحو دراسة الإنسان بغرض فهمه ، من منطلق دعامة أساسية مفادها أنه يمكن للإنسان أن يمارس الفهم والإفهام بعيدا عن مساعدة لقوى مفارقة .

وقد تجسدت الحركة الأنوارية على المستوى السياسي عبر إسهامات ومواقف توماس جيفرسون (1743 – 1826) Thomas Jefferson الفكرية والسياسية ، وكذا باعتباره عضوا أساسيا في الجمعية الفلسفية الأمريكية The American Philosophic Society زيادة على إسهامات توماس باين (1737 – 1809) Tomas Paine الذي أعطى للأنوارية أو للثورة الإحيائية بعدها المعرفي بتنظيراته ومواقفه الداعية إلى الاعتماد على النفس [2].

لقد تمت الإشارة إلى أن البراغماتية لم تكن الاتجاه الفلسفي الوحيد في أمريكا ، وعلى سبيل المثال فقد برزت الحركة الترستندالية Transcendentalism كحركة فلسفية شهدت أوجها بين 1830 و 1860 [3] – على الرغم من أن جذورها المعرفية تعود أساسا إلى تاريخ الواقع الديني في أمريكا – مع البروتستانتيين والمتطهرين وكذا الكالفينيين ، وقد شكلت رد فعل تمثل في طرح إنساني إزاء الحركات المادية التي

---

(3) Ibid , P37 .
(1) Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy**, P P 46 , 55 .
(2) Ted Honderich , **The Oxford Companion to Philosophy**, P 923 .

زامنت الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر ، من منطلق معارضتها للاستعمال الشديد للعلم والعقلانية الذي ميز عصر الأنوار ، تحت هذا الإطار طورت هذه الحركة أهمية الحدس بوصفه مصدرا للمعرفة [1].

هذا ما تبينه أفكار مارغريت فولر (1810 – 1850) Margaret Fuller في مناصرتـــــــــــها لحقـــــــــوق المــــــــرأة باعتبـــــــــارهـــــا من المؤسســـــــــــــات لمجــــــــــال الفلسفة النسوية (Feminism) في أمريكا [2].

وكذا إسهامات رالف والدو إمرسون في طروحاته الرومنسية المؤسسة على حالة معرفة الذات كشرط أخلاقي ابستمولوجي للمعرفة في شكلها العام [3].

هـــــــذا زيـــــــــادة علــــــــى أعمــــــــــــــال هنـــــــــــري دافيــــــــــد ثورو (1817 – 1826) Henry David Thoreau الملقب برسول الحياة البسيطة The prophet of simple life الذي عمد إلى تطبيق الأفكار المتعالية في العالم الواقعي وذلك بالعودة إلى الحالة الطبيعية للوصول إلى مرتبة السعادة بعيدا عن البهرجة والطلائية .

الحالة الطبيعية عند ثورو لا تؤدي إلى نفي الدولة كجهاز تنظيم وإنما التأكيد على وجوده وأهميته ، شريطة الاهتمام بالذات الفردية للإنسان كحالة متعالية وقوة مستقلة [4].

---

(3) Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy** , P111

(1) Deledalle Gérard , **La Philosophie Américaine** , P 49.

(2) Ted Honderich , **The Oxford Companion to Philosophy**, P 240 .

(3) Thoreau Henry David , **Civil Disobedience** , Flites edition , Medea , Algerie , First published , 2009 , P72 .

والواقع أن الترستندالية اتجاه فكري يحايث أساسا بين الطروحات الفلسفية والدينيـــــــــــة ما يدفعنا إلى اعتباره حالة إيمانية اعتقادية أكثر منها توجه نحو البرهنة العقلية [1] ، وهو الافتراق الأساس الذي يمكن إقراره بين الترستندالية والمثالية بالشكل الذي يوحي بأن الفلاسفة الترستنداليين تأثروا بالمثالية الألمانية ثم أعطوها بعدا ذاتيا بعيدا عن النسقية [2].

بيد أن تجسد المثالية Idealism في الولايات المتحدة ارتبط بتنوعاتها في ظل تقاطع رئيس مفاده أنه لا يمكن أن نتصور شيئا باعتباره موجودا ما لم يتحقق أو يعبر عنه على شاكلة صورة فكرية أو عقلية .

وعلـــــــى سبيـــــــل المثـــــــال أقـــــــــر بوردن بـــــــــاركر باون (1847 – 1910) Borden Barker Bowne بفلسفة تقوم على نقد نظرية المعرفة عند هربرت سبنسر Herbert Spencer ، لكن من دون أن يدحض أهميـــــــة المعطى الحسي في المعرفة ، بالمقابل سعي باون إلى تطوير المثالية الفردية Personal Idealism تحت مسمى الشخصانية Personalism من منطلق إعادة الاعتبار للذات ورفض أي فلسفة لا تأخذها بعين الاعتبار [3].

و لئن كان بوردن باركر باون قد اتجه نحو دراسة الذات الفردية فإن جوزيا رويس (1855 – 1916) Josiah Royce الملقب برائد الفلسفة المثالية قد اتجه نحو

---

(4) Cuvillier Armand , **Nouveau vocabulaire philosophique** , Armand colin , Paris, 1 édition , 1956 , P189 .

(5) محمود زكي نجيب ، **حياة الفكر في العالم الجديد** ، دار الشـــــروق ، بيروت والقاهرة ، ط 2 ، 1982 ، ص 81 .

(1) Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy** , P 200 .

استقصاء الذات المطلقة Absolute Idealism التي تستغرق فيها الذوات الفردية ويتحدد من خلالها الكون كعقل متفرد منظم ، متحكم في الوجود ومرتبط بالواقع [1].

للإشـــــــارة فإن الاتجاهين التجريبيين السابقين شكلا دعامة أساسية لقيام الفلسفة الواقعية ، و بالتالي استئنـــــاف الطروحات الواقعية للعقل الفلسفي الأمريكي كحالة حوار أولا ، ثم كدافع محفز كانت أهم أسباب تجلياته هي اللحظة النقدية التي تشكلت " كهدنة معرفية " أو " استراحة فلسفية " في إطار الفكر الأنجلوسكسوني عامة والأمريكي خاصة الموسوم في لحظات متعددة بأنه معقل الفكر التجريبي .

وتعود هذه الصياغة الأخيرة إلى الأسباب التاريخية المحيطة بالفرد الأمريكي زيادة على خصوصية طبعه ، فقد تراكمت هذه الأسباب جميعها مشكلة ظروفا مناسبة لقيام الفلسفات الواقعية بما في ذلك البراغماتية بل وخصوصا البراغماتية بوصفها الاتجاه الفلسفي المعبر عن الولايات المتحدة الأمريكية .

كما تعتبر التطورية Evolutionism واحدة من الفلسفات المصنفة في رواق الطرح الواقعي ، وذلك بإحداثها لحراك فكري من خلال محاولة تبنيها لطرح علمي يحوز على جوانب فلسفية كما يمتد تأثيره إلى علوم مختلفة .

هذا الحراك ساهم في إحداث عنصر " التحفيز المعرفي للفلسفات الأخــــــرى " وحتى داخـــــــل الطـــــرح التطــــــوري نفســـــــــه ، فمثـــــــلا جـــــــون فيســـــــــك (1842 – 1901) John Fiske وعلى الرغم من تبنيه للطرح التطوري إلا أنه لم يستطع استعاب هذا الطرح إلا ضمن قوة مفارقة تقوم بإنشاء ورعاية هذا التطور [2].

---

(2) Deledalle Gérard , **La Philosophie Américaine** , P 162 .

(1) Hutin Serge , **La philosophie Anglaise et Américaine** , P.U.F , Paris , 3 édition , 1977 ,

كمـــــــا أعلــــــــن الفهــــــــــــم العلمــــــــــي عن حضـــــــوره عبـــــــــــر الواقعيـــــــة الجديــــــــــدة The New Realism سنة 1910 ، وهي التسمية التي عبر عنها ستة باحثين * أمريكيين أثنـــــــــــــاء إعدادهم سنة 1910 لمجلة تحمل اسم الواقعية الجديدة ، وقد جاء عملهم تأكيدا للطرح الواقعي في براغماتية وليم جيمس ، وكرفض للمثالية – خصوصا أفكار جوزيا رويس المؤكدة بأن الأشياء لا تتغير من خلال معرفتنا لها – ليكون البديل طرحا واقعيا يؤكد على استقلالية الواقع عن المعرفة الإنسانية (1).

وهي الأسباب نفسها التي دفعت – خصوصا بين سنتي 1616 و 1910 إلى قيام الواقعية النقدية The Critical Realism المنادية بالتناول الجماعي لمواضيع البحث ، تأثرا بالمنهج العلمي وكذا تعبيرا عن تعاون فلسفي يساهم في تعميق منطق الاحترافية.

لقد تشكلت مجموعة الواقعيين النقديين من سبعة فلاسفة * في الولايات المتحدة الأمريكية ، كما تمحور عملهم في نقد إسهامات الواقعيين الجدد و تأسيس نظرية معرفة تعترف بخصوصية الذات العارفة كحالة مختلفة عن موضوع المعرفة (2).

P 92 .

* الفلاسفة المكونون للواقعية الجديدة هم : 1- رالف بارتون بيري (Ralph Berton Perry) ، 2- هولت (Holt) ، 3- مونتاجيو (Montagyo) ، 4- بتكن (Pitkin) ، 5- سبولدنج (Spaulding) ، 6- مارفن (Marvin) .

(2) Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy** , P 275 .

* الفلاسفـة المكونـون للواقعية النقـــــدية هم : 1- ديورانت دريك (Durant Drake) ، 2- آثر لفجوي (Arthur Lovejoy) ، 3- جيمس برات (James Pratt) ، 4- آثر روجرز (Arthur Rogers) ، 5- روي سولرز (Rowy Sellers) ، 6- جورج سانتيانا (Geoerge Santayana) ، 7- ستروغ (A.C Strog) .

(1) محمود زكي نجيب ، **حياة الفكر في العالم الجديد** ، ص 196 .

داخـــــــــل سيـــاق الواقعيـــة يتشكــــل الاتجاه الطبيعـــــي Naturalism عند جورج سانتــــــايـــانا (1863 – 1952) George Santayana ، الذي يحيل مختلف مواضيع التفكير إلى الطبيعة بوصفها الحقيقة ، خصوصا وأن المسميات التي يحوزها الإنسان على الأشياء المعبرة عن خبرته تنتمي إلى الطبيعة ولا يمكن أن تتجاوز حدودها ، فالطبيعة في نظر سانتايانا لا تتغير بنظرة الإنسان إليها ، هذا الأخير مطلـــــــــوب منه أن يرتبط بما يحيط بـــــه – من خلال وعيه – بطريقة حيادية ، يتعرف من خلالها على الواقع والأشياء كما هي وليس كما يريد أن تكون [1].

في نهاية المطاف يمكن القول بأن الاتجاه البراغماتي خصوصا في سياقه الكلاسيكي الممتد في شكله الرسمي من مقال شارل ساندرس بيرس " كيف نجعل أفكارنا واضحة " سنة 1878 إلى تاريخ وفاة جون ديـــــــــوي سنة 1953 ، قد عاصر – إضافة إلى التيـــــــارات المعرفية التي سبقت – تيارات معرفية متعددة خارج الولايات المتحدة الأمريكية تقاطع مع بعضها وعارض البعض الآخر ، هذا التقاطع والمعارضة شكلا علامة فارقة ساهمت في توفير المناخ المعرفي الأنسب لنشأة وتطور البراغماتية .

---

(2) Hutin Serge , **La philosophie Anglaise et Américaine** , P 111 .

المبحث الثالث : البراغماتية الأمريكية : من المصادر الأولى إلى التمظهر الجديد _

يستند جوهر البراغماتية في التأكيد على وظيفة الخبرة بمعناها المتجدد على المساعدة لتقديم الحلول للتغلب على العوائق وكذا لتلبية احتياجات الفرد داخل السياق الاجتماعي ، وبالتالي ستستحيل المعرفة في نظر البراغماتيين إلى مجرد خواء إن هي لم تساهم في مساعدة الإنسان على حل مشاكله و من ثمة إنجاح الغاية من مبررات الوجود .

فحينما يتحـــــــدد الدافع من التفكيـــــــــر باعتبـــــــاره المنطلـــــــــق والمنتهى لغايات علمية و عملية ، فإننا سنتماهى بالضرورة مع " الروح العلمية " التي كان ينادي بها جون ديوي وذلك برفض التقوقع داخل إطار محدد مسبقا .

وهو ما سعى إليه البراغماتيون في إطار خصائص البراغماتية نفسها التي تتأسس على التفاؤل والاتجاه نحو المستقبل ، ليستحيل الماضي بذلك إلى مجرد مرآة داخلية في سيارة تساعدنا على النظر للخلف لكي نتجه بيسر وسلامة نحو الأمام كإحالة للمستقبل .

وما كان بالامكان تحقيق الثراء الفلسفي في شكله المعاصر عبر الانضواء إلى فلسفة قارية تعطي للمحادثة أهمية بالغة ، لو لم يعمد البراغماتيون إلى تجسيد فكرة الروح العلمية التي كان ينادي بها ديوي ، مستفيدين في ذلك من البراغماتية الكلاسيكية وكذا من تموجاتها وانعطافاتها ، زيادة على اغترافهم من المعين الذي استطاعوا استجلابــــه من أبجديات الفلسفة والثقافة في شكلها العام إضافة إلى الواقع في غناه وتلفظاته .

أولا : خصائص البراغماتية

لا مشاحة أن البراغماتية في أشكالها المتعددة تعد تعبيرا صريحا عن الواقع السائد في الثقافة الأمريكية ، إذ لم يكن بإمكان المهاجرين أن يتأقلموا مع بيئتهم الجديدة في العالم الجديد من دون فلسفة تعطي للنجاح في الواقع أهمية بالغة ، فقد نزل المهاجرون في أرض شاسعة مليئة بالمخاطر ، بيد أنهم إلتجأوا إلى العمل لتدليل الصعوبات من منطلق أن نجاح الفكرة مرتبط بمؤدها في الواقع .

لقد وجدت الأفكار التي اعتملت في واقع العالم الجديد في الصياغات الفلسفية أهم وسيلة لتحقيق التمكن والانتشار، وهذا ما قام به الفلاسفة البراغماتيون خصوصا المؤسسين الذين عرفوا بهذا الاتجاه وبينوا خصائصه * .

وخصائص الاتجاه الفلسفي هو تعبير عن نظريته للمعرفة أي جملة الأسس – الجوهرية والعرضية – التي تميزه عن باقي الاتجاهات ، وبالتالي تعرف به مبرزة في ذلك المساحة التي يشغلها في عالم الأفكار .

ولا يمكن تحديد سعة هذه المساحة المشغولة بعيدا عن تحديد جملة الخصائص التي اتسمت بها الفلسفة البراغماتية و التي يمكن إبرازها على شاكلة هذه العناوين العامة :

1. أفضلية الفعل على النظري ، من منطلق مبدأ بيرس أن تصورنا للموضوع مرتبط أساسا بنتائجه العملية .
2. اعتبار الخبرة منطلق للمعرفة .
3. رفض وجود الشيء في ذاته بحسب ما كانت تؤكده الطروحات الكلاسيكية .
4. النظر إلى الفكرة كوسيلة أو مخطط للتطبيق .
5. النظر إلى الحقيقة في صيرورتها مع إمكانية تغييرها بعيدا عن الرتابة والثبات .
6. التأكيد على دور الاعتقاد في المعرفة .
7. إبراز الطبيعة الاجتماعية للفرد .
8. الدفاع عن الحريات الفردية كحرية التعبير ، البحث ، التدين والنقد .

* لقد أثرنا وضع الخصائص في نهاية الفصل لضرورة منهجية ملحة ، وكذا رغبة منا في تقديم تمهيد معرفي يساهم في تعريف البراغماتية من مختلف جوانبها مما يساعد على تجلية الخصائص على شاكلة استنتاجات .

9 -الدفاع عن الديمقراطية كنظام أنسب للحرية .

10- الإيمان بالتقدم والعمل للمستقبل داخل سياق فردي اجتماعي * .

ثانيا : مراحل تطور البراغماتية : من التأسيس إلى الطرح الجديد

I – المرحلة الأولى :

الواقع أن بداية المرحلة الأولى تتماهى مع الأعراض الأولى لنشأة البراغماتية بشكلها الصريح الذي يعود أساسا إلى النقاشات التي دارت في النادي الميتافيزيقي Metaphysical club ، إذ أن لقـــــــاءات أفراده كانت تتم بشكل غير رسمي في كمبريدج (ماساشوسات) ما بين 1870و 1876 (1) .

وقد جاءت التسمية بحسب مفردة " ميتافيزيقي " التي أطلقها شارل سندرس بيرس هنفا و سخرية من الميتافيزيقا ، و كذا موقفا صريحا من الطروحات المثالية ، ليتحدد هدف النادي الميتافيزيقي في " تقليص الاختلاف والسعي بتفاؤل نحو تأصيل مشترك " من خلال المناقشات التي غلب عليها الطابع العلمي والتي تمظهرت أساسا بالتجسيد الفعلي لكثير من خصائص البراغماتية .

---

* لقد تم الاعتماد في تحديد خصائص البراغماتية على الكتب الرئيسة التالية :

1- الأهواني أحمد فؤاد ، **جون ديوي** ، ص 83 .

2- جديدي محمد ، **فلسفة الخبرة : جون ديوي نموذجا** ، ص 25.

3- Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy**, P P 234 , 235 .

4- Gauchotte Pierre , **Le Pragmatisme** , P P 99, 100 .

5- Hottoi Gilbert , **De la Renaissance a la Postmodernité : Une Histoire de la Philosophie Moderne et Contemporaine** , P 246 .

(1) Ibid , P 264 .

وفي ذكرياته عن هذه المجموعة قال بيرس بأن " شانسي رايت كان أقوى عضو في المجموعـــــــة ، وأظنني كنت بعـــــــــده ، وكــــــان بيننا فرانك أبوت و وليم جيمس وآخرين " [1] .

لقد تجلت الانشغالات المعرفية للنادي الميتافيزيقي في أعمال عديدة من بينها إسهامات شانسي رايت (1830 – 1875) Chancey Wright بوصفه فيلسوفا عالما اتجه نحو نقد إسهامات هربرت سبنسر رغم قناعاته بالتوجه الداروينى ، وعلى النقيض من ذلك اتجهت أعمال عضو آخر هو أولفر هولمز (1841 – 1935) Oliver Holmes إلى نقد نظرية داروين تأثرا بإسهامات هربرت سبنسر .

وقد كـــــــــانت إشــــــــارة نكولاس غرين (1835 – 1876) Nicholas Green لأعمــــــــال الفيلسوف ألكسندر باين (1818 – 1903) Alexander Bain إسهاما جليلا في تفعيل مفهوم البراغماتية تحديدا مفهومه للاعتقاد بوصفه القدرة التي تحث الإنسان على الفع ـــــل ، الأمــــــــر الذي دفع بيرس إلى اعتباره واحدا من الرعيـــــل الأول المؤسس للبراغماتية [2] .

في حين تشكل أعمال الرواد الثلاثة * العنوان الأساس لهذه المرحلة المعبر عنها خصوصا بالانتاجات المعرفية الفعلية .

إذ الملاحظ أن التوجهات المختلفة للرواد الثلاثة لم تنف وجود تقاطعات صميمية أدت إلى بلورت رؤية فلسفية منسجمة تتأسس على الإعلاء من شأن الفعل .

---

(1) William James – cited by - Bleau L . Joseph **Men and Movements in American Philosophy** , P 232 .
(2) Deledalle Gérard , **La Philosophie Américaine** , P 58 .
* لقد سبقت الإشارة إلى خصوصية الطرح البراغماتي عند الرواد الثلاثة في المطلب الثاني من المبحث الأول .

وهذا ما تجلى في إسهام شارل سندرس بيرس واهتماماته العلمية والمنطقية الساعية لتجسيد الحلول المناسبة بعيدا عن المعطيات القبلية والتهويمات الكلامية المتأتية من المذاهب المغلقة .

زيادة على رؤية وليم جيمس للدور المؤثر الذي تلعبه الأفكار والمعتقدات في الحياة العملية من منطلق ربطه بين نجاح فكرة ما وإسهامها في حل مشكلة معينة .

إضافة إلى ميزة جون ديوي في محاولته لاستخدام منهج العلوم في التفكير في القيم التربوية والسياسية والجمالية وغيرها ، إذ أن المعرفة في نظره أداة تستجيب لمطالب الحيــــــاة المرتبطة أساسا بتحسين الوضع الاجتماعي القائم على الاتجاه نحو الديمقراطية .

هذا ويعود الفضل إلى جون ديوي في تأسيسه لمدرسة شيكاغو Chicago School حينما تفرغ لتدريس طلبة الدراسات العليا ، ما مكنه من تكوين حلقة فلسفية ضمت فلاسفة أمثال جورج هربـــــرت ميد (1863 – 1931) George Herbert Mead *، جيمـــــس تافتـــــــــس (1862 – 1942) James Tufts ، جيمس آنجل (1869 – 1949) James Angell [1] .

---

* جورج هربرت ميد (1863 – 1931) George Herbert Mead القطب الرابع في الفلسفة البراغماتية في إطارها التأسيسي ، تقوم فلسفته البراغماتية على الأساس الاجتماعي ، فالمعرفة عنده المعبر عنها بواسطة اللغة هي نتاج التفاعل داخل الحياة الاجتماعية .

للإشارة فإن البراغماتية الاجتماعية عند ميد تزاوج بين الاتجاه الفلسفي والسلوكي من منطلق عمليتي التأثير والتأثر التي يقوم بها الإنسان في علاقتــه مع البيئة (يمكن العودة إلى الطرح البراغماتي عند ميد في مراجع عديدة من بينها كتاب جيرارد دولودال باللغة الفرنسية عن الفلسفة الأمريكية ص ص 185 ، 192 .

(1) Deledalle Gérard , **La Philosophie Américaine** , P 65 .

وكانـــت النتيجـــة إصدار كتـــاب مشترك بعنوان دراسات في النظريـــــة المنطقيـــــــة Studies in Logical Theory سنة 1903 وهو عبارة عن أحد عشر فصلا لديوي وسبعة بأقلام زملائه وتلامذته (1) .

وقد أثارت هذه المدرسة إعجاب وليم جيمس الذي دون بتاريخ 29 أكتوبر 1903 قضية تقديره لجون ديـــوي و إعجابه الشديد بالإنجاز الفلسفي المعبر عنه في مدرسة شيكاغو ، هذه الأخيرة التي استطاعت الجمع – بتعبير وليم جيمس – بين البناء الحقيقي والفكر الحقيقي (2) .

II – المرحلة الثانية :

في هذه المرحلة المؤرخة " للأبناء " أو الجيل الثاني من البراغماتيين ، بدأت معالم جديدة في الظهور متمثلة في نمط من الفلسفة بدأ يحدد تمظهراته الأولى في وسط عرف بالسيطرة الكبيرة للفلسفة البراغماتية .

والواقع أنه ليس ثمة سببا مفصليا لذلك ، بل الأمر لا يعدو كونه تراكما معرفيا أوجده بالخصوص الفلاسفة الأنجلوسكسونيون الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم الألمان بسبب وصول النازيين إلى الحكم ، هذا زيادة على مخلفات الحربيين العالميتين وكذا الانتقادات التي وجهة للبراغماتية والتي رادف البعض بينها وبين الميكيافيلية والإلحاد وإنكار القيم .

---

(1) الأهواني أحمد فؤاد ، **جون ديوي** ، ص 27 .

(2) Deledalle Gérard , **La Philosophie Américaine** , P P 64 ,65 .

كما يمكن القول بأن انحصار الدعاية الإعلامية مع وفاة وليم جيمس سنة 1910 ، وكذا شارل سندرس بيرس سنة 1914 كانت سببا آخر ، على الرغم من إشارات جون ديوي وكذا فرديناد شيلر (1864 – 1937) Ferdinand Schiller بايجابية الحالة الفلسفية للبراغماتية خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية [1] .

لقد ظهر التأثير الخاص لفلاسفة الوضعية المنطقية وكذا التحليل إضافة إلى بعض الفلسفـــــــات الأوروبية بشكله الواضح والجلي بداية من سنة 1930 في ضوء الاجتهادات الفلسفيـــــة للبراغماتييـــــن الأبنـــــــاء ، هذا ما يظهـــــــر من خـــــــلال أعمــــــــال سيـــــــدنـــــي هــــــــــوك (1902 – 1989) Sidney Hook الذي أعطى البراغماتية بعدا اجتماعيا نتيجة تأثره بالفلسفـــــــة الماركسية ليتحول بعد ذلك إلى ناقد للشيوعية من زاوية ديمقراطية اجتماعية .

علما أن فلسفة هوك كانت تنظر إلى الإنسان في عموميته بأنه حالة تنوس بين حدين متناظرين : الحد الأقصى في الروعة والشيء نفسه بالنسبة للبشاعة الأمر الذي يمكنه من أن يجعل العالم من حوله رائعا أو كريها [2] .

كما انصب اهتمام شارل وليم موريس (1901– 1979) Charles William Morris على حــــــــــــــــل إشكـــــــــالات فلسفة العلـــــوم في إطار الرغبة في تطوير نظرية بيرس في العلامات [3] .

أما كلارنس إرفينغ لويس (1883 – 1964) Clarence Irving Lewis فقد اتجه بالبحث في مرحلة أولى في المنطق الرمزي ثم في الابستومولوجيا ونظرية القيم العامة وكذا الفلسفات الاجتماعية ، ساعيا لإعطاء بعد مفاهيمي للبراغماتية [1] .

---

(1) Gauchotte Pierre , **Le Pragmatisme** , P 107 .
(2) Ted Horderich , **The Oxford Companion to Philosophy**, P 400 .
(3) Deledalle Gérard , **La Philosophie Américaine** , P 204 .

وبشكل عام فإن الوضعية المنطقية – سواء في أساسها الأول الناتج عن البرنامج المعرفي لحلقـــة فينا Vienna Circle أو أثناء تطورها المعرفـــــي على شاكلة طرح تحليلي – قد ساهمت في إثراء البراغماتية بسبب التقارب الكبير في نظرية المعرفة المعتمدة أساسا على فكرة التحقق العلمي .

على الرغم من الاختلافات التي أقرها شارل موريس في إشتغالاته المعرفية الأولى بين البراغماتية و الوضعية المنطقيـــــــة ، باعتماد الأولى على ما هو بيولوجي واجتمـــــــــاعي و تركيز الثانية على ما هو منطقي وفردي [(2)] .

كما يتجلى الطرح الوضعي المنطقي في اقترابه من البراغماتية في أعمال رودولف كارناب (1891 – 1970) Rudolf Carnap الذي هاجر إلى الولايات المتحدة في أواخر سنة 1935 ، وقد عمد في فلسفته إلى الاهتمام بالمعنى داخل سياق تداولي مع تأكيده على حالات خاصة تكون فيها الكلمة لفظا من دون أن تلبس معنـــــــى ، أو يتغير معناها عبر تطورها التاريخي ، أو تفقد معناها دون أن تستحوذ على معنى جديد [(3)] .

وكتفسير لموقف كارناب يقول مورتون وايت (Morton White) : "كان الغرض من هذا الابتكار– في إشارة منه لمجهود كارناب الفكري – تجنيب الفلاسفة والعلماء مشقة المناقشة بلا طائل حول أسئلة لا معنى لها ، كان يهدف إلى نعت أي قول علمي مبني

---

(4) Ted Horderich , **The Oxford Companion to Philosophy**, P 513 .
(1) Deledalle Gérard , **La Philosophie Américaine** , P 209 .
(2) كارناب رودولف وآخرون ، (حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة) ، **كيف يرى الوضعيون الفلسفة** ، تر : نجيب الحصادي ، دار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان ، دار الأفاق الجديدة ، ط 1 ، 1994 ، ص 142 .

على الافتراض ومتعذر إثباتـــــه أو نفيه بالاعتمـــــــــاد على الخبرة الحسية بأنه عديم المعنى .." [1] .

كمـــــــا يتضح هذا التقارب في أعمال لودفيج فتغنشتاين (1889 – 1951) Ludwing Wittgenstein ، تحديدا في المرحلة الثانية من تفكيره الفلسفي أثناء تخليه عن النظرية التصويرية للغة واقتناعه بالبعد التداولي الناتج عن استعمال المفردات في الواقع المعيش ، جاء هذا التحول بعد مناقشاته العديدة وكذا سفره لبريطانيا ثم للولايات المتحدة الأمريكية حيث تأثر في هذه الأخيرة بمنجزات الفلسفة البراغماتية على المستويين المادي والمعرفي .

III – المرحلة الثالثة :

" ابتداء من سنة 1960 اقتحمت البراغماتية بحدة مجالات الفلسفة التحليلية والوضعية المنطقية لدرجة أنه أصبح من المتعذر التمييز بين هذه الفلسفات " [2] .

بيـــــــد أن ، هذه الحدة التي تحدث عنها بيـــــــــار غوشوت Gauchotte Pierre مع كواين و سولارس سرعان ما بدأت تتحدد معالمها داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها في إطار تمظهرات جديدة عمدت إلى التخفيف من أوجها بسبب انتشار الاتجاه الأكاديمي الاحترافي في الفلسفة الأمريكية المعاصرة ، و كذا تنوع مواضيع البحث العائدة أساسا إلى التطور الهائل للفلسفات التطبيقية ، بحيث أصبح الفلاسفة

---

(3) مورتن وايت ، **عصر التحليل ، فلاسفة القرن العشرين** ، تر : نجيب غزاوي ، مطبوعات وزارة التعليم العالي ، سوريا ، د ت ، ص 226 .

(1) Gauchotte Pierre , **Le Pragmatisme** , P 113 .

الأمريكان المعاصرون يتناولون بالبحث والاستقصاء مواضيع كالعدالة ، الفلسفة النسوية ، الثروة الاجتماعية ، الإجهاض ، الدفاع العسكري .... [1] .

ورغم أن المرحلة الثالثة تتماهى مع الإقرار بالتنوع إلا أننا يمكن الحديث عن رافدين أساسيين في الفلسفة الأمريكية المعاصرة .

الرافد الأول عمد إلى إحداث المماهاة بين الوضعية المنطقية والبراغماتية – منطلقا من الوضعيـــــــة المنطقيـــــــــة كأســـــــــاس – وإلى هـــــــؤلاء ينتمــــــــي ويـــــــــــلارد فان أورمان كـــــــــواين (1908 – 2000) Willard Van Orman Quine الذي عمل على إيجاد العلاقات بين التصورات الوضعية المنطقية والبراغماتية ، و قد تحقق ذلك من خلال الطرح الأمبريقي والنسبية إضافة إلى نزعة ديوي الطبيعية . [2]

بينما يتجه الرافد الثاني إلى تغليب الأساس البراغماتي ، مما دفع بعض النقاد إلى تسميتهم بالبراغماتيين الجدد أو الموجة الثالثة وهم المعبرون عن جيل الأحفاد الذين آثروا العودة

إلى المظان الأولى للبراغماتية أو ما يعرف بالعصر الذهبي من منطلق أن التوجه البراغماتي نفسه يهتم بالمعاني والتحقق الأمر الذي قامت عليه طروحات التحليلية والوضعية المنطقية .

والظاهر أن سمة الفلسفة في هذا الرافد هي محصلة تحولات وانعطافات حدثت نتيجة الخروج عن السيطرة التامة للوضعية المنطقية ، بمقابل الاتجاه نحو بعد تداولي اجتماعي وهو الأمر عينه الذي تجسد مع المسار الفلسفي عند لودفيج فتغنشتاين .

---

(2) Ted Horderich , **The Oxford Companion to Philosophy**, P 26 .

(3) Gauchotte Pierre , **Le Pragmatisme** , P 113 .

وإلى هؤلاء ينتمي الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي (1931 – 2007) Richard Rorty الذي حملت فلسفته عنوان البراغماتية الجديدة New Pragmatism .

الفصل الثـــــــــــــــــــــاني

<u>الفصل الثاني :</u> الخصوصية الفلسفية للبراغماتية الجديدة

<u>المبحث الأول:</u> الفلسفة عند رورتي : البدايات الأولى

الفعل الفلسفي نتاج القراءة و الكتابة ،حيث تعد الكتابة وليدة القراءة ، والقراءة في مداها النظري رغبة تؤججها فهم معاني الكتابة ، و من ثمة لا يمكن للفيلسوف أن ينخرط في عمليــــــــــة الكتابـــــة إن هو لم يبدأ بفعل القراءة ، قراءة الكتب و الواقع بشكل استكشافي ونقدي .

و الحال أن الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي لم يشكل الاستثناء ، عبر مسيرة فلسفية لم تتخللها إلا الصعاب ، وهي المسيرة المتعلقة أساسا بقراءة الإرث الفلسفي الغربي بهدف فهمه و تفكيكه .

زيـــــادة على البحث عن الجدة من خلال العودة إلى المظان الأولى للفكر الفلسفي الأمريكي ، وتوثيق ذلك لتشكيل الرؤية وتوضيح المقصد .

أولا : السيرة الحياتية و التكوين الفلسفي

ولد الفيلسوف الأمريكي ريتشارد ماك كاي رورتي Richard Mc Kay Rorty بنيويورك في الرابع من شهر أكتوبر 1931 * في بيت يعطي للمعرفة والسياسة على وجه الخصوص شأنا كبيرا ، فوالده جيمس رورتي James Rorty كان صديق للفيلسوف سيدني هوك (1902 – 1982) Sidney Hook المعروف بتوجهاته اليسارية ، هذا ما أهله لينخرط مبكرا في حوار معرفي يسائل طورا ويتبنى تارة أخرى مواقف والده اليسارية الجديدة المضادة للستالينية .

وهو الأمر الذي يؤكد عليه أثناء عرضه لجوانب مهمة في سيرته الذاتية المقتضبة المعنونة بتروتسكي والأوركيد البري Tortsky and the Wild Orchids ، شارحا البدايات

* لقد انتهت حياة ريتشارد رورتي بتاريخ الثامن من جوان 2007 من جراء مرض خطير ألم به .

الأولى التي جعلته ينشأ بفهم أسري يدفع للاعتقاد بأن التثقيف الفردي اللائ ق لا يتباعد عن الإقرار بأن يكون الشخص تروتسكيا أو اشتراكيا على الأقل (1).

وبالفعل تجلى هذا التكوين – كما يقر رورتي – في فكرة رئيسة جعلها عنوانا لمساره حينما بلغ سن الثانية عشر ، فقد أدرك أن ما يجعله إنسانا هو أن يخصص حياته للنضال من أجل العدالة الإنسانية (2).

في سنة 1946 التحق رورتي بقسم الفلسفة في جامعة شيكاغو التي كانت تضم آنذاك كأساتذة باحثيـــــــــن متميزيــــــــــن في الشأن الفلسفي خصوصا الطرح التحليلي علـــى شاكلــــــة رودلـــــف كارنـــــاب (1891 – 1970) Rudolf Carnap وشارل هارتشون (1897 – 2000) Charles Hartshorne .

حيث تحصل على إجازة في الفنون * Bachelor of Arts (BA) سنة 1949 ، كما آثر البقاء في شيكاغو من أجل الحصول على ماستر في الفنون (الآداب) Master (MA) of Arts سنة 1952 حول فلسفة وايتهايد بعنوان " استخدام وايتهايد لمفهوم القوة Whithead's Use of the Concept of Potentiality ، بإشراف شارل هارتشورن ، ثم انتقل إلى جامعة يال University of Yale حيث تحصل على الدكتـــــــوراه في

(1) Rorty Richard**, Philosophy and Social Hope**, Penguin Book , London , First published , 1999 , P 06 .
(2) Ibid P 09 .

* هو نمط من النظام التعليمي الجامعي الأمريكي ، ففي إطار التدرج الأول (BA) تحيل إلى دراسة المعرفة الإنسانية بتخصصاتها المتعددة ، في حين BSC تعبر عن إجازة في العلوم .

الفلسفـــــــــــة سنة 1956 أثنـــــــاء مناقشته لموضوع " مفهوم القوة " The concept of potentiality تحت إشراف بول ويس Paul Weiss [1].

ويلاحظ أن إجازات رورتي الفلسفية ارتبطت أساسا بمواضيع علمية ، وقد يفهم الأمر حينما ندرك طبيعة الجو الأكاديمي الذي ساد في الجامعات الأمريكية حينذاك والمتسم بسيطرة التحليلية وكذا الوضعية المنطقية .

وللعلـــــم فإن طريقة وايتهيد المنهجية ارتكزت أساسا على أهمية المراجعة للمواقف الفلسفية ، مما جعل المتابعون لفلسفته يقسمونها إلى مراحل ثلاث الأولى رياضية ومنطقية قبل سنة 1914 والثانية علمية فيزيائية من سنة 1914 إلى 1924 والثالثة ميتافيزيقية تاريخية من سنة 1924 إلى 1947 [2].

والواقع أن هذا التنوع والميل إلى التأمل الشديد في الأفكار بغرض التعديل والمراجعة ، أمر أثار إعجاب رورتي الذي أعلن أن وايتهيد يشكل نموذجا مناسبا للتأثر الفلسفي ليس لطريقته في استعمال الكلمات فقط ، وإنما لكارزميته وعبقريته وكذا لرومانسيته [3].

أما في سنة 1961 وبعد تمضيته لسنتين كخدمة عسكرية ، تحصل رورتي على على أول تعيين أكاديمي في والسلي كوليج * Wellesly college ثم انتقل بعد ذلك إلى جامعة برستون Princeton Univrtsity حيث استقر هناك إلى حين انتقاله إلى جامعة فرجينيا University of Virginia تحديدا قسم الانسانيات .

---

(1) جديدي محمد ، **الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشـــارد رورتي** ، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، مطابع دار العربية للعلوم ، بيروت ، ط 1 ، 2008 ، ص 73 .

(2) Ted Horderich , **The Oxford Companion to Philosophy**, P 956 .

(3) Rorty Richard , **Achieving our Country** , Harvard University press , USA , first publishing , 1999 , P P 128 , 129 .

* حافظنا هنا على التسمية نفسها لأنها تحيل إلى اسم الكلية التي تنتمي إلى الجامعة .

وفي سنة 1998 غير وجهته إلى جامعة ستانفورد Stanford University بهدف التدريس في قسم الأدب المقارن .

لقد أبان ريتشارد رورتي عن حضور فلسفـــي متميز من خلال قراءاته النوعية و المتنوعة ، و كذا في انخراطه عبر كتاباته ومجالاته الفكرية في مناخ فكري متجدد الأفاق ، لم يكن في غالب الأحيان متاحا للفلاسفة الأمريكيين .

لقد كانت قراءاته المتنوعة سببا رئيسا في تشكيل المنجزات الفلسفية التي قام بها ، إذ لم يكن مقتصرا على القراءة الفلسفية الصرفة وفق ما كانت تحدده طروحات فلسفات معينة ترى للفلسفـــة نقطـة بداية ونهايـــة ، وإنما تعددت مجالات اهتماماته إلى صنوف معرفية شتى .

والواقع أن تنوع القراءة ونوعيتها تعطـــي للباحـــث فرصة التشكل في إطار تعددي يبعد – نظريا على الأقل – حق ادعاء تملك معرفة معينة فيصل القول .

وقد يكون مرد التفرد إضافة إلى تكوينه المعرفي ، اعترافه في سيرته الذاتية المقتضبة وكذا في جملة حواراته بغوايته الجميلة تجاه الطبيعة وحبه للتنزه والتأمل في الأمداء الواسعة والفضاءات المفتوحة ، اتضح ذلك جليا في إقراره بولعه برحلات الطيور وكـــذا نمو النباتـــات والأزهـــار ، خصـــوصا أزهار الأوركيد البري Wild Orchids التـــي

كان يراقـــب نموها في جبال الشمال الغربي لنيوجرسي New jersy " لقد كنت – يقول رورتي – أزهو بنفسي كثيرا باعتباري الوحيد الذي كان يعرف مكان نموها ، وأسماءها اللاتينية وكذا أوقات تفتحها ، أما في نيويورك فكان لزاما علي أن أتجه صوب المكتبة

العامة من أجل قراءة أو إعـــادة قراءة مجلد القرن 19 في علـــم النباتات الخاص بأوركيــد الشرق الأمريكي " [1].

لقد حضرت المعرفة والطبيعة كعامل تعويض أساسي في شخصية رورتي إزاء إثاره للعزلة في ظل غياب تام لأصدقاء الطفولة ، إذ كانت طفولته فكرية بامتياز بالنظر إلى الوسط الذي عاش فيه ، والذي غلب عليه النقاش في ميادين المعرفة أكثـــــر من أي شيء آخر ، إذ أن رفوف مكتبة الأسرة كانت عامرة بكتب تتعلق باهتمامات الوالد " اليسارية " خصوصا الكتب المتعلقة بتروتسكي الشيء الذي جعلها محل اهتمام بالشكل الذي يهتم في بيوت أخرى بالكتاب المقدس [2].

ولم يكن الاهتمام بالجانب الفكري مرتبطا بوالده جيمس أو والدته وينفرد رورتي Winifred Rorty ، بل تعدى الأمر إلى جده – من جهة أمه – ولتر روشنبوش Walter Ranschenbusch القسيس وعالم الاجتماع المتأثر هو أيضا بالطروحات اليسارية والذي اتجه بخطبه إلى محاربة عبدة المال (Manmonism) الذين – كما قال عنهم – خربوا الناس من أجل أطماعهم الشخصية [3].

لقد كانت الخلفية السابقة في تنوعها كافية لتشكيل الرغبة في المعرفة والتطلع ، مع حضور اهتمامات غريبة دفعته كيافع أن يرسل التهـــــــاني الحـــــــارة إلى الدلاي لامـــا (Dalailama) المعين حديثا كحالة وفاء بالعهد [4].

وقد تشكلت هذه الرغبة من خـــــلال التواصـــــــل مـــع فعل القراءة خصوصــــــا ما كتبـــه ت . س إليوت T . S Eliot ، تحديدا أفكاره المتعلقة بدور

(1) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 06 .
(2) Ibid , P 05 .
(3) Rorty Richard , **Achieving our Country ,** P 59 .
(4) Rorty Richard **, Philosophy and Social hope** , P 06 .

الإيمان الديني في التغلب على النوازع الذاتية للفرد ، بغية التكيف الطبيعي مع الحياة ، ليتجه بعد ذلك إلى قراءة نصـــــوص أفلاطـــــون ومحـــــاوراته خصوصا تلك التي تمـــاهي بين الفضلية و المعرفة ، داخل هذا السياق أحس رورتي أن حضور المعرفة الفلسفية أصبح أمرا واقعا على حساب المعرفة الدينية ، وبدأ معه " الحلم الفلسفي " الذي أراد من خلاله رورتي أن يصبح فيلسوفا بالمعنى الإحترافي منتصرا في ذلك لمبدأ سقراط في المعرفة ، ساعيا أن يجسد هذا الحلم من منطلق تجربة معيشة تجسدت كفرصة نادرة كان يرى من خلالها مفكرين وباحثين ضمن إطار القرابة والصداقة .

بيد أن اهتماماته الفلسفية الأولى إلى غاية سنة 1960 – كما يقول رورتي نفسه – ظلت في إطار البعد التاريخي والميتافيزيقي للفلسفة [1] ، إطار تاريخي حاز على الضرورة تبعا لغايته المرجوة ، وهو ما عمد رورتي إلى تجسيده في إطلاعه على التاريخ كمعرفة وكذا تاريخ الفلسفة ، فبالنسبة له لا غنى لمتخصص الفلسفة عن المعرفة بمتـــــون الفلسفة اليونانية ، لأنها تشكل مصدر وغنى الخطاب الفلسفي برمته من زاوية الاجتهادات المعرفية الحاصلة ، كما أن العصر اليوناني هو عصر الفلسفة بامتياز.

ثم إن الاتجاه نحو التخصص في الفلسفة لم يكن وليد الصدفة ، وإنما جاء نتيجة اهتمام فردي شكلته ظروف أسرية ارتبطت أساســا بانشغالات أوليائه المعرفيـــــــة ، وكذا إلى طبيعة الأسئلة التي كانت تلازمه والتي أبانت عن وجودها ، هذا زيادة على

(1) Fastenstein Mathen and Simon Thompspn , **Richard Rorty : Critical Dialogues ,** Black well Publishers , London , 1 published . 2001 , P 19 .

التشجيع والتعضيد المنقطع النظير الذي قدمه صديق العائلة سيدني هوك حينما استشاره رورتي برغبته في تعميق مساره الفلسفي [1].

لقد كانت بدايات رورتي الأولى ميتافيزيقية وتاريخية مكنته من تحصيل الأرضية الأســاسية والتي تشكلت في بداياته الأولى مع قراءات غلب عليها الطابع المثالي ، وقد يفسر الأمر تماشيا مع السنوات الأولى للباحث المعبرة عن طموح يتماهى وأبعاد مثالية تعمد التجربة إلى صقلها بعد ذلك ، وهذا ما اتضح أثناء التكوين المعرفـــــــي داخل الإطـــــــار الأكاديـــــمي الذي غلبت عليه سيطرة التوجهات العلمية المؤسسة على فكـــــرة التحقـــــــــق وهـــــو الأمـــــــر الذي ظهر جليا مع المنعطف اللساني The Linguistic turn سنة 1967 .

بيد أن إهمال التوجه التحليلي للبعد الاجتماعي وبعد قراءات متنوعة خصوصا لديوي ، فتغنشتاين و هيدغر ، عمد رورتي إلى العودة إلى المظان الأولى مقترحا بعثا جديدا للبراغماتية ، وكانت نقطة الانطلاق المؤشرة للمرحلة الثانية إصداره لكتاب الفلسفة ومرآة الطبيعة Philosophy and the Mirror of Nature سنة 1979 [2] ، وهو التقييم الذي يؤكد عليه جلبرت أوتوا Gilbert Hottoi مبرزا سمات كل مرحلة وظروفها المعرفية و مؤكدا على طبيعة الانفتاح في المرحلة الثانية على المسائل المرتبطة بالأخلاق ، الاجتماع ، القانـــون والسياسة خصوصا وكـــــــــذا الفن [3] .

والحقيقة أن المسار المعرفي لرورتي لم يكـــــــــن سهـــــــــلا بالنظر إلى الانتقــــــادات الشديـــــــــدة و الحملات التي أججت حوله ، بأحكام مختلفة تصل في أحيان كثيرة إلى حد التناقض ، فهو إلى جوار اعتباره فيلسوفا عالميا أبان عن جهد

---

(2) جديدي محمد ، **الحداثة وما بعد الحداثة في الفلسفة ريتشارد رورتي** ، ص 73 .

(1) Pettegrew John , **A Pragmatist's Progress : Richard Rorty and American Intellectual History** , Rowman and Little field Publishers , Mary land , USA , 2000 , P 09 .
(2) Hottoi Gilbert , **De la Renaissance a la Postmodernité ,** P 472 .

فلسفي بالغ الأهمية ، يعد أيضا من طرف أصحاب الثقافة المحافظة " واحدا من النسبيين ، اللاعقلانيين ، التفكيكيين ، الساخرين (...) الذين تضعف كتاباتهم الأوتار الأخلاقية للشباب " [1].

ثانيا : الإنتاج المعرفي والانعطاف البراغماتي

لقد تأكد النشاط الفلسفي لرورتي من خلال مؤلفاته التي أبانت عن جهود معرفية معتبرة * ، كما أنها ساهمت إلى حد كبير في التعريف بشخصيته الفلسفية التي تؤسس فهم الأفكار و الأشياء على الصيرورة وضحد الانقضاء .

وكان أول إنتاج معرفي لرورتي في شكله الاحترافي ممثلا في الإشراف وكتابة مقدمة المنعطف اللساني The Linguistic Turn (LT) سنة 1967 ، حيث يظهر توجهه التحليلي من منطلق أن الكتاب برمته يتعلق بفلسفة اللغة ، والواقع أنه لا مجال للحديث عن الاتجاه التحليلي بعيدا عن دراسة اللغة هذا ما يوضحه رورتي بقـــوله : " إن الغاية من هذا المؤلف هو توفيــــر الآليات من أجل التفكير في أغلب الثورات الفلسفية الجديدة ، المتعلقة بفلسفة اللغة ، مـــن منطلـــــق أن الإشكــــالات التي تتجه نحو الحل سيتعامل معها إما بإعـــــــادة تشـــــكيل اللغـــــــة ، أو بالعمل على فهم أكثر للغة التي نستعملها في الوقت الحاضر " [2] .

وبظهـــــــــــــور كتابــــــه الثاني Philosophy and Mirror of Nature الفلسفة ومرآة الطبيعة (PMN) سنة 1979 ، الذي عد من طرف كثير من النقاد إشارة واضحة

---

(3) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 03.

* لقد تم التأكيد على ما جاء في المؤلفات انطلاقا من الإعلانات المعرفية التي كان رورتي يقدمها في مقدمة كتبه زيادة على الإطلاع على مضامينها .

(1) Rorty Richard , **The Linguistic turn** , P 3 .

إلى التفرد الفلسفي ، تشكل عند رورتي وعي جديد اعتبره جون بتغرو John Pettegrew علامة فارقة تعلن العودة إلى الأصول البراغماتية من خلال إبراز أهمية مشروع ديوي الفلسفي وكذا رفض التأسيسات والتأكيد على الطابع المنشئ للفلسفة إضافة إلى نقد الابستمولوجيا التي ترى في المعرفة حالة تصويرية للواقع [1]

في حين شكل كتاب نتائج البراغماتية (C.P) Consequences of Pragmatism الصادر سنة 1982 العنوان الأبرز والمنعطف الحقيقي المعلن – صراحة – للحضور البراغماتي في زيه الجديد على الرغم من اعتراف رورتي المبدئي في مقدمة الكتاب بأنه لا يوافق على جميع الأفكار المعبر عنها ، خصوصا تلك التي تعود كتابتها إلى بداية السبعينيات .

لقد شكل كتاب نتائج البراغماتية أوراق الاعتماد (Credentials) لتشكيل الخطاب الجديد المحاكي والمحاور لإنتاجات فلسفات ما بعد الحداثة ، وهو الذي وضع بحسب جون راجشمان (John Rajchman) البراغماتية على بساط السجال المعرفي بإحداثه ثورة في مفهوم الفلسفة من جهة وللانفتاح الذي حصل خصوصا على الفلسفـــــة الفرنسيـــــة والألمانية المعاصـــرة مـــــن جانـــب آخـــــر [2] ، من جهـــــة أخـــــــرى يعــــد كتـــاب العارضيـــة ، الساخريـــة و التضامن (C.I.S) Contingency , Irony and Solidarity حلقة أخرى لتوطيد أركان المشروع الفلسفي الرورتوي ، وذلك بمناقشة وتحليل مواضيع متنوعة تنتمي إلى النقد الأدبي وفلسفة الأخلاق والسياسة في إطار يتجه نحو اللاتأسيس ، ويعلن عدم وجود

(2) Pettegrew John , **A Pragmatist's Progress : Richard Rorty and American Intellectual History,** P 09 .

(1) Rajchman John **, Philosophy in America** , in , **Post Analytic Philosophy** , Columbia University Press ,USA : 1985 , P XI .

حقائق مطلقة ، ليشكل خطابه برغبة رورتي في السعي الحثيث ليتجاوز اللغة الكلاسيكية بمقابل الاتجاه نحو التجديد والبحث عن مصطلحات بديلة .

وقد واصل رورتي بسط معالم تصوره المعرفي الحامل لعنوان البراغماتية الجديدة في سلسلـــة كتـــــب تقـــــع في فتـــــــرات زمنيـــــــة متباعـــــدة ، عبـــــــر عنها بمشروع أوراق فلسفية (Philosophical Papers) بداية مـــــع كتـــاب بعنـــوان موضـــــوعيـــــة ، نسبيـــــة وحقيقيـــــة (ORT) , Objectivity , Relativism , and Truth المؤلف سنة 1991 .

والحال أن موضوع الكتاب متضمن في عنوانه ، إذ أن رورتي قد واصل في سياق تأكيده للخاصيـــة اللاتمثيلية في تحديد العلاقة بين العلم الطبيعي وبقية أصناف المعرفة ، مؤكدا على أن العلم – أو المعرفة في شكلها العام – لا يحيل على الحقيقة الموضوعية بقدر ما يعبر عن عادة مكتسبة التعامل مع الواقع أساسها الفعل ، بينما يحيل الكتاب الثاني المنتمي إلى مجموعة أوراق فلسفية والمعنون ب : محاولات في هيدغر (EHO) Essays on Heidegger and Others الصادر سنة 1991 إلى تجسيد التواصل مع الفلسفة القارية تحديدا الفلسفة ما بعد " نيتشوية " في ضوء الرؤية التي تتجه نحو خلخلة وتقويض المركز وكذا إعـــــادة قـــــــــــراءة التاريخ الفلسفي في إطـــار المحادثة خصوصا مع نموذجي مارتن هيدغر وجاك دريدا .

وقد اعترف رورتي في هذا الكتاب بأن مرجعية تناول هذا النمط من التفكير الفلسفي عائد أساسا إلى التقاطعات العديدة التي تضعه إلى جوار البراغماتية الجديدة سواء في نقد الميتافيزيقا أو رفض مطابقة الحقيقة للواقع .

أمـــــا الجـــــــزء الثالـــــــث من أوراق فلسفيـــــة الصادر سنة 1998 فقـــــد عنونـــــــه رورتـــــي بــــــ " حقيقة وتطور " (TP) Truth and Progress ، حيث

يؤكد فيه على عدم جدوى البحث عن الحقيقة المطلقة كما توهمنا بذلك نماذج ممثلة من التوجهات المعرفية ، بل أن الأمر كله لا يعدو كونه حلا لإشكالات و ذلك بالاستفادة من التطور الفلسفي الحاصل في تاريخ الفكر مع العمل على توظيف طرائق جديدة أثناء الاستعمال الفلسفي .

وفي السنة نفسها أصدر رورتي كتاب انجاز بلدنا Achieving our Country (A.C) والذي عمد فيه إلى نقد ما بعد البنيوية ، زيادة على تقديم تبصر متميز حول المجتمع ، أو اليسار التطوري المناقض للشيوعية والمتحقق أساسا – كما يرى رورتي – في البراغماتية بالمعنى الـــــــــذي ذهب إليـــــه وايتمان و ديوي ، و القاضي بالتعامل مع الديمقراطية بكونـــــــــها " دينا مدنيا " .

كما تضمن كتاب إنجاز بلدنا جزءا كبيرا من سيرة رورتي الذاتية خصوصا أثناء مرحلة البدايات التي تجلى فيها التأثر بالأفكار اليسارية من زاوية البحث عن قوانين جديدة وطرائـــــــق إدارية مبتكــــــــرة في التنظـــــيم الإداري والغـــــرض مــــــــن ذلــــــك كما يقول رورتي : " لا يتباعد عن تجسيد العدالة في توزيع الثروة (1) .

كما تواصل العرض الفلسفي لتوجه رورتي المعرفي مع كتاب الفلسفة و الأمل الاجتماعي Philosophy and Social hope الصادر سنة 1999 ، الذي أكد فيه بأن الفلسفة وفي إطار بحثها المعمق عن الثنائيات التقليدية : واقع ، مظهر ، مطلق ، نسبي عمدت إلى تضييع كثير من الفرص المعرفية التي تتجه نحو تطوير الإنسان بما يتجه نحو تحسين حياته في إطار التنوع المبني على خاصية الاعتراف بحقوق الإنسان ، هذا ما دفع رورتي – في كتابه – إلى رفض فكرة الحقيقة الماهوية بمقابل الانتصار للاتفاق أو التواضع المؤسس على التصور الديمقراطي الحقيقي لحرية التغيير ولن يكون ذلك في

(1) Rorty Richard , **Achieving our country ,** P 60 .

نظر رورتي " بعيدا عن التجسيد الفعلي للبراغماتية باعتبارها فلسفة أمل ترنو إلى تمجيد المستقبل " [1] .

وقد جاء الأمل الاجتماعي معبرا عن سمة التفاؤل بالحياة و المستقبل خصوصا ، وذلك بالأخذ بعين الاعتبار مسألتي الديمقراطية و العدالة ، إذ لا يجوز في – نظر رورتي – الحديث عن الأمـــــل أو التضامـــــــن بعيـــــدا عن سعـــــي حثيـــــث يعطـــــي للبراغماتية حضورهـــا من زاويـــــة فاعليتـــــــها الميدانيـــــة داخل السياق الاجتماعي في تجلياته المختلفة أدبيـــــــا وسياسيـــــا وبمقابل ذلـــــــك يعد كتاب الفلسفة كثقافة سياسيـــــــــة (Philosophy as Cultural politics (P.O.P واحدا مـــن أهم وآخر إصدارات ريتشارد رورتي المزامنة لسنة 2007 تاريخ وفاته .

وقد عمد فيه عبر فصول معينة إلى العودة إلى مظانه المعرفية الأولى محاولا قراءة توجهه الفلسفي السابق عن طريق التحليل البراغمـــــاتي ، مركزا علـــــــى مواضيع الدين و الأخلاق و كـــــــذا و ضعيـــــــة الفلسفة في إطار ما هو ثقافي ، ليكون الهدف من البحث و الحياة في نهاية المطاف – بحسب رورتي – عمل حثيث و دائم " لزيادة سعادتنا على الأرض " [2] .

---

(2) Rorty Richard**, Philosophy and Social Hope** , P 27.
(1) Rorty Richard, **Philosophy as cultural politics** , Cambridge University press , UK , 2007 , P 04 .

<u>المبحث الثاني :</u> البراغماتية الجديدة : المفهوم والخصائص

عـــــــادة ما يربــــط المهتمون بالشأن الفلسفي بين البراغماتية الجديدة و ريتشارد رورتي ، لكزنه أقر العودة إلى البراغماتية الكلاسيكية معتبرا إياها منطلقا ، ليعمل على إيجاد جملة الإضافات بالشكل الذي يجعل فلسفته مرتبطة بالعصر وموائمه لمختلف منجزاتـــــــــه الفكرية و العلمية .

إن نطاق الجدة الذي عمد في ضوئه رورتي إلى تحيين البراغماتية عائد بالأساس إلى جملة السمات التي أقرها لفلسفته ، وقد سانده في ذلك ثلة من الفلاسفة و النقاد على شاكلة جان بياركوميتي Jean – Pierre Cometti في دراسته المعنونة بالفلسفة دون امتيــــاز La philosophie sans privilège ، والتي رأى من خلالـــــــها أن فلسفة رورتي لا يمكن أن تفهم بعيدا عن تقويض الماهية و التمثيل و التأسيس .

أولا : التعريف بالبراغماتية الجديدة

I - إطلالة على المفهوم :

إن تصفحا معمقا لأبجديات الثقافة الأمريكية فيما يتعلق بمدلولات مصطلح البراغماتية الجديدة (Neo pragmatism – New pragmatism) يحيل إلى تعدد في المعنى يشير أغلبه إلى اتجاه فلسفي ، فهو عند البعض مرادف للنزعة السلمية الجديدة التي تأسست بنيويورك في مارس 2002 ، وأخذت على عاتقها إسماع صوتها المنادي " بالحرب السلمية على الحرب المدمرة " من أجل الوصول إلى عالم يقوم على التنوع واحترام حقوق الإنسان ، هذا ما يمكن ملاحظته في أعمال نوام تشومسكي ، تيم وايز ، روبرت فيسك ، هاوارد زن ، دنيس كوتشينيش ، نورمان فيتكيلشتاين ، مارتن لوثركينغ الثالث وآخرين ، هذه الأعمال التي يمارسون فيها النقد ويدعون من خلالها إلى طرق حضارية لحل المعضلات المترتبة عن استعمال العنف خارج إطار القانون الدولي ، ففي رأي

تشومسكي إن " المواطن في أي دولة مسؤول عما تقوم به ، لذلك عليه أن يكون ناقدا لها – على ما تقوم به – في الداخل والخارج " [1] .

وهو عند البعض الآخر واقعية جديدة تحيل إلى أفكار المحافظين الجدد ، من خلال فلسفة استثمرت أفكار المفكر البريطاني إدموند بيرك Edmund Burke وكذا الفيلسوف الألماني ليوستراوس Leo Strauss في ضوء السعي إلى تحويل الفلسفة السياسية نحو المصلحة وفـــق مرونة متعاليـــة تعدل الإستراتيجيـــات تماشيا مع الضرورة وفق معيار " المنفعة كواجب " .

هذا ما يتجلى في أفكار بول ولفوفيتز ، أرفنج كريستول ، ريتشارد بيري إضافة إلى صمويل هنتيغتون الذين أسسوا فلسفتهم على مبرر مقاومة قوى الظلام ومحاربة إمبراطورية الشر [2] .

بينما يتموقع التوجه الغالب الـــذي يحيل إليه مصطلح " البراغماتية الجديدة " في جهة الفلسفة ، في ضوء دراسات متعددة ارتبطت أساسا بالبراغماتية الكلاسيكية من حيث المفهوم والسياق .

وعلى الرغم من التسميات المتعددة في إشارة البعض إلى تماهيها مع التيار ما بعد الحداثـــة أو في إبـــدال محمولات جديدة تعطي للبعد النقدي أو اللغوي الحضور الأبرز .

إلا أن مصطلح " البراغماتية الجديدة " بدأ في الانتشار كتيار فلسفي يتجه باستمرار نحو إبراز خصوصيته من منظور دعاته الذين يقرون بأنهم براغماتيون جدد ، أو حتى

---

(1) تشومسكي نعوم ، **العولمة والإرهاب : حرب أمريكا على العالم** ، تر : حمزة المزيني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط 1 ، 2003 ، ص 11 .

(1) عبد اللطيف أميمة ، **المحافظون الجدد** ، قراءة في خرائط الفكر والحركة ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط 1 ، 2003 ، ص 15 .

مناوئيه الذين غالبا ما يدخلون في سجالات مع الممثلين للتيار ، كانت نتائجها في حالات كثيرة كتبا مشتركة .

والواقع أن البراغماتية كنزعة فلسفية في شكلها العام قد تطورت عبر ثلاثة أجيال مؤسســـــون (تشارلز سندرس بيرس ، وليم جيمس ، جون ديوي ، جورج هربرت ميد) ، أبنـــــــاء (سيدني هـــــــــوك ، تشارلز وليم موريس ، جيوفاني بانيني) وأحفـــــــــاد على شاكلــــة (ريتشارد رورتي ، هيلاري بوتنام ، ريتشارد برنشتاين ، نيلسون نودمان ..) .

لقد تأصلت أعمال البراغماتيين الجـــــــدد أو المـــــــوجة الثـــالثة كما يسميهم دافيد هلد براند – الذين أسسوا لفهم فلسفي مبني على إعطاء المشاركة والتداول أهمية بالغة – بشكل جلي ابتداء من سنة 1960 ، التاريخ الذي أعلن فيه رورتي بداية الانعطاف من الاهتمامات التاريخية والميتافيزيقية إلى الطرح الفلسفي الجديد الذي يقوم على إحياء نزوع فلسفي كان سائدا في أمريكا [1] .

وقد عزي هذا التحول في شكله الأساس إلى التثاقف الذي حصل بين البراغماتيين من جهة وكذا الوضعيين المناطقة والتحليليين من جانب آخر ، عندما هاجر فلاسفة كثر إلى العالم الجديد بسبب التضييق الذي حصل من لدن النازيين و الأنظمة الشمولية ، وكذا هروبا من أهوال الحرب العالمية الثانية [2] .

والواقع أننا حينما نتناول مفهوم البراغماتية الجديدة بالوصف و التحليل ، لن نجد بدا إلا من استقصاء فلسفة ريتشارد رورتي الذي اتجه عبر إسهاماته العديدة إلى إحياء التقليد

---

(1) Mendieta Edwardo ,**The care of Fredom and truth will take care of it self ,Interviews with Richard Rorty** , Stauford University press , California,2006 , P19 .
(2) Hutin Serge , **La philosophie Anglaise et Américaine** , P.U.F , 3 édition , 1971 , P 114 .

الفلسفي الأمريكي ممثلا في النزعة البراغماتية معطيا إياها بعد جديدا ، أسعفها لكي تدخل في سجلات الثقافة المعاصرة ، بالشكل الذي يبعد عنها صفة الضحالة والسطحية وكذا الإقليمية التي جعلت البعض يماهي بين البراغماتية وبين المعرفة داخل الحيز الأمريكي لما كان يعرف بالعالم الجديد .

لقد حدث فعل العودة والانفتاح ، العودة إلى المظان الفلسفية للعصر الذهبي للفلسفة الأمريكية بلغة هربرت شنيدر (Herbert Schneider) والانفتاح على الأشكال الفلسفية المختلفة ، بفضل مؤيدي هذا الطرح الذين انبروا بأعمالهم ، لا من أجل أن يحددو ا أسسا فلسفية مؤبدة غير قابلة للتطوير و التعديل ، و إنما ليدخلوا في حراك فلسفي يرتبط بالتقاليد الأمريكية المبنية على الفعل ، الجدة ، المستقبل والأمل .

وهو الأمر الذي دفع رورتي بالعودة إلى البراغماتية ، خصوصا أمام المسد الذي اصطدم به الاتجاه التحليلي الذي استغرق في تفصيلات تقنية جعلته ينأى في كثير من الأحيان عن المعطى الاجتماعي ، هذا الأخير الذي يعطي للفكر صلاحيته التي لا تتباعد عن " مستقبل جيد للإنسان " .

لقد أدى إعادة اكتشاف البراغماتية إلى إحياء الفلسفات الاجتماعية والسياسية – التي شهدت تدهورا كبيرا في أمريكا نتيجة السيطرة التحليلية – بالشكل الذي يمكن من إعادة تكوين الحياة في شكلها الفردي والاجتماعي اعتمادا على الديمقراطية الحقيقية داخل الحياة الاجتماعية .

لقد وجد رورتي في البراغماتية السبيل الحقيقي والأرضية المؤسسة المساعدة على تقدم الإنسان وتطور المعرفة ، من منطلق درء الاستغراق في التنظير الذي يبعد المعرفة

عن مساقاتها الاجتماعية و التاريخية ، وبالتالي العمل على تحصيل فلسفة تعطي للفعل المتجدد الواعي أهمية بالغة .

مما يعطي للإنسان تفرده وحضوره الأبرز كذات مبدعة ، ولن يتحقق ذلك في نظر رورتي إلا بالعودة للأصل البراغماتي في شكله المحايث للديمقراطية ، وهو الشكل نفسه المعبر عنه بالبراغماتية الجديدة كمفهوم مستقل في نظر رورتي عن الرأي الذي يمكن أن يتخذه البعض عن أمريكا أو عن الديمقراطية [(1)] .

لقد عد الطرح البراغماتي الجديد كأنسب حالة للفلسفة ذات البعد الإنساني ، من منطلق القابلية للمحادثة الفلسفية ، وهي الرؤية النقدية التي اتضحت كاستجابة لأسباب ثقافية معاصرة ، أعطت الأولوية لمفهوم إعادة الاكتشاف وذلك بقراءة الإرث الفلسفي برؤية الفاعليـــــــة التي تجعل من طروحات فلسفية معينة تتقاطع معرفيا مع السياق البراغماتي الجديد .

وعلى الرغم من أن البراغماتية الجديدة تعد فلسفة ما بعد التحليلية بلغة جون رجشمان John Rajchman خصوصا وأن التحليلية التي بلغت أوجها مع كواين ، فتغنشتاين ، سلارس و دافيدسون في نظر رورتي قد اكتملت نهايتها وأمدت سبل تجاوزها [(2)] .

إلا أن الطرح التحليلي المؤسس على مركزية اللغة قد أبان عن حضوره في البراغماتية الجديدة بالشكل الذي عوضت فيه اللغة معطى الخبرة الذي شكل جوهر نظرية المعرفة في البراغماتية الكلاسيكية [(3)] .

---

(1) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 27.

(1) Richard Rorty , **Conséquences du Pragmatisme** , Tr Cometti Jean Pierre , Edition du Seuil , France , 1993 , P 21 .

(2) Rorty Richard , **L'espoir au Lieu du Savoir : Introduction au Pragmatisme** , Edition Française Etablie par Claudine Cowan et Jacque Poulin , Edition Albin Michel , Paris , 1995 , P 17 .

II – حدود الجدة ومظاهر التفرد

الواقع أن رورتي في ضـــــــوء اجتهـــــاداته المعرفية – وبحسب شهادة جون راجشمان John Rajchman – قـــــد وضع البراغمــــــــاتية الجـــــديدة في مسار بحثي لا يعرف الاكتمال [1] .

ومرد عدم الاكتمال هو سعيه الحثيث للخروج عن الفلسفة النسقية التي تتجه نحو بناء المشاريع الفلسفية الكثيرة ، بالشكل الذي تمتح فيه الردود و المواقف المعرفية من مضامين محددة سلفا داخل مضمار معرفي يعطي للايديولوجيا حضورها الأوفر .

وعلى الرغم من الأصول الفلسفية للبراغماتية الجديدة التي تعود أساسا إلى البراغماتية الكلاسيكية كما هو واضح من التسمية ، إذ أن العودة إلى البراغماتية من طرف رورتي تم تبريرها في خصوصية الخبرة الأمريكية نتيجة تعددية أشكالها المعرفية على الصعد النفسية والاجتماعية والسياسية والتي لخصها دافيد هال David Hall في " الأبعاد الجمالية للتفكير الأمريكي " [2] .

فإن ذلك لا ينف بأي حال من الأحوال جملة من التقاطعات المعرفية التي يمكن أن نستشفها من خلال إحداث مقاربات معرفية على مستوى المنهج و الموضوع ، وتبقى الإشارة إلى أن نطاق الجدة في براغماتية رورتي يرتبط أساسا بالإضافة التي تحققت من خلال مشروعه الفكري ، وكبارقة لهذه الإضافة يقول رورتي : " لقد قام بوسنور Ponser بطرح سؤال مهم حينما سأل عن المشاركة المعرفية المقدمة من خلال البراغماتية الجديدة ، وهل ستقدم أمرا مختلفا عن المعارف التي تلقيناها من طرف

---

(3) Rajchman John , **Philosophy in America** , In , post Analytic philosophy , P XI .
(1) Hall David , **Richard Rorty , prophet and poet of the New pragmatism ,** edition of State University of New York , USA , 1994 , P 66 .

تلامذة ديوي ،إجابتي الخاصة عن هذا السؤال تتحدد في القول بأن البراغماتية الجديدة تختلـــــف عن القديمة في اعتبارين اثنين (...) الأول أننا كبراغماتيين جدد نتحدث عن اللغة عوض الخبرة أو العقل ثم الشعور مثلما فعل البراغماتيون القدامى ، والثانية أننا جميعا قرأنا كوهـــــــــن ، هانســـــــــــون ، تولمين وفيورباند لنصبح بعد ذلك شكاكا فيما يتعلق بالمنهج العلمي " [1] .

والواقع أن رورتي قد أشار إلى هذا الافتراق في أكثر من موقف ، بل أن فلسفته برمتها تقوم على السعي الحثيث للإضافة من منطلق معالجة الإشكالات بتصورات توحي إلى الجدة سواء على مستوى الكتابة بالبحث عن لغة ترنو تجاوز السائد ، أو على مستوى الفهم المرتبط أساسا بالقراءة وإعادتها لتشكيل نصوص المحادثة القائمة على عدم الادعاء بامتلاك الحقيقة ، وهو العمل الذي دفع رورتي إلى التأكيد على الحرية في إيجاد المواقف البديلة بدون أن يعني ذلك أن الحلول جميعها ستكون متساوية كوسائل خلاص من هوس إشكالات معينة [2] .

لم يكن الانعطاف باتجاه اللغة عند رورتي أمرا عارضا بل شكل إستراتيجية ، مكنته من أن يحلل الإشكالات الفلسفية بتفرد يبعد عنه التصور الماهوي المطابق للحقيقة والواقع بالشكل الذي يحيل إلى التمثيـــــــل ، ومن ثمة الوقوف أمام الإبداع كحالة مفارقة تصبو إلى المخاتلة و الإغواء .

كما أن نقده للمنهج العلمي داخل التصور الإبستمولوجي القديم يدخل في صميم الاحترازات السابقة ، على الرغم من أن البراغماتيين الجدد أنفسهم حسب رورتي تفرعوا بين الحقل الإنساني الذي يتسنمه الأدب ، والذي يتجه لإزالة الفواصل بين الفلسفة و المعرفة الإنسانية وبين تصور طلبة كارناب وكواين الذين اعتقدوا بأن الفلسفة

---

(2) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 95 .
(1) Hall David , **Richard Rorty : prophet and poet of the New pragmatism** , P 81 .

يجب أن تبقى قريبة من المنطق مع الابتعاد عن السياسة و الآداب و التـــــاريخ وهو التصور الذي عمـــــــد غودمان و دافيدسون إلى تجسيده بعناية فائقة [1] .

و الواقع أن السعي لإزالة الحدود بين الفلسفة و المعرفة الإنسانية خصوصا ، أمر يخدم الفلسفة ويمدها بمبررات الوجود ، كما أنه يساعد على التخلص من تلك العقد التي أسست لحدود وهمية بين المعارف ، كما أدت إلى حالة الإغراء السيكولوجي الذي أوصل في سياق حدوس ومبررات فطرية إلى تبجيل بعضها و تبجيل البعض الآخر [2] .

وهو نطاق آخر للجدة يساهم في الخروج عما علق بالفلسفة و الفيلسوف على حد السواء ، من صور ومحمولات سواء عند الخارجين عن إطار الفلسفة أو حتى عند الفلاسفة أنفسهم ، حينما اتجه بعضهم إلى الزهو المتعالي الناتج عن " الوهم " بامتلاك اليقين الأبدي .

لقد عمد رورتي عبر جهوده المعرفية إلى إشراك غير المتفلسفة في النقاش الفلسفي الذي اتجه أساسا نحو النقد الثقافي ، وهي ميزة تكاد تكون غائبة في الفكر الأمريكي الذي كان محصورا في إقليمية ضيقة لأسباب إرادية و أخرى مفروضة وهي

(2) Rorty Richard**, Philosophy and Social Hope** , P 25 .

(3) الزين محمد شوقي ، **تأويلات وتفكيكات ، فصول في الفكر الغربي المعاصر** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت و الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، 2002 ، ص 158 .

الشكوى التي عبر عنها سيدني هوك أثناء حديثه عن الأرتاج التي دفعت بكثير من الفلاسفة الأوروبيين على النأي بأنفسهم في مناقشة الإشكالات الفلسفية للعالم الجديد [1] .

لقد استطاع رورتي الخروج من هذه الشرنقة عن طريق قراءات وحوارات فكرية كان يعقدها مع الممثلين لأشكال معرفية مختلفة ، وهو نمط آخر من الجدة يهدف إلى سبر أغوار التجربة الإنسانية ، وتطوير الفهم الفلسفي بالدحض أو التصديق أو التعديل ، يظهــر ذلك جليا في الكتب المشتركة التي كان ينشرها مع المناوئين لفلسفته ، وهذا ما يعد تقليدا أكاديميا – اتسمت به البراغماتية الجديدة في معظمها – يعطي للكتابة أهمية بالغة يتحول معه النقد من وصفه مثلبة إلى اعتباره إضافة يساهم في تطوير المعرفة .

ثانيا: الملامح العامة لبراغماتية رورتي الجديدة

I – اللاماهوية Antiessentialism

الاتجاه نحو العرض اللاماهوي هو تعريف صريح بمنطلق أساسي شكل أرضية لفلسفة رورتي ، إذ أن الأمر لا يتعلق بوضع تصورات ثابتة مؤبدة ، وهو أمر يتناقض مع منطلقات الإبداع الفلسفي التي تتمحور حول الاستقلالية و المرونة بالشكل الذي يصبح معه التفكير الفلسفي صرحا قابلا للبناء و إعادته دون انقطاع بالتكريس أو التعديل أو التجديد .

وهي الصيرورة التي تعطي للفظ حياة خاصة ، تمده بدلالات تأخذ بعين الاعتبار المعطى الكرونولوجي أو المكاني زيادة على اختلافات أخرى تعتري دلالات الكلمات

---

(1) سميث جون ، **بعض العلامات البارزة في الفلسفة الأمريكية** – في – **تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200 عام** ، ص 370 .

باختلاف الفلاسفة أو حتى عند الفيلسوف الواحد قياسا بأطور نشاطه الفلسفي المبنية على قناعات لحظة القول و الكتابة .

إن استبعاد رورتي للماهية أو التصورات الجوهرية قضية تدخل في البناء الفلسفي للبراغماتية الجديدة ، وهو شكل يمدها بالتفرد عن الفلسفات أخرى اتجه أصحابها نحو تحديد الماهية بالشكل الذي ينم عن امتلاك الحقيقة ، وهو الأمر الذي أناطت به الفلسفات مبررات وجودها أثناء تمديد الدلالات ، الشيء الذي قد يستحيل – في أغلب الأحوال – إلى تنميط وتحنيط المعرفة الفلسفية .

لقد شكل الاستبعاد السابق نقطة الانطلاق الأساسية التي اعتبرها رورتي خاصية مبدئية وهو ما عبر عنه بقوله : " أول خاصية وضعتها للبراغماتية تتماشى مع النظرة بشكل لاماهوي مطبق على مفاهيم مثل : الحقيقة ، المعرفة ، اللغة ، الأخلاق وكذا كل مواضيع التنظيرات الفلسفية المماثلة " (1) .

داخل هذا الإطار قام رورتي برفض كل الفلسفات القائمة على التجريد والمبتغيات السرمدية ، وكذا الادعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة ، بل أن مفهوم الفلسفة في نظر رورتي لا ينبغي أن يتماهى مع الحقيقة ، بمقابل الاتجاه نحو الممارسة التي تقدم لنا علاجا ضد هذه الرغبة .

---

(1) Rorty Richard, **Conséquences du Pragmatisme ,** P 302 .

كما يتجسد الطرح الماهوي عند رورتي في الميثولوجيا التي سيطرت على الفلسفة منذ تأسيساتها الأولى مع أفلاطون واستعاراته المعرفية ، وكذا مع ديكارت ولوك من منطلق العلم الأكمل و المعرفة الأسمى ، وكذا مع جملة الطروحات الميتافيزيقية التي عالجها الفكر كهبة إلهية .

وفق هذا السياق يرى رورتي أن جهد البراغماتيين قد انصب على تبديد العلاقات الثنائية التي لطالما زخرت بها كثير من أبجديات الفلسفات السابقة خصوصا التقابل بين ما هو واقعي وما هو ظاهري ، بين الأشكال كما هي وكما تبدو لنا ، وهو الأمر الذي اتجهت

صوبه كثير من الفلسفات أثناء بحثها عن الحقيقة التي تصورتها في شكل لبوس نظري يتخفى وراء الظاهر ليجسد صورة الخفي ، وهي النسبية التي تدخل في صميم طروحات براغماتية رورتي المضادة للتصورات الأفلاطونية والكانطية و الوضعية ، وكمثال على ذلك تبنت هذه الأخيرة في سياق معين البحث عن الماهيات المتخفية وراء الظواهر داخل إطار الفلسفة بدقة العالم الرياضي وانضباط المهندس (1) .

وهو الجهد الذي رأى رورتي أن تبديده يتجه لصالح التخلص من عوائق معرفية مكبلة ، ليكون البديل طرحا علائقيا ، هذا ما عبر عنه رورتي أثناء شرحه للامـــــــــاهوية على أنـــــــــها " محاولة لإزالة التمييز بين الباطن و الظاهر " (2) .

و هو التمييز الذي أعلن من خلاله رورتي أن إزالته ستكون لصالح الاهتمام بالمسائل الفردية و الاجتماعية التي تحوز على فائدة خدمة مستقبل الإنسان ، لتكون الحقيقة

---

(1) هانز ريشنباخ ، **نشأة الفلسفة العملية** ، تر ، فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، بيروت ، ط 2 ، 1979 ، ص 113 .

(2) Rorty Richard , **L’espoir au Lieu du Savoir : Introduction au Pragmatism** , P 63 .

بمدلولها النسبي قابعة في إطار السياق كبديل مقترح للمعضلــــــــــة السابقة ، على أن تكون

صيغة التحديد مرتبطة بالعلائقية بين أوصـــاف العــــالم و الأوصـــــاف المقدمة يقول رورتي : " إن البراغماتيين سواء كانوا كلاسيكيين أو جددا ، لا يعتقدون بصيغة توجد وفقها الأشياء ، كما أنهم يحوزون على رغبة استبدال التمييز بين المظهر و الحقيقة بذاك الذي يفصل أوصاف العالم عن أوصافنا نحن بالشكل الذي يميز أقلها نفعا بالأشيــاء التي تحوز على منفعــــة أكثر ، وحينما سنحثهم بسؤال : فائدة لأية غاية ؟ فلا يجدون أي شيء لقوله سوى أنها نافعــــــــــة لإيجـــــــــاد مستقبــــــــل أفضـــل وحينما يسألون : " أفضل بأي معيار " ، فلا يجدون إجابة مفصلة " [1] .

II – اللاتمثيلية Antirepresentationalism

يؤكد رورتي على أن أبجديات الفلسفة العامة تتبنى الطرح التمثيلي ، فأن تعرف كما هو شائع هو أن تحوز القدرة على تمثيل وتصور كل الأشياء التي تجعل من المعرفة أمرا ممكنا ، فأن تعرف بالسيـــــــاق السابق كما يقول رورتي هو أن تحوز القــــــــدرة على التمثيل [2].

بيد أن طرحا بهذا الشكل لا يستقيم أولا مع عمق الطرح النيوبراغماتي في تصور ميشال باكون Bacon Michel الذي يرى أن الغاية من البحث لا تعود بالأساس إلى

(1) Rorty Richard , **Philosophy and Social Hope** , P 27 .
(2) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , Tr : Thierry Marchaiss , Edition du seuil , Paris , 1 édition , 1990 , P 13 .

الرغبة في تصوير العالم الذي حولنا بشكل دقيق من منطلق أن المعرفة هي نتاج التجربة ، وأن حدودها لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتعدى نطاق البحث [(1)].

وهو الطرح الذي يتقاطع مع تصور رورتي المجتبي أساسا كما يقول في مقدمة كتابه موضوعيـــــــة ، نسبية وحقيقية Objectivity , Relativism and Truth من تمثلات فتغنشـــــــــــتايــــــــن ، هيدغـــــــــر و ديـــــــوي وكـــــــــذا مـــــــــن أعمـــــــال دونالـــــــــد دافيـــــــــدســـــــــون (Donald Davidson) المطورة للإشتغالات المعرفية التي قام بها ولفريد سلارس Wilfrred Sellard و أورمان كواين Willard van Orman Quine [(2)].

كما أن القول باللاماهوية و النسبية يؤدي بالضرورة إلى إنتاج الطرح اللاتمثيلي من منطلق أن الشيء الفعال المسمى حقيقي عند البراغماتيين – كما يقول رورتي – يكمن في ارتباط المفردات بالفعل أكثر من النظرية ، وهو الشيء الذي يمكن أن يؤدي إلى اعتبار المفردات التي يتم بها التجسيد فارغة خصوصا في قضية الانتقال من محاولة التعبير عن معطيات جزئية لوصف حالات عامة منتجة لمعارف ونظريات .

وهو الأمر الذي أدى إلى عدم وجود اختلاف – حسب رورتي – عند اللاهوتيين بين الحقيقة كما ينبغي أن تكون وكما هي ، و كذا إلى الاعتقاد بأن الفلسفة الأخلاقية يمكن أن تعبر عن ماهية الخير كما أدى كل من جون ستوارت ميل ، وإيمانويل كانط إلى اختزال الاختيارات الأخلاقية في قواعد لغوية محددة سلفا [(3)].

---

(1) Bacon Michel , **Richard Rorty , pragmatism and political libralism** , edition of Wington book , USA , 2007 , P 1 .
(2) Rorty Richard , **Objectivity , Relativism and Truth** , philosophical papers , Cambridge University press , USA , 14 edition , 2005 , P1 .
(3) Rorty Richard, **Conséquences du Pragmatisme ,** P 304 .

إن إزاحة الزعم بالتمثيل الحقيقي الذي أنيط بالفلسفة في علاقتها مع الأشياء والوقائع سيؤدي إلى تخليص الفلسفة من الإدعاء بالكمال ، وكذا الفيلسوف من زعم التمكن التام من المعرفة كحالة محايثة للكهنوت أو الإكلروس بالشكل الذي يوصل إلى " إعادة ترتيب الشأن الفلسفي من منطلق الوظيفة والجهد المرتبط أساسا بخدمة الإنسان ، بعيدا عن تصور سابق يربط الفلسفة على الدوام بالتمييز و الخلود ، ليكون البديل – كما ترى أهم طروحات البراغماتية الجديدة – اتجاها نحو التعايش بين الفلسفة وبين أنماط المعرفة الإنسانية المختلفة ، عبر محادثة تتسم بالطابع التشاركي ، الأمر الذي كان غائبا من جراء إناطة الفلسفة بمهمة التمثيل الحقيقي للعالم بوصفها مرآة عاكسة للوجود .

إن التصور اللاتمثيلي حسب قراءة روبرت براندوم Robert Brandom جاء كرد ضمن إطار فلسفة اللغة التي انقسمت إلى مدرسة تمثيلية يتزعمها فريجه ، راسل ، تارسكي، كارناب تقر بأن اللغة تحوز على القدرة على تصوير ووصف حالات الأشياء كما هي ، ومدرسة ثانية يتزعمها ديوي و فتغنشتاين الثاني تتحدث عن اللغة كنتاج اجتماعي [1].

وللعلم فإن رورتي ساند توجه المدرسة الثانية في إطار دفاعها عن جانب اللاتمثيل سواء في رؤية ديوي المضادة للنظرية التأملية للمعرفة أو فتغنشتاين في المرحلة الثانية من تفكيره الفلسفي حينما تجاوز بتصوره الطرح التمثيلي الذي تشترك فيه الواقعية و المثالية على حـــــــد سواء عن طريق خاصيـــــــة الاستعمـــــــال ، ملتزمـــــــا حسب وليم برنارد Williams Barnard بالفكرة التي تؤكد بأن تحديد الواقع يأتي مما قررناه أو حضرناه لاعتباره أمرا محددا [2].

---

(1) Rorty Richard , **Objectivity , Relativism and Truth** , P 151 .
(2) Ibid , P 04 .

كما ساند دافيدسون الذي اقترح قبول أمر ما بوصفه صحيحا من منطلق اعتباره منسجما مع طريقة تفكيرنا ، الشيء الذي يعطـــــــــــي حياديـــــــة لمفهوم التمثيـــــــل بين الحقائق النظرية و الأخلاقية و الرياضية (1).

الأمر الذي جعل رورتي يعتبره واحدا من أبرز المؤثرين في تحديد تصوره للطابع اللاتمثيلي للفلسفة خصوصا تصوره حول الاعتقاد في إمكانية اعتبار هذا الأخير صحيحا أو خاطئا مع نفي قابليته للتمثيل (2).

ومن ثمة يتضح أن الغاية الأساسية من إزاحة الطابع اللاتمثيلي للفلسفة هو إبعادها عن المغالاة التي كانت تتبناها الطروحات الواقعية في البعد التمثيلي ، الذي يماهي بين المعرفة و الواقع ، أي المثالية في توصيفها للبعد التجريدي النابع من تصورات ذاتية بغرض الاتجاه نحو الفعل بعيدا عن الاستغراق في تنظيرات واهية ، وهو الأمر الذي يتضح من خلال قول رورتي : " بأننا نطعن في مفهوم الحقيقة كمعطى دقيق وصارم للتمثيل : البراغمـــاتيون يطعنون أيضا التمييز التقليدي بين العقل و التمني ، وبين العقل و الاشتهاء ، وبين العقل والإرادة ، فلا واحد من هذه التمييزات يمكن أن يستطلع معنى مادام العقل يفكر حسب نموذج الرؤية ، ومادمنا نصر على ما سماه ديوي بالنظرية التأملية للمعرفة " (3).

(1) Ibid , P 127 .
(2) Ibid , P 09 .
(3) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme ,** P 306 .

III- اللا تأسيسية AntiFoundationalism

أقر رورتي بأن الصراع ضد النزعة الشكية جسد حضورا أوفر عبر التاريخ الثقافي الغربي ، مما أدى في العصر الحديث إلى الاهتمام بالمعرفة العلمية خصوصا في جانبها الإمبريقي وكانت المحصلة بحسبه صعود نماذج ثقافية أدت إلى تأسيس معتقدات ازدهرت في معطياتها الدينية في الثقافة الغربية خصوصا في العصور الوسطى ثم تحولت أساسا إلى سيطرة علمية تشكل معها العلم كدين مدني [1].

وفق هذا الإطار يتجه رورتي إلى الطعن في مختلف التأسيسات الفلسفية التي أعطت للحجة الفلسفية منطق الثبات و الخلود ، ودرأت بالمقابل كل منحنى للتغيير الصادر عن الإجرائية التي تفرضها حل مشكلات الحياة .

إن الابتعاد عن التنظير لنظريات شمولية هو في الوقت نفسه خروج عن الإستبدادات المرآوية التي يشترك فيها التمثيليون بحجة أن العقل هو مرآة الطبيعة ، وهذا ما يمكن ملاحظته مثلا في تصورات ديكارت عن الوضوح و البداهة كمعيار لليقين أو تمثلات كانط في الحقيقة القبلية .

إن كل اتجاه نحو التأسيس بالمنطق الذي يقر بأن معرفة العالم تتأسس على معتقدات مؤكدة ينبغي العودة إليها بغرض الاستدلال لإنتاج المعرفة [2]– في نظر رورتي – هو محاولة لانقاد الابستمولوجيا لمملكة الميتافيزيقا التي يرتبط أصحابها بوهم الحقيقة المتعالية عن الزمان و المكان ، كما أنه تجسيد لنمط من الخمول الذي يؤدي بصاحبه إلى تقليص مساحة الاجتهاد .

وهو الأمر الذي أعطى لأنماط كثيرة من الفلسفات فرصة التعالي بحجة امتلاك اليقين .

---

(1) Grippe Edward , **Richard Rorty's New pragmatism** : **Neither liberal nor Free** , continum Studies in America philosophy , USA , First published , 2007 . P 26 .
(2) Ted Honderich , **The Oxford Companion to Philosophy** , P 310 .

لقد مكن الطرح التأسيسي في نظر رورتي للفلسفة أن تراجع حساباتها عبر ما يسمى بالميتافلسفة كمرآة مجلوة تستطيع الفلسفة من خلالها رؤية صورتها ، بالتأكيد على طبيعة الوضعية في زمان ومكان معين ، ممـــا يؤدي – في نظر رورتي – إلى سمـــــة النسبيــــــة و الارتياب كعلاج لحالة الادعاء و الغرور التي ارتبطت بإسهامات فلسفية اعتقدت أن نتائجها حايثت الحقيقة .

ليكون الحل بحسب قول رورتي طرحا لا تأسيسيا " يتحول معه مفهوم مصدر الأدلة إلى اتفاق على ما ينبغي اعتباره أدلة ، حيث أن الموضوعية كتفاعل بين الذوات عوضت الموضوعية كوفاء لأشياء غير إنسانية " (1).

وهو الحل الذي انتبه إليه رورتي بإيثاره للحلول داخل السياق الاجتماعي و التاريخي من منطلق فكرة " الاستعمال " التي استمدها من قراءة معمقة لديوي و فتغنشتاين ، هذا الأخير الذي تحدث عن غياب معنى العبارات الزائفة التي لا تؤدي نتاجا على الصعيد الإجرائي ، ليكون الحل بحثا مستمرا للخروج من المآزق ، وهي العبارة الشهيرة التي عبر فيها فتغنشتاين – في المرحلة الثانية من تفكيره الفلسفي – عن وظيفة الفلسفة كوسيلة علاجية مساعدة لحل المشكلات بقوله متسائلا ثم مجيبا : " ما غرضــــك من الفلسفـــــة ؟ هو أن تبين للذبابة الطريـــــق الذي يخرجها من الزجاجة " (2).

لقد اتبع رورتي سمتا ساخريا في نقده للتأسيسات الفلسفية وذلك للتخفيف من الصرامة الفلسفية المتأتية من النزوع نحو الدقة و المعاناة في طلب الحقيقة ، وكذا بغرض تحقيق فعل الانفتاح على مختلف صنوف المعرفة مع التأكيد على إمكانية المراجعة ، وهو الأمر الذي دفع دافيد هال David Hall إلى الإقرار بأن محاولة رورتي لتقويض دعائم

---

(1) Rorty Richard , **Philosophy and Social Hope** , P 155.
(2) Wittgenstein Ludwing , **Investigation Philosophiques** , Tr : Pierre Klosswoski , Edition Gallimard , France , 1962 , 1 Partie , Paragraphe N 309 , P 227 .

الفلسفة التأسيسية هو الدافع الأساس لعدم تفكيره في تأسيس نظرية معرفة محددة المعالم لطروحاته النيوبراغماتية [1].

لم يكـــن رفض التأسيس عند رورتي نعيا للفلسفة أو استخف ـــــــــافا بالجهـــــــود الفلسفية السابقة ، و إنما دحضا لمقولة إمكانية معالجة إشكالات جديدة بحمولة معرفية سابقة تنتمي إلى الماضي فكرا ولغة ، بغض النظر عن حالة الوضعية المراد دراستها وخصوصيتها ، وهو الأمر الذي يؤدي إلى الادعـــــــــاء بامتلاك الحقيقـــــــــة المطلقـــــة وبالتالي إلى الإحالة خارج المعنى و المجتمع و التاريخ .

(1) Hall David , **Richard Rorty : prophet and poet of the New pragmatism** , P 84 .

<u>المبحث الثالث:</u> المنطلقات المعرفية لبراغماتية رورتي الجديدة

الفلسفة فعل تراكمي ، و الخطـــــاب الفلسفي يستحيل في نهاية المطاف إلى تصديق أو ضحد أو تعديل ، بالشكل الذي يمد خلفية معرفية لكل فكرة تساق ، سواء في استعمال اللغة ذات البعد الاجتماعي ، أو تأسيس الفعل الفلسفي عبر منطلقات ، إما بشكل واع على شاكلـــة الاعتراف بالتأثير و التأكيد عليه ، أو على شاكلة تناصات يعترف بها الكاتب ، أو يمكن أن تتضح عبر تقاطعات معرفية من خلال القراءة التحليلية النقدية التي تتكلف بفتح أبواب النص و متاريسه كاشفة بذلك عن المنطلقات .

و البراغماتية الجديدة كمشروع ثقافي فلسفي لا تنفصل عن كونها نتاج خلفيات معرفيـــــــــة أشار عليها رورتي صراحة ، وأكدها نقاد فلسفته عبر ردودهم و كتباتهم المعرفية .

أولا : المسار التعليمي

I - تجربة اليسار الديمقراطي

لقد شكل اليسار كاتجاه فلسفي مماه للأمل المحقق للانجازات الثقافية والسياسية ، أرضية أساسية للتكوين المعرفي عند رورتي إذ مكنه هذا التكوين منذ ميعة طفولته من الحصول على الحافز الدافع نحو الـــ تأمل والبحث ، بالشكل الذي جعله يدرك بأن ما يجعله " إنسانا هو أن يخصص حياته للنضال من أجل العدالة الإنسانية " [1] .

---

(1) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 06.

وهي الأفكار التي يقر رورتي – سواء في م لخص سيرته الذاتية الذاتية المعنونة بتروتسكي والأوركيد البري Trotsky and Wild Orchids أو كتاب تحقيق (إنجاز) بلدنا " الفكر اليساري في أمريكا القرن العشرين A Chieving our country (Leftist thought in twentieth Century America) وكذا في كثير من نقاشاته وحواراته – بأنها كانت سببا في مده بالأمصال المساعدة على الانخراط في عملية البحث و الكتابة .

وعلى الرغم من اعتراف رورتي بأن اليسار في صورته الحقيقية المعبر عنها في أحلام ديوي قد انخرط إما في أكاديمية أبعدته عن الواقع ودفعت أصحابه إلى أن ينزجوا في سجالات سرمدية ، أو في توجهات سياسية لم تستطع مجابهة الواقع واكتفت عوض المثابرة و الفعل بالتفرج و الحنين إلى الماضي .

ومادام اليسار بلغة رورتي " قد أصبح استعراضيا واستبطانيا فإنه توقف أن يكون يسارا " (1) .

وهو الأمر الذي تجسد – كما يقول رورتي – مع بداية الستينيات حيث بدأ اليسار يغرق في العطالة و السلبية .

بيد أن إيمان رورتي بالنقاط الايجابية في الحركات الاجتماعية جعلته يؤمن في لحظة زمنية معينة بأن لباقة الإنسان مرتبطة بكونه تروتسكيا أو اشتراكيا على الأقل .

وتعد أفكار ومواقف ليون تروتسكي Leon Trotsky (1849 – 1940) المؤثر الأساس والملهم الأول الذي حفز رورتي على طلب المعرفة ، وقد تحقق الأمر عبر الكتب التي كانت تزين رفوف مكتبة العائلة ، خصوصا

(1) Rorty Richard , **Achieving our country ,** P 14 .

حالــــــــة ليون تروتسكي The case of Leon Trotsky وكتاب غير مذنب Not guilty المرتبطان أساسا بتقرير اللجنة والتي رأسها ديوي للتحقيق حول التهم الموجهة لتروتسكي .

لقد شكل الإعجاب الشديد بهذين الكتابين البداية الحقيقية لرورتي المفكر الذي لم يكن يبلغ حينذاك سوى الثانية عشر من عمره ، الأمر الذي جعله يماثل بين الاحتفاء بهما في البيت العائلي ، بالاحتفاء الحاصل للكتاب المقدس في عائلات أخرى [1] .

لقد كانت البدايات المعرفية الأولى لرورتي تروتسكية بالأساس بالنظر إلى ميول والده جيمس رورتي وأمه و ينفرد رورتي وكذا جده من جهة أمه ولتر روشنبوش وإن كان هذا الأخير قد مزج الميول الدينية بالتوجه التروتسكي .

وكذا إلى نمط من الأبوة المعرفية كشكل من أشكال العناية الثقافية قدمها صديق العائلة الفيلسوف سيدني هوك على شاكلة أجوبة ونصائح لمساعدة ريتشارد الصغير في تحقيق الرغبة التي عبر عنها ذات يوم بأن يصبح فيلسوفا .

هذا زيادة على الجو الثقافي والسياسي الذي انتشر خصوصا بعيد الحرب العالمية الثانية ، حيث كان اليسار الأمريكي – في نظر رورتي – ممثلا في الجهود الاجتماعية والتربوية لجون ديوي ووالت وايتمان محل عناية وثقة بالنظر إلى الصياغة المفهومية التي ارتبطت بوصفه " حزب أمل وبتأكيده على أن الأمة لم تتحقق بعد " [2].

---

(1) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 05 .
(2) Rorty Richard , **Achieving our Country ,** P 14 .

لقد شكل الاتجاه نحو تحقق الأمة الأمريكية المهماز المحرك لنشاطات اليسار في نسخته التروتسكية المؤسسة على النقد ، نكران الذات وطلب العدالة الاجتماعية – على الرغم من العوائق الحاصلة في سنوات معينة نتيجة للسياسة المكارثية القائمة على التخويف من

الخطر الأحمر – وهو الأمر الذي دفع رورتي إلى احتفاء برواية حديقة الحيوانات Animal Farm لجورج أورويـــــــل George Orwell ، كمنجز فلسفي وسياسي في أكثر من دراســـــــتقلع ـــــل أبرزه ـــــــا " آخر المثقفين في أوروب ـــــا : أورويـــــــــل في الفظاعـــــة " The Last Intellectual in Europe : Orwell on Cruelty في كتابه المعنـــون : عارضية ، ساخرية وتضامن.

II – التكوين الفلسفي التحليلي

تعبر الفلسفة التحليلية (Analyse Philosophy) عن اتجاه فلسفي معاصر ، أطلق ليوضع الأبحاث المنتشرة خصوصا في البلدان الأنجلوسكسونية ، وهي على مستوى نظرية المعرفة نسخة مطورة لأفكار حلقة فينا والوضعية المنطقية جاءت كرد عملي تجاه بداية صعود التوجهات المثالية في الأمكنة التي كانت معروفة أصلا بأنها معاقل الفكر التجريبي عن طريق اتخاذ اللغة كموضوع محوري نتيجة رؤية مفادها أن المشكلات الفلسفية هي مشكلات لغوية بالأساس و أن الوظيفـــــــة المثلى للفلسفة مرتبطـــــة بتحليل اللغة [1].

(1)Rossi Jean- Gerard , **La philosophy Analytique** , P.U.F , 1983

وهو السياق نفسه الذي ساد في أقسام الفلسفة في أمريكا مع بداية الخمسينيات ، والذي أدى – كما يقول رورتي – إلى سيطرة الفلسفة التحليلية مع كبار الفلاسفة المهاجرين أمثال : كارناب ، همبل ، فيجل ، رشنباخ .. وتواصل الأمر مع تلامذتهم الذين عينوا في الأقسام الأكثر جاذبية ونفوذا من أجل الاستفادة – كما يقول رورتي – من مراكز سيطرة

فكريـــــة ، ليتواصـــــــل الأمر مع سنوات الستينيـــــــــات إذ أعطى لتصور هانـــــــــز ريشنبـــــاخ (1891 – 1953) Hans Reichenbagh المعبر عنه في كتاب نشأة الفلسفة العلمية The Rise of scientific philosophy الصادر سنة 1951 أهمية بالغة ، والقاضي بإعلاء أهمية التحليل ، بجعل الدراسة الفلسفية للقضايا المستعصية أمرا ممكنا بمقابل ازدراء التوجه الذي يروم دراسة تاريخ الفلسفة كنتاج للتطور الفكري والاجتماعي ، وكانت النتيجـــــــة إعطاء أهميـــــــة بالغة لدراسة المنطـــــق بمقابل إهمـــــــال دراسة ديـــــــوي و وايتهايد [1].

لقد أشار رورتي إلى أن الارتباط بالمنهج التحليلي جاء نتيجة الوضع الذي شهدته معظم الجامعات الأمريكية التي أسست مناهج التدريس على إعطاء الريادة للتصورات التحليلية ، والواقع أن التكوين المعرفي لطالب الفلسفة يحدد بشكل كبير توجهاته المعرفية اللاحقة في ضوء التأثير البالغ للأساتذة المشرفين على إيصال الدروس المقررة ، وهو الأمر الذي تجسد في بداية الحياة الأكاديمية لرورتي الذي يقول في إحدى حواراته شارحا ارتباطه بالفلسفة التحليلية بأن لقاءه الأول بالفلسفة التحليلية حصل

---

(1) Rorty Richard, **Conséquences du Pragmatisme** , P 380 .

نتيجة كونه كان تلميذا لكارناب وهمبل ، في حين أن تدريبه الأساس كان في برنستون Princeton من خلال قراءته لفتغنشتاين ، وكذا كتابات كواين و سلارس [1].

إن تأكيدا بهذا الشكل يجد سنده مع كتاب " المنعطف اللغوي " الصادر سنة 1967 ، سواء على مستوى اللغة أو الموقف ، فلغة رورتي في المقدمة تحديدا كانت ترفل بما تواضع عليه التحليليون ، حيث أبانت عن طبيعة تكوينه المعرفي المتجه نحو الصرامة العلمية بالشكل نفسه الذي عبر عنه ثلة الباحثين التحليليين المشاركين في تأليف الكتاب .

أما على مستوى الموقف فإن رورتي قد بدا فيلسوفا تحليليا بأتم معنى الكلمة سواء في اعترافه بضرورة ترجمة المشكلات الفلسفية إلى حدود وقضايا لغوية أو في اعتماده التحليل كمنهج يتم فيـــــــــه تفكيـــــــــك القضية إلى عناصرها المكونة بهدف الوصول إلى الدقة و الفهم الجيد ، وهو الأمر الذي يتضـــــــح في تعريفـــــــــــه لفلسفـــــــــة اللغة بوصفها إقرارا بأن " المشاكل الفلسفية هي جملة الالتباسات التي يمكن أن تحل إما بإعادة تشكيل اللغة أو بزيادة فهم اللغة التي نكون بصدد استعمالها " [2].

وعلى الكره من إقرار رورتي في وقائع معرفية متعددة بأن الفلسفة التحليلية اتجهت نحو نهايتها حينما اختزلت الأسئلة المرتبطة بطبيعة الأشياء إلى جوانب لغوية وأمبريقية ، هذا زيـــــــادة على بلوغها الذروة القصوى مع إسهامات كواين ، فتغنشتاين ،

---

(2) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 35 .

(1) Rorty Richard ,**The Linguistic turn** , P 3 .

سلارس ، دافيدسون ، مما أدى بهـــــــــــــا في آخر المطاف تقديم سبل تجاوزها وبالتالي الإعلان عن نهايتها [1].

إلا أن رورتي لم يتبرأ من تاريخه التحليلي لسببين رئيسيين : أولا لأن موقفه لم يكن ضد الفلسفة التحليلية كاتجاه فلسفي له أنصار من فلاسفة التحليل وكانت النتيجة إبعاد وتهميش طرائق أخرى من التفكير [2].

وثانيا : لأن رورتي لا يجد غضاضة في التعبير عن سعادته القصوى أثناء إعادة قراءته للمنعطف اللغوي الذي أشر للحظة المناسبة لميلاده فلسفيا [3].

لقد كان التكوين التحليلي مفيدا لرورتي حينما تمسك بأهمية التحليل المنطقي أثناء دراسة الخطاب الفلسفي ، والذي مكنه أثناء إحداثه للانعطاف بقراءته الجديدة للبراغماتية من مناقشة أفكار فلاسفة التحليل في ضوء المعايشة وإدراك المنهج وكذا بمواصلة إعطاء الأهمية البالغة للغة التي عوضت الخبرة في الطرح الكلاسيكي .

وهو الانعطاف الذي فرضته طبيعة الوقائع نفسها ، إذ لم يكن من الممكن للفلسفة التحليلية أن تواصل ازدهارها وهي تحصر نفسها داخـــــــل شرنقة منطقية ابستمولوجية ، و بالمقابل تدير ظهرها عن مختلف التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي كان العالم يشهدها .

---

(2) Rorty Richard, **Conséquences du Pragmatisme** , P 21 .
(3) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 20 .
(4) Malochowski Alan , **Richard Rorty** , Acumen publishing limited , UK , First published , 2002 , P 32 .

وهو الأمر الذي يوضحه محمود فهمي زيدان بقوله بأن " الدقة والوضوح و الصدق أقانيم ثلاثة مقدسة يتعلق بأهدابها كل المناطقة ، كما يتعلق بها بعض الفلاسفة الذين هم مناطقة ، فإذا أسرفوا في عبادتها وتعلقوا بها طلبوا المستحيل فوقعــوا في الإحباط " [1].

ثانيا : تقاطعات رورتي الفلسفية

I – فريدريك هيغل

بدأت العلاقة الفلسفية الوطيـــــدة بيـــــن رورتي و الفيلسوف الألمانـــــي فريديريك هيغـــــل (1770 – 1831) Friedrich Hegel كما يتحدث في سيرة حياته المقتضبة بتروتسكي و الأوركيد البري بمجـــــــرد قراءته لكتاب فينومينولوجيا الروح Phenomenology of Spirit .

يقول رورتي بأن الكتاب المعبر عن تفكير هيغل الشاب قد دفعه إلى تمثل رؤية مفادها أن القراءة الفلسفيـــــة يمكن أن تحدد بصيغة إعادة القراءة كوصف ثان لأفكار الفلاسفة السابقين .

كما استنتج أن ذهاء العقل الذي يمكن أن يستعمل في سياق التنافس ، يمكن أيضا أن يستخدم لأجل صناعة مفاهيمية لمجتمع حر .

لقد أشرت مقولة هيغل عن الوقت محمول في الفكر Time held in thought على أخذ التاريخ منطلقا ، إذ أن الاستفادة من الوقت في نظر رورتي تساهم في تجسيد مقولة

---

(1) زيدان محمود فهمي ، **في فلسفة اللغة** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 ، ص 41 .

ماركس حول تغير العالم ، كما تساهم في المساعدة على فهم العالم ، زيادة على إعطاء بعد اجتماعي للدراسات الفلسفية [1].

ليتواصل الفهـــــم عند رورتي مدركـــــــا إيجابيته في المســـــــاعدة على الإقـــــرار بالتاريخيـــــة و العارضية ، وهو ما اكتشفه بعد عشرين سنة من قراءته لكتاب هيغل ، يقـــول رورتي : " بعد عشرين سنة أدركت أن إقرار هيغل الشاب بأنه لا عمل لأجل الديمومة ، و أن لا يكون العمل إلا لوقته ، كانت الإجابة المناسبة لإزالة السحر الذي عرفته مع أفلاطون " [2].

ورغم أن رورتي – بحسب مارك كويك Marck Kwick – لم يخصص لهيغل مقالا كما فعل مع ديوي ، هيدغر ، فتغنشتاين و آخرين ، إلا أنه يعتبر تاريخية هيغل مشروعا أوليا

للبراغماتية الجديدة ويصنفه بذلك في خانة الفلاسفة الأبطال مختلفا في ذلك عن قراءة يورغان هابرماس (1929 –) yurgen Habermas الذي يرى في هيغل بداية الطريق المسدود في الفلسفة * [3].

---

(1) Rorty Richard **, Philosophy and Social hope** , P 11.
(2) Ibid , P 11.

* قراءة كويك مارك لموقف هابرماس من الهيجيلية في كلانيتها تختلف عن قراءة رورتي لموقف هابرماس من هيغل الشاب ، يقول رورتي : " هابرماس أقر بأن ماركس ، كيركغارد ، والبراغماتية الأمريكية هي ثلاث نتاجات لردود على هيغل ، وهذه البراغماتية كانت الفرع الديمقراطي الاجتماعي للهيجيلية الشابة" Ibid, P 30 .

(1) Kweik Mark , **elective Affinities , Richard Rorty and post modern thought** , Scientific publishers of the department of philosophy of pozman University , Poland , 1996 , P 137 .

لقد آثر رورتي هيغل المبكر بالنظر إلى التأثير الحاصل في ضوء مفهوم الفلسفة وكذا تاريخيتها ، و التي تعني هجرة البحث عن الفلسفة خارج السياق التاريخي و المؤقت كحقيقة متعالية (1).

كما أن الإشارة إلى تاريخية العقل هو إحالة للعارضية وهو الأمر الذي يثبت إمكانية تغير الأشياء و المفردات عبر التـــــــــــاريخ ، الأمر الذي دفــــــع رورتي إلى نعت هيغل بالشاعرية و الرومانسية التي تتماهى مع الطرح البراغماتي الجديد .

وبهذا التصور يرى رورتي – الذي كثيرا ما يقابل بين الطروحات الكانطية و الهيجلية لينتصر في نهاية المطاف لهيغل – أن فائدة هيغل على ماركس وديوي تتمثل في تغيير السؤال من الكانطية التي تبحث في أسباب خارجة عن التاريخ إلى الهيجلية التي تتمحور في كيفية أن نصنع من الحاضر مستقبلا ثريا (2).

إن التصور الهيجلي للتاريخ المؤكد على إمكانات مساهمة الإنسان وكذا الإقرار بالتناهي و العارضية بمنطق فائدة العمل باتجاه مستقبل جيد على حساب الديمومة في مناقشة فكرة ثابتة حول الحياة الجيدة هو الذي ساعد ديوي – ومن بعده رورتي – إلى تجاوز الثنائية الديكارتية عن طريق تشكيل نسخة غير تأملية من التصور الهيجلي للتاريخ (3).

زيادة على ذلك فإن إعجاب رورتي بهيجل لا يتوقف عند حدود جملة التقاطعات الظاهرة في النسق التاريخي العارض ، وإنما إلى اعتباره منتجا للسرد ، بالشكل الذي

(2) Ibid, P 135 .
(3) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 30 .
(1) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P 15 .

يجعل بومة منيرفا Owl of Minerva في طيران مستمر معبر عن السياق المفتوح للسؤال الهيجلي في علاقته بالتطور في التاريخ ، وهو الأمر الذي دفع رورتي إلى القول بأن : " الطريقة الهيجلية الديالكتيكية ليست طريقـــــــة برهانية (...) ، وإنما مهارة أدبية ، تنتج كليات مفاجئة ، يتم تغييرها لجعلها أكثر لطافة وسرعة في الانتقال بين مصطلح و آخر " (1).

II – جون ديوي

لا مشاحة أن البراغماتية * في شكلها العام و براغماتية ديوي بشكل خاص تشكلان السند الرئيس لنيواغماتية رورتي الجديدة .

بالنظر أولا إلى طبيعة الفهم الفلسفي الذي جسده ديوي ، المبني على التركيز على الأفكار كوسائـــــــل تمكن الإنسان من التكيف مع المحيط ثم الاتجاه نحو الفعل بغرض تحقيق النجاح .

لقد تعرف رورتي على ديوي منذ أن كان والده منتميا للجنة التحقيق التي كان ديوي يشرف على رئاستها بمكسيكو ، وكذا عن طريق قراءته لمحاضرة التحقيـــــق حــــــــــول ليون تروسكي Leon Trotsky الصادر في كتابين شهيرين – أشرف ديوي على إصدارهما – حازتهما مكتبة العائلة .

---

(2) Rorty Richard , **Contingency , Irony and Solidarity** , Cambridge University press , UK , First published , 1989 , P 78 .

* وهو الفهم الذي يجعلنا نعتبر الفصل الأول الذي أشرنا فيه إلى البراغماتية مع تفصيل أهم جوانبها مدخلا رئيسا لفهم نيوبراغماتية ريتشارد رورتي . الفهم الذي يجعلنا نعتبر الفصل الأول الذي أشرنا فيه إلى البراغماتية مع تفصيل أهم جوانب

ثم إن صديق العائلة سيدني هوك Sidney Hook كان معروفا بعلاقته الحميمية مع جون ديوي الذي لقب من طرف بعض المتحمسين لليسار بمنظر الاشتراكية الأمريكية [1].

الأمر لا يتوقف عند هذه المعطيات ، لأن رورتي لا يتوان مظهرا سعادة بالغة في إحدى حواراته حينما يستذكر خبرا روته له أمه عن المرة الوحيدة التي التقى فيها ديوي شخصيا ، حيث كان مكلفا بتوزيع الشطائر (Sandwiches) في حفلة عائلية ، ولم يكن قد تعدى السابعة من عمره [2].

بيد أن سيطرة الطروحات التحليلية ، واستحواذ كثير من مؤيدي هذا النمط من التفكير على قيادة الجماعات الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية وكذا إشرافهم على وضع المقرر في الفلسفة ، قد جعل دراسة البراغماتية في شكلها العام و فلسفة ديوي بشكل خاص أمرا متعذرا .

غير أن تراجع المد التحليلي وقرار رورتي بالعودة إلى المظان الأولى المتمثلة في البراغماتية الأمريكية ، دفع بديوي إلى نيل الصدارة في الاهتمامات المعرفية لرورتي ، بالنظر إلى جملة التقاطعات المعرفية ، فقد بدأ ديوي إنجيليا ثم أصبح هيجيليا ثم اتجه نحو علمنة مسيحية ليرسخ توجهه البراغماتي ، وهو المسار نفسه تقريبا الذي اتبعه رورتي الذي بدأ أفلاطونيا وانتهى مناقضا لأفلاطون .

لا يتوان رورتي في كل فرصة معرفية تتاح له من ذكر المناقب المعرفية لديوي ، مبرزا تمثلاته الفلسفية ومؤكدا على طبيعة تفكيره المتجهة نحو الفعل ، في هذا الصدد يقول رورتي : " ما وجدته متميزا عند ديوي هو نقده للأفلاطونية ، للديكارتية و

---

(1) شنيدر هربرت ، **تاريخ الفلسفة الأمريكية** ، تر : محمد فتحي الشنيطي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1964 ، ص 404 .

(2) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 149 .

الكانطية وكل أنماط التقاليد الميتافيزيقية التي يعارضها دريدا و هيدغر ، ونقده ينبع من بعد اجتماعي يحوز على التفاؤل ، من منطلق أنه لم ير بأن نهاية الميتافيزيقا هي مسألة يأس أو نهيلية ، بل اتجه نحو تفكير هادئ ليقر بأن نهايتها هي بداية الانتهاء من اللاهوت ، ديوي كان يرى بأن تحرير الثقافة من الاعتبارات اللاهوتيـــــــة ومن الثنائيات الميتافيزيقية يعد فكرة جيدة ، وكان واعيا بأن الأمر سيأخذ وقتا طويلا لإنهاء علمنة الثقافة " [1].

لقد عمد ديوي إلى عدم الاعتراف بمعطيات الفلسفة التي لا تأخذ بعين الاعتبار حرية الإنسان ومسؤوليته في الوقت نفسه ، بمعنى أنه اتجه نحو علاقات الفرد التفاعلية الدائمة مع الوسط الاجتماعي و المحيط الطبيعي ، وهو الأمر المكـــــــــــون للخبرة المؤدية للسعادة ، و لن يتحقق ذلك بعيدا عن نظام ليبرالي ديمقراطي ، يعطي للخبرة أهمية بالغة ويساهم في إحداث الانفتاح على الصعيد الاجتماعي و السياسي ، الأمر الذي ينعكس إيجابا على البحث و الباحث وكذا الفرد و المجتمع .

وهنا يكمن السر ، السر المرتبط بسبب التعلق الفلسفي الشديد بديوي الحاصل عند رورتي ، والكامن أساسا في طبيعة فلسفة ديوي على الرغم من التأكيدات التي قدمها نقاد كثر ، وعلى رأسهم جون بتغرو John Pettegrew لرورتي الفيلسوف بوصفه " مرقعا ثقافيا " " Intellectuel Bricoleur " [2] حينما يعمد إلى انتقاد الأفكار التي تتلاءم مع ما يريد تصديقه أو ضحده .

ومهما يكن فإن تجليـــــــات هذا التأثــــــر ليست بحاجة إلى تدليل كبير ويكفي أن ننظر إلى ديوي كحائز لأعلى رصيـــــــد في استـــــــدلالات و ملاحـــــــق كتـــــــب رورتي : " نحن الديويون We Deweyans نشعر بوطنية تجاه أمريكا على

(1) Ibid , P 34 .

(1) Pettegrew John , **A pragmatist's progress , Richard Rorty and America intellectual history ,** P 11 .

الرغم من اعترافنا بإمكانية سقوطها في لحظة فاشية في أي فترة زمنية ، لكننا فخورين بماضينا ، وبتحفظ لنا آمال كبيرة في مستقبلها " (1).

و قـــــولـــــه أيضـــــــا : " بـــالنـــــــسبــــة للبــــــراغمــــاتيــــيـــــن الديويــــيــــــن مثلـــــــ ـــــي (For Deweyan pragmatists like me) فإن التاريخ و الانثربولوجيا كفي لان لتوضيح بأنه ليس هناك مدار ثابت ، كما أن طلب الموضوعية هو أمر متعلق بالاتفاق بين الذوات " (2).

أما في مقاليه : " التغلب على التقاليد : هيدغر و ديوي " Overcoming the Tradition : Heidegger and Dewey و ميتافيزيقا ديوي Dewey's Metaphisics

الواردين في كتاب نتائج البراغماتية ، فإن رورتي يعمد عبر منطلقات تأويلية إلى إظهار نمط البراغماتية الذي ينتسب إليه ، إذ يعمد في المقال الأول إلى إبراز التشابهات المعرفية بين ديوي و هيدغر، مؤكدا على التقاطع الحاصل في ضوء الميل المشترك إلى التأكيد على الحاجة لتفكيك تاريخ الفلسفة الغربية ، ومبرزا أيضا بأن المشاكل الإبستمولوجية للفلسفة الحديثة ناتجة في حقيقة الأمر عن عسر في التكيف بين المزاعم الميتافيزيقية القديمة مع الأوضاع الجديدة ، في حين يؤشر المقال الثاني إلى نمط الميتافيزيقا الفلسفية التي يأمل بها ديوي ، و القائمة أساسا على النقد الثقافي (3).

كما يعود التقدير المنقطع النظير الذي حظي به ديوي من طرف رورتي إلى اعتباره فيلسوف أمريكا الكبير ، الذي أسس فلسفته على التغيير كمطلب ، فالسعي للتغيير الثقافي هو ما عمد رورتي إلى تأكيده من خلال تركيزه على إعادة البناء الثقافي كحالة

---

(2) Rorty Richard **, Philosophy and Social hope** , P 17.
(3) Ibid , P 15 .
(1) Malachowski Alan , **Richard Rorty** , P P 90 , 91 .

مستمرة لتغيير الأسباب الثقافية وإيجاد البدائل المؤدية إلى تغيير المفاهيم المؤدية إلى التجسيد العملي الفعال ، مما يجعل ديوي في الخانة التي وصفه بها رورتي و التي مؤداها أن العالمـــــــية تبدأ بالمحلية ، وهو ما جســـــــده ديوي في ضوء العناية الفائقة التي قدمها للجمهور و مشكلاته ، حينما أنشأ فلسفة تربوية و اجتماعية مبنية على مذهب أخلاقي في التحقق الذاتي .

و الواقع أن رورتي يحتفي كثيرا بالوصف الذي قدمـــــه ديوي للبراغماتية حينما اقر بأنهـــــــــا فلسفة الديمقراطية بالنظر إلى سعة التحقـــــــــق التي تمنحهـــــــا للأفراد ، الأمر الذي لا يتباعد – في نظر ديوي – عن اتجاه " أمركة الفلسفة " الذي يعني تحول المعرفة إلى أمل وهي الركيزة التي استند إليها رورتي في معظم تنظيراته الفلسفية .

لقد استطاعت المعطيات السابقة أن تجسد فعل الاقتناع و الإغواء تجاه فلسفة ديوي ، وهو الأمر الذي حصل نسبيا مع وليم جيمس بالنظر إلى تقاطعاته العديدة مع ديوي باهتماماته بالواقع الاجتماعي حيث لا تتجـــــــــه الفلسفة لخدمة المعرفة الموضوعية فقط ، و إنما لخدمة الغاية الإنسانية .

في حين أن الأمر لم يستقم إلى حدود كبيرة مع تشارلز سندرس بيرس نظرا لتركيز هذا الأخير على منطلق العلاقات وكذا الطابع التجريبي للعقل ، وبالتالي محاولة تقريب الفلسفة من الصرامة العلمية ، وهو الأمر الذي يتعارض مع توجهات رورتي المعرفية الذي اتجه بالفلسفة نحو المعرفة الإنسانية خصوصا تلك المنسجمة مع مفهوم الأدب .

إن أوبة رورتي للبراغماتية وتحديدا براغماتية ديوي هي محاولة للتذكير بأن أمريكا تحوز على ماض فلسفي ، و أن أنسب طريق للتفلسف يتأسس على استقصاء الواقع ، ليعطي بذلك البراغماتية نفسا جديدا على صعيد الفهم حينما توجه إلى التعمق في مناقشة

المسائل الفلسفية منخرطا بذلك في مجالات الفلسفية القارية ، وكذا إلى تحيين كثير من طروحات البراغماتيين السابقين .

وكذا على مستوى اللغة التي عمد رورتي إلى اعتبارها فعلا متجددا يحاول قدر الإمكان عدم تكريس " معجم المفردات " الذي طالما احتفلت به أبجديات الفلسفات الكلانية ، وهو الأمر الذي تيسر بفضل قراءة ديوي التي يقول عنها رورتي بأنها نزعت عنه الرغبة في الإقرار بمصطلحات تؤكد محمولاتها على الموضوعية [(1)].

ليتم الانتصار لنمط آخر من الفلسفة جعل من التوجه نحو المستقبل المبرر الوحيد للاطلاع على فلسفات الماضي .

III- لودفيج فتغنشتاين

يشكل لودفيج فتغنشتاين (1889 – 1951) Ludwing Wittgenstein النموذج الفلسفي الأنسب الذي أوجدت تقاطعاته المعرفية مع رورتي السند الأمثل لتبرير كثير من القضايا المعرفية .

---

(1) Rorty Richard **, Philosophy and Social hope** , P 05.

ويعترف رورتـــــــي بأن الرؤية المستنتجة عبر الانسجام المعرفي الحاصل بين ديوي ، هيدغر ، فتغنشتاين ، خصوصا في نقد الديكارتية قد مكنته من قراءة البراغماتية بشكل جديد .

وعلى الرغم من اعتراف رورتي بالجدل الكبير الذي أحدثه فتغنشتاين عبر انعطافه المعرفي ، إلا أن ذلك لم يمنع رورتي اعتبار فتغنشتاين المتـــــــأخر براغماتيـــــا بالشكـــــل الــــــــذي يجـــــــــوز معه الحديـــــث عن " البراغماتية الفتغنشتاينية " [1].

و الواقع أن الانعطاف الفتغنشتاني قد حصل نتيجة تحول فتغنشتاين من النظرية التصويرية للغة المعبر عنها في المرحلة الأولى من تفكيره الفلسفي عبر كتاب رسالة منطقية فلسفية Tractatus logico philosophicus ، الذي تحدث فيه عن صدق القضايا المحددة و المتمثلـــــــــــــة في قضايا العلم الطبيعي ، بمقابل القضايا الأخـــــــرى الزائفة ، في إشارة منه إلى قضايا الفلسفـــــــة التأمليــــــــة و الميتافيزيقيـــــــــة و التي ليس لهـــــــا مقابـــــل في الوجـــــود الخارجـــــــــــي ، ممـــــا يستوجـــــب الصمـــــــت وفـــــق عبارة فتغنشتايـــــــن الشـــــــهيـــــــرة " إن ما لا نستطيـــــــــــــــع أن نتــــحـــــــدث عنـــــه ينبــــــغـــــــي أن نصمـــــت عنـــــــه

" What we cannot Speak of , we must be Silent about " [2].

لقد حـــــدث التحول باتجاه البعد التداولي خروجا من التصور الفوقي و الفجاجة التقنية

---

(1) Rorty Richard , **Philosophy as cultural politics** , P 161 .
(2) Anscombe ,G.E.M , **An Introduction to Wittgenstein Philosophy** , University of Chicago Press , 2 Edition , 1979 , P 18 .

– حسب فتغنشتاين الثاني – إلى البعـــــــــد الاجتمــــــــاعي الذي يجعــــــل من اللغة وسيلة للتفاهم و التواصل ، أي تم الانتقال من النظرية التمثيلية حيث تشير كل قضية أولية إلى واقعة فعلية إلى نزعة لا تمثيلية ، تستند على التأويل و التنوع عبر ما يسمى بألعاب اللغة Langage Games .

هنا يتضح التقاطع المعرفي بين رورتي فتغنشتاين ، ولعل أبرز ذلك هو التقارب الشديد في الأنطولوجيا المعرفية ، فرورتي بدأ على المستوى الأكاديمي تحليليا ثم انتهى براغماتيا ، وكذا الحال بالنسبة لفتغنشتاين .

ثم إن كثيرا من التصورات الفتغنشتانية وجدت استدعاء وتحيينا في الفلسفة الرورتية لاعتبارات عديدة ، لعل أولها كما يقول رورتي أن فتغنشتاين الثاني ينتمي إلى جناح ديوي [1] ، ثم لأنه – و القول دائما لرورتي – " جعلنا نقدر أهمية اللغة " [2] ، وكذا لإسهامه الكبير في تقويض الثنائيات و الإشكالات الديكارتية [3].

وإذا كان الإسهام الأبرز فتغنشتاين ممثلا في فلسفة اللغة ، وكذا في إعطائه مفهوما جديدا للفلسفة عبر الدعوة إلى تجنب مفاهيم الفلسفة التقليدية ، مع التأكيد على الاستعمال أي توظيف المفاهيم على صعيد الواقع الاجتماعي .

فإن حضور ذلك سواء على مستوى الفلسفة المعاصرة أو الاتجاه البراغماتي قد ساعد في إبراز التصور الذي بمقتضاه يصير الواقع – كما يقول رورتي – مرتبطا بما قررناه وحضرناه لاعتباره أمرا محددا [4].

---

(1) Rorty Richard , **Conséquences du pragmatisme** , P 102 .
(2) Ibid , P 98 .
(3) Ibid , P 52 .
(4) Rorty Richard , **Objectivity , Relativism and Truth** , P04 .

ليكون الأمر خاضعا لمقصدية في مفردات تحوز معنى ، وترنو إلى الاستعمال داخل السياق الاجتماعي ، خصوصا و أن فتغنشتاين جعل من التعريف مقصدا سلبيا في الفلسفـــــــة لتناقضــه مع الصيـــرورة الإبداعيـــة التي تربـــــط بيـــــن المعنى و الاستعمــــــال (The meaning is the Use) ، ومن ثمة الاتجاه نحو المستقبل بالشكل الذي يمكن من إبداع مفردات في اللغة شريطة حيازتها للمعنى .

وهو الأمر الذي انتقى كما يرى فتغنشتاين في كثير من أبجديات الفلسفة الكلاسيكية التي كانت تربط بين حدود العالم وحدود اللغة كإطار تمثيلي تشترك فيه الواقعية و المثالية على حد سواء بالصيغة التي تشكل جملة العوائق أمام تطور المعرفة ، يقول رورتي مبرزا هذا التصور : " لقد كان فتغنشتاين مقتنعا بتوضيح عن طريق الأمثلة إلى أي نقطة هي الأسئلة التقليدية عديمة الجدوى ، لقد وضح بـــــــأن هذه الإشكالات تستند إلى مفردات (...) موجهة لمنع كل حل " [1].

و إن كانت براعـــــة رورتي فـــــي الكتابة الفلسفيــــــة – كما يقول آلان مالاتشوفسكي Alan Malachowski – لا تحيل فقط إلى الدقة و الصرامة في اللغة وتقديم المعلومات ، وإن كان هذا شرطا ضروريا ، و إنما في جعل ما يكتب في الموضع الظاهري الجيد للاستعمال التطبيقي .

وهو الأمر يربطه رورتي بالسياق ، فإن تخفيف مجال الصرامة خصوصا في الأمور المتعلقة بمباحث الميتافيزيقا جاء ليخفف وطأة المعاناة لحساب روح ساخرية يعتقد أن لفتغنشتاين النصيب الأكبر فيها [2].

---

(1) Rorty Richard , **Conséquences du pragmatisme** , P 111 .
(2) Malachowski Alan , **Richard Rorty** , P 95 .

IV- مارتن هيدغر

لقد شكل مارتن هيدغر (1889 – 1976) Martin Heidgger خلفية أساسية لفلسفة رورتي دفعت هذا الأخير ليختار اسمه كعلامة بارزة في عنوان كتاب .

للإشارة فإن رورتي يشير إلى فضل جاك دريدا Jacques Derrida في تعريفه بهيدغر ليتم بعد ذلك استنتاج جملة التقاطعات التي تجمعه مع ديوي و فتغنشتاين بالشكل يدفع إلى تشكيل خلفية فلسفية عبر هذا الثالوث الذي طالما احتفى به رورتي [1].

وإن كانت فلسفة ديوي تتسم في عمومها بالانسجام على الرغم من بدايته المثالية إلا أن رورتي يفضل أن يضع مقاربة بين الحياة المعرفية لفتغنشتاين و هيدغر ، فبحسب رورتي إن فتغنشتاين الأول ، وهي المقاربة التي يعبر عنها رورتي بقوله : " لقد كان فتغنشتاين الشاب مدفوعا بأسباب روحانية وليست براغماتية ، بطلبه من الملفوظات أن تكون صورا أكثر من كونها وسائل بسيطة ، و بالعكس فهيدغر الشاب كان أكثر براغماتية من منطلق أن فلسفة العقلانية المفروضة تنسجم تماما مع وضعية الوسيلة ، في حين أن فتغنشتاين المتأخر أكثر براغماتية ، انتهى بالاقتناع تقريبا في الوقت الذي قرر فيه هيدغر الثاني رؤية البراغماتية المبدئية على أنها استسلام سابق لأوانه أمام العقل (...) العدو الأكثر عنادا للتفكير " [2].

ويعد مارتن هيدغر واحدا من الفلاسفة المجتهدين – حسب وصف رورتي – حيث عمد عبر قراءة معمقة لتاريخ الفلسفة ، خصوصا الفلسفة الإغريقية إلى إعادة تشكيل مفهومها وطريقة تطورها من خلال ربطها بأسئلة الحاضر .

---

(1) Rorty Richard **, Philosophy and Social hope** , P 12 .
(2) Rorty Richard , **Essais sur Heidegger et autre écrits** , PUF, Paris , 1 édition , 1995 , P 84 .

و على الرغم من إشارة رورتي إلى أن هيدغر كان إلى درجة ما تحت تأثير سلطة نوستالجية أثناء إعـــــادة قراءته لتاريــــــخ الفلسفة ، إلا أن طروحاته المعرفية شكلت مصدر تأثير على الوجودية وكذا على الفلسفة التأويلية المرتبطـــــــة بهانز جورج غادمار (1900 – 2002) Hans George Gadamer [1] ، هذا زيادة على تأثير في نيو براغماتية رورتي نفسها .

إن إســــهـــــام هيدغـــــــر الأول يظـــــهـــــر خصـــوصا مــــع كتــــابــــــه الوجــود و الزمن Being and Time الذي يعمد فيه إلى التأكيد على اللاماهوية كحالة محايثة للوجود الإنساني أولا ، ثم عدم إمكانية فهمها بعيدا عن الحرية كتصور ثان .

هذا زيادة على حديثه عن الوجود بصفته فعلا مؤقتا ، وهذا ما ينسجم مع العارضية التي تحدث عند رورتي .

لقد جسد رورتي طرحه النيوبراغماتي كأنسب قراءة – كما قال – للفلسفة القارية و التي آثر تسميتها بالفلسفة ما بعد النشوية [2] ، على نصوص مارتن هيدغر نفسها بوصفه فيلسوفا منتميا بحسب إشارة سيمون كريتشلى Simon Critchley للفلسفة القارية Continental philosophy من منطلق تركيزه على التواصل الفلسفي عبر العودة إلى النقاط التاريخية المفصلية وكذا لإعادة التفكيــــر في المفاهيـــــــم المسببة للاختلافات الفلسفية [3].

(1) Hottoi Gilbert , **De la Renaissance a la Postmodernité ,** P 338 .
(2) Rorty Richard , **Essais sur Heidegger et autre écrits** , P 3 .

(3) Gritchley Simon , **Continental philosophy** , Oxford University press , UK , First publishing , 2007 , P 14 .

وهو الفهم الذي دفع رورتي على مراجعة تصوره عن هيدغر المتأخر حينما سئل في كتاب الحوارات سنتين قبل وفاته عن التغيرات التي أحدثها في فلسفته فكان جوابه : " إن أهم تغير أدركه يكمن في الحصول على اهتمام كبير بهيدغر المتأخر ، لقد تعودت على التفكير في هيدغر كمالك للبراعة الهائلة المؤدية لما كان يفكر فيه ، مثل نيتشه المتأخر ، وهو الأمر الذي أفكر فيه بوصفه براغماتية " [1] ثم يواصل أجوبته إلى أن يقول : " إني أتفق مع هيدغر المتأخر بأن التفريق الذي عشنا به بين العلم ، الشعر و الفلسفة يعد أمرا خارجا عن المألوف " [2].

وبعيدا عن الطعن و الإطاحة بفلسفة هيدغر نتيجة بعض مواقفه السياسية الناتجة عن سياق معين ، فقد عمد رورتي إلى ممارسة المحادثة كشكل من الحوار يتجه نحو الفيلسوف عبر قراءة أفكاره ، وهذا ما يمكن ملاحظته في أغلب مقالات رورتي خصوصا المتأخرة منها التي تتجه إلى دراسة الكتابة عبر التأكيد على الكاتب ،و كذا بإحداث مقاربة معرفية من خلال المقارنة مع تصورات مفارقة .

وهي التصورات التي تحيل في الغالـــــب إلى تقاطـــــع معرفي بين كثير من أفكار هيدغر و نيوبراغماتية ريتشارد رورتي ، سواء بالاهتمام بالإنسان بحكم كونـــه موجودا و يمتلك القدرة على تفعيل اللغة ، أو في نقد الميتافيزيقا الغربية التي تتمظهر بأشكال متعددة ، لدرجة تحولها لإديولوجيا محايثة للعقل ، تؤجج مركزية العلم والتكنولوجيا في المجتمعات الغربية ، وكذا في موقفه المعارض للوضعية المنطقية في إهمالها للبعد العارضي المقـــــدر لنصوص الهامش ، ليكون البديل – كما يرى هيدغر – إيجاد معنى الحياة من خلال إيجاد لغة الحياة نفسها عبر الشعر ، ولن يكون ذلك إلا في لحظة الاحتفاء الحاصلة في غبطة الإنسان أثناء تمكنه من الوجود .

---

(1) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 19 .
(2) Ibid , P 21 .

وهو القصد الذي عبر عنه رورتي من خلال تأكيده على هدف هيدغر من جراء هذا النمط من الفلسفة " هو أن يجعلنا نفهم كيف يمكن أن تكون الثقافة حينما يكون نموذج الاشتغال الإنساني متمثلا في الشعر " [1].

الفصل الثـــــالـــــث

(3) Rorty Richard , **Essais sur Heidegger et autre écrits** , P 58 .

<u>الفصل الثالث:</u> الفلسفة و اللغة في البراغماتية الجديدة

<u>المبحث الأول:</u> الفلسفة في براغماتية رورتي الجديدة

لا يتجه ريتشارد رورتي إلى غاية ضبط مفهوم نهائي للفلسفة بقدر توجهه نحو الكشف عن مآل الفلسفـــــــــــة التي استنفـــــــــــدت صلاحيتها حينما انخرطت في خطاب ماهوي ، تأسيسي و تمثيلي ، بمقابل نموذج جديد – وجد سندا له من الاجتهادات المعرفية لبعض الفلاسفة على شاكلة ديوي ، فتغنشتاين و هيدغر – يعتبر رافدا لإحداث المحادثة ذات الطابع التشاركي بين مختلف المعارف .

إذ ليس المهم في نظر رورتي أن ندافع عن الفلسفة كمعرفة مستقلة ، طالما أن أمرا كهذا يعجل زوالها و انقراضها ، إذ لا يمكن للطروحات التقليدية أن تصمد أمام التغيرات الحاصلة على الصعيد الاجتماعي خصوصا ، الأمر الذي يتطلب تعاضدا و تساندا للأشكال الممثلة للمعرفة الإنسانية ، بالطريقة التي تتوجب محيا لمختلف التحديدات المعرفية السابقة التي كانت تفصل الفلسفة عن المعرفة الاجتماعية و

الإنسانية ، لصالح الانتماء إلى الفعل الثقافي الأمر الذي يجعل من الفيلسوف مختصا في الأفكار .

أولا : مفاتيح للقراءة

I – الفلسفة مغامرة دون تميز خاص

يرتبط الطرح التقويضي الذي عمد رورتي إلى ممارسته لتشكيل تصوره الفلسفي الجديد ، الذي لا يعترف بوجود مشكلات أبدية للفلسفة ، وهو الأمر الذي يدفع لصالح تجنب كل تأسيس معرفي يعطي لمفهوم ما ديمومتـــــــه و خلوده ، إذ ليس ثمة من مبـــــــرر

معرفي – كما يرى رورتي – في الإجابة عن سؤال طبيعة الحقيقة أو الخير ، أو يدخل بشكـــــــل عـــــــام في سيـــــاق هـــــــذه " التيمات " المبهمـــــــة ، التي لم تزد الفلسفة إلا انحطاط و نكوصا ، إذ أن التطور الفلسفي – حسب قول رورتي – ليس محصلة لاشكالات محلولة بقدر اعتباره أوصافا مطورة [1].

لقد عمد رورتي في ضوء مشروعه الفلسفي إلى تفكيك طبيعة الاشتغال الفلسفي الغربي ، بالوقوف على أهم التصورات و القضايا ،آملا استقصاء كنهها ، وكان استنتاجه أن الفلسفة في سياقها التقليدي الطافح بالرؤى الإشكالية ليس قمينا بالبقاء كما أنه غير منتج براغماتـــيا ، لدرجة أنه سيكون مسدا يشكل في كل مرة صورة الفيلسوف الإشكالي المحبط .

(1) Rorty Richard , **Philosophy as Cultural politics ,** P 133 .

إن الفلسفة الغربية في نظر رورتي وصلت إلى لحظة الإفلاس نتيجة ممارسة التهويم و الخداع ، بالنظر إلى التصور الذي رسخ عن الفلسفة بوصفها مرآة للطبيعة سواء في شقها المثالي حيث تكون الفكرة – المعبرة عن الحقيقة – مطابقة للتمثل ، أو على الصعيد الواقعي حينما تتماهى الحقيقة مع التجربة ، أو حتى في بنائها التقليدي المشكل من مباحثها الكلاسيكية على الصعيد الأنطولوجي ، الابستمولوجي و الإكسيولوجي .

لهذا السبب فرق رورتي بين نمطين من الفلسفة ، فلسفة Philosophy بحرف متصدر كبير يعبر عن تصورها داخل الطروحات الكلاسيكية ، وفق ما تراه الاتجاهات و التيارات الفلسفية التي تتبنى التصور المرآوي – على حد تعبير رورتي – المؤسس خصوصا على تصورات أفلاطون ، ديكارت و كانط في البحث عن ماهيات الأشياء و التأكيد عليها في حين يشير المعنى الثاني البادئ بحرف استهلال صغير إلى الحراك و الإبداع المستمر بغرض التجدد وذلك بالتعامل مع المفاهيم بوصفها نكرة في إطار الأفعال أو الوضعيات [1].

لقد أكد رورتي أن تحرر الفلسفة رهين بالتحرر من الثبات الماهوي و الانعكاس المرآوي كصورتين معرقلتين للأداء الفلسفي ، وهو ما سعى إلى التأكيد عليه حينما تبنى مفهوما جديدا للفلسفة يعد نتاجا للأفكار المتنوعة الحاصلة أثناء المحادثة الثقافية الخالية من الإكراهات ، مع ربط ذلك بالأهمية البالغة للابتكار و التأويل كنتاج للعقل المتمكن الذي يمكن أن يحضر في أي لحظة زمنية ليبدع في الفهم و القول ، خارج الأطر الجاهزة التي تقر بأن الشيء إما أن يكون بهذا الشكل أو لا يكون .

ولن يتأتى هذا الأمر – في نظر رورتي – بعيدا عن طرح مبدع للفلسفة كمقاربة جديدة تدحض غاية الكشف عن الحقيقة الموضوعية الخالدة ، وترنو بالمقابل إلى الاسترسال

(1) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 15 .

البلاغي و التهكمي المعبر عن السياق الاجتماعي في ظل طروحات ليبرالية تعطي للمفهوم حضوره بعيدا عن أشكال التسلط التي كانت تفرض على الفلاسفة تقديم – إجابات للمشاكل التقليدية بمنطق الوجوب ، الذي رهن – في نظر رورتي – تطور الفلسفة بالشكل الذي أمست فيه غير قادرة على تبرير وجودها و تقديم دعائم استمراريتها ، إذ أن اشتغال رورتي الميتافلسفي أبان عن سيطرة استعارة الفلسفة كمرآة للطبيعة على معظم الاشتغالات السابقة ، هذا زيادة على حصول إمكانية معالجة هذه الاشتغالات داخل حقول المعرفة الأخرى ، وهو الأمر الذي جعل الفلسفة في نظر رورتي – داخل السياق التقليدي – تستنفذ كل طاقاتها إلى درجة أن الأمر قد أصبح مؤكدا مع تلك المحاولات التي نادت بتحويل الفلسفة إلى علم صارم يتم فيه الحديث عن التحقق من موضوعية المعالجة بالصورة نفسها التي يتم بها التحقق في ميدان العلم [(1)].

إن التشكيل الفلسفـــــــي الجديد الذي تحدث فيه رورتي عن البديل في سياق النيوبراغماتية ، جاء كمحصلة جهد شاق استمر زهاء أربعين سنة في البحث عن جدوى الفلسفة [(2)] ، أعاد من خلاله رورتي قراءة تاريخ الفلسفة الغربية بغرض الوقوف على مكامن الخلل ، وكانت النتيجة أن هروب الفلاسفة من التاريخ و معالجتهم للمشكلات الفلسفية من منظور سرمدي ، و كذا بحثهم الحثيث عن الحقيقة المؤبدة ، قد خدم غاية مناقضة تماما لما كانوا ينتظرونه ، وأدخل الفلسفة في أزمة خطيرة مست كينونتها و عجلت الدعوة إلى إزالتها .

---

(1) Rorty Richard , **Linguistic turn** , P 01 .
(2) Rorty Richard **, Philosophy and Social hope** , P 11 .

وهو الأمر الذي دفع رورتي إلى تقديم حل حمل نوعا من الساخرية ، مفادها أن التصور النيوبراغماتي لدفع الفلسفة للاستمرارية مرتبط أساسا بالتوقف عن ممارسة الفلسفة (1).

هنا تتجلى علامات التعجب و الاستفهام عن طبيعة هذا الموقف الذي يظهر لأول وهلة أنه يعاني الهفت و التناقض .

و الحال أن رورتي يشير إلى التوقف عن (ال) فلسفة Philosophy بالمعنى الأول الذي سبقت الإشارة إليه و المرتبـــــــط أساسا بالطروحات الكلانية المروجة للتصورات الأفلاطونية و الديكارتية و الكانطية التي كانت تنظر إلى طبيعة المعرفة من زاوية ارتباطها بالمشكلات الأبدية التي تظهر و تمل بمجرد تأملها (2).

بمقابل إعطاء " الفلسفة " philosophy بحرف استهلال صغير الفرصة كبديل معرفي ، يرنو إلى إحداث التغيير و التجديد في عالم ينظر إليه رورتي بأن معالمه لازالت لم تحدد بشكـــــل نهـــــائي (3) ، ولـــــــــن يكـــــون ذلك في نظـــــر رورتي إلا من خلال إبداع الذات Self – Creation و بالتالي رفض الإقرار بوجود طبيعـــــة جوهرية للإنسان ، تجعـــــــل من العقل – مثلا – الوسيلة المثلى للمعرفة ، وتلغي أساسا الاجتهادات المعرفية التي احتفى بها رورتي و المتمثلة أساسا في جديد داروين C.Darwin وفرويد S.Freud .

إن سعـــــي رورتي لتقويض الصور المرآوية على الصعيد العقلي و الواقعي كان لصالح فلسفة ، لاماهوية ، لا تأسيسية و لا تمثيلية تتخذ من المعرفة الإنسانية بشكل عام

---

(1) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 16 .
(2) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P 13 .
(3) أبو السعود عطيات ، **الحصاد الفلسفي للقرن العشرين** ، مطبعة منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط 1 ، 1983 ، ص 132 .مطبعة منشأة المعارف ، ال

و الأدب بشكل خاص نموذج الاحتذاء ، بالشكـــــــــل الذي تصيـــــــــر معه الفلسفـــــــــــة تأويـــــــلا و إبداعا قائما على الحرية و الشاعرية ، دون أن يعني ذلك " تهويما " أو " هذيانا متعاليا " ، طالما أن الجنس الجديد لا يستبعد المعرفة العلمية ، بل يؤكد على أهميتها وكذا على نسبيتها كي لا تصير " سياجا دوغمائيا " .

ومن ثمة الدعوة إلـــــى تراص و تعاضـــــد ثقـــــــــافـــــي يكـــــــــون معـــــــه الفيلسوف مختصا في الأفكار [1]، وتكون معه الفلسفة قيمة أكسيولوجية قوامها الذوق الجمالي [2].

وبذلك يكون رورتي قد أعطى نفسا جديدا لفلسفة بلا امتياز ، من خلال حقنها بأمصال المعرفة الإنسانية بما في ذلك الأدب ، بل و خصوصا الأدب المنفتح عن القول الشعري الذي لا مجال لتوقع بدايته و تحديد نهايته .

وكذا من زاوية فهم الفلسفة على اعتبارها إقرارا بحرية الفعل و التفكير و ليس استغراقا في التنظير الحاصل من إبعـــــــاد الفلسفة عـــــن مساقاتها المتعـــــــــــددة بمـــــــــا في ذلـــــــــــك الاجتماعية و التاريخية [3].

II – الأسس الواصفة للفلسفة و تجلياتها الما بعدية

(1) Rorty Richard , **Philosophy as Cultural politics ,** P 133 .

(2) الزين محمد شوقي ، **تأويلات وتفكيكات : فصول في الفكر الغربي المعاصر** ، ص 159 .

(3) Calder Gideon , **Rorty and Redescription** , Edition of Weidenfeld and Nicolson , London , First published , 2003 , P 03 .

عادة ما تعـــرف الميتـــــــــــــــــافلسفـــــــــــــــة Metaphilosophy بأنهـــــــــا فلسفـــــــــة الفلسفـــــــــة The philosophy of philosophy بالشكل الذي يحيل إلى دراسة مناهج و أهداف الفلسفة ، حيث يقوم " أطباء الفلسفة " – الذين عادة ما يكونون إما نتاجا لتكوين معرفي خاص بهذا السياق أو نقادا يعرفون بانتمائهم و قناعاتهم – كمهتمتين بشؤون الفلسفـــــــــة بمناقشة إشكالاتها و البحث في سبل بقائها و كذا العمل على تطويرها [(1)].

و يعد ريتشارد رورتي واحدا من المهتمين بهذا المجال ، بالنظر إلى إسهاماته وكذا اجتهاداته المعرفية الظاهرة في وضع البراغماتية وسط ثورة لا نهائية مست بطبيعة الفلسفة نفسها [(2)].

فلم تعد الفلسفة عند رورتي مرآة مجلوة تعكس العقل أو الواقع ، وإن كان يشير في أحيان عديدة إلى أن هذا النمط من الفلسفة هو فلسفة أولى استنفذت طاقاتها ، وعبرت عن نفسها لدرجة أنه لم يعد ثمة مبررا لاستمراريتها ، إذ لا يعقل – كما يرى رورتي – أن نبحث عن اليقين في عالم مؤقت [(3)].

لذلك يرى رورتي أن مبررات تهافت الفلسفات " المرآوية " السابقة – التي دفعت الإنسان إما للتمسك بالصرامة الشديدة طلبا للدقة و اليقين أو السقوط في هاوية الفوضى و العدمية – هي التي عجلت بانتفاء هذا النمط من الفلسفة ، لصالح فلسفة ثانية غالبا ما يعبر عنها بما بعد الفلسفة (Post Philosophy)

---

(1) Ted Horderich , **The Oxford Companion to Philosophy**, P 589 .
(2) Cometti Jean Pierre , **La philosophie sans privilège** , in , **lire Rorty , Le pragmatisme et Ses conséquence** , Edition de Lechat , France , 1992 , P 10 .
(3) Herman j , Seatkamp jr , **Rorty and pragmatism , The philosophy responds to his critics** ,(introduction) , Vanderbilt University press , Nashville and London , First edition , 1995 , P IX .

لقد أعطى رورتي لواقع ما بعد الفلسفة بعد ثقافيا صرفا تتظافر داخله مختلف المعارف من دون إمكانية الحديث عن سيطرة نظام معرفي على آخر ، إذ أن الأمر لا يعدو كونه فعلا مجسدا للفعل الثقافي بما يقتضيه الطرح العارضي و الإجرائي ، بمعنى أن لكل مرحلة نموذجها الإرشادي Paradigm الذي يتماشى مع المتطلبات المعرفية التي يشترطها السياق الاجتماعي و الاعتقادات و الممارسات الاجتماعية و اللغوية في كل فترة تاريخية ، بالشكل الذي لا يتيح للفلسفة أن تتمتع بأي سلطة تفرضها على الثقافة بغرض إحداث نموذج إرشادي بأسس مؤبدة و ثابتة [1].

وهو الأمر الذي ينفي عن الفلسفة سلطتها النابعة من نظرة استعلاء مرتبطة بإقرار البحث عن اليقين و كذا امتلاكه ، زيادة على الزعم بصفاء التخصص النابع من ارتباطه بأفكار الصفوة ، وهو الأمر الذي شكل عائقا أمام الفلسفة ، وعجل وصولها لمأزق النهايات .

بيد أن حالة الانبعاث السليمة للفلسفة وفق أطر سياقية جديدة – حسب رورتي – مرتبطة بالجو الثقافي الحادث في حالة ما بعد الفلسفة ، حيث تفقد الفلسفة بذلك تفردها القيادي الناجم عن ترسبات الطرح الإغريقي بوصفها " ملكة للعلوم " ، لتدخل بصفة المشارك في محادثة ثقافية تجمع بين صنوف المعرفة – بعيدا عن الزعم و الإدعاء القبلي – كحالة شاعرية موازية للحاصل في الأدب أو بالأحرى النقد الأدبي ، ويتحول معه الفيلسوف كمختص في الأفكار إلى مثقف يمارس فعل النقد المتجه نحو الفعل ، وسيكون ذلك رهينا – كما يقول رورتي – بابتعاد الفيلسوف الجديد عن إدعـــــــــــاءات الفلسفة ، مما يمكنه الانتقال السريـــــــــــع و المريح دون

---

(1) أبو السعود عطيات ، **الحصاد الفلسفي للقرن العشرين** ، ص 139 .**العشرين**

الحاجة إلى وساطة كأن ينتقل من همنغواي Hemingway إلى بروست Proust إلى هتلر Hitler إلى ماركس Marx ... [1]

إن الممارسة المستمرة لفعل " النقد الثقافي " كما يتصوره رورتي ليس أمرا خاصا بالفلسفة التي سوف لن تكون إلا دراسة الإيجابيات و السلبيات المقارنة التي يمكن أن تحدث أثناء اختلاف الكلام الصادر من طرف البشر كحالة محادثة ، ستوجب الحرص على الاستعمال اليقظ للغة بوصفها وسيلة التخاطب اليومي ، وكذا لمفصليتها في التعبير عن الفكر ، و أكثر من ذلك خصوصيتها كجانب بالغ الأهمية في نيوبراغماتية رورتي .

و الواقع أن حالة المحادثة هذه قد تؤدي إلى أمرين اثنين : إما أنها تكرس خطاب متنوع يتجه فيه كل مشارك إلى المحافظة على خصوصية اللغة المعرفية التي يتحدث بها ، أو أنها ستؤدي في نهاية المطاف إلى لغة جديدة تكون محصلة للمحادثة كمظهر من مظاهر النقد الثقافي – الذي لن تقوم له قائمة في نظر رورتي – إذ انتفت عنه صفة التشاركية بين الممثلين لأنماط المعرفة كحال الأدب ، التاريخ ، الأنثربولوجيا و السياسية [2].

ولم يكن بإمكان رورتي اختراق حدود الفلسفة القائمة على التأكيد على ضرورة التعريف بها عن طريق التأكيد على مباحثها التقليدية من دون الاتجاه نحو تفكيك الفلسفة ذاتها عبر مسارها الطويل ، و كذا تقديم البديل – في ظل عصر شهد تطور العلم في شقه الأمبريقي إلى درجة تحوله في بعض التصورات إلى " سياج دوغمائي " – عبر توصيف ينبغياتي لحالة الثقافة بما في ذلك الفلسفة في وصفها الجديد عبر مصطلح ما بعد الفلسفة .

---

(2) Rorty Richard, **Conséquences du Pragmatisme** , P P 58 , 59 .

(1) Ibid , P 58 .

للإشارة فإن رورتي في تصوره لثقافة ما بعد الثقافة يمزج بين تمثلين اثنين : يتمثل الأول في تشكيل رؤيته عبر تنويعاتها داخل إطار النسبية ، بسعيه كل مرة للخروج عن كل تحديد يجعل من الفلسفة تقليدا ماهويا يفرض إمـــــلاءات و قوالب جاهزة في ضوء صيغة اللاتعيين و التجاوز كحالتين ملازمتين للفعل الفلسفي تماشيا مع السمات التقويضية التي تشغل حيزا كبيرا في تصوره البراغماتي الجديد .

في حين يتحدد التصور الثاني في إيمانه الشديد بالمستقبل عن طريق خروجه عن إطار التفكير الشمولي نتيجة قراءاته ل نيتشه و ديوي مثلما يعترف في " الفلسفة و الأمل الاجتماعي " Philosophy and Social Hope ، مراهنا على الرؤية التفاؤلية التي تصب في القالب الأخلاقي للأنوار ، ومنفتحا بذلك على التهكم باعتباره استدلالا حرا يدفع الفيلسوف إلى تخفيف الصرامة المنطقية بمعناها الفج ، وكذا طلبا للشفاء – كما يقول رورتي – من ذلك المرض المزمن الذي لازم كثيرا من الفلاسفة ، نتيجة تلك الجدية المبالغة في الصرامة و المعاناة في طلب الحقيقة .

إن الأمل الذي يراهن عليه رورتي قائم أساسا على مشروعـــــــه البراغماتي الجديد الناتج عن تفكيـــــــك الممارســـــــــات الفلسفية التــــــــي طالما رزحت تحت سلطـــــــــــة الخروقات و الأوهـــــــــــام بالشكـــــــــل الـــــــذي يجعـــــــــل هـــــــذا التصـــــــــــــور قمينـــــــــا بالنعـــــــــت بأنـــــــه النمـــــــــوذج الأنســـــــب للمستقبل The Apotheosis of the future [1].

وهو المستقبل المتوقف على إزالة كل الأرتاج التي مارست فعل " الغلق " أمام المبادرات المعرفية الهادفة إلى إزالة مختلف نماذج التخويف و التعطيل المترسخة عبر

(1) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 27 .

تاريخ الأفكار ، لصالح طروحات : شاعرية ، رومانسية ، تفاؤلية ، تشاركية تدخل في إطار

التصور العام الذي يرنو إلى التصحيح المتجدد لمختلف المثالب و الأخطاء ، بتعزيز ثقافة " سلوكية " تأثرا بمساهمات تشارلـــــــــــــز دارويـــــــــن (1809 – 1882) Charles Darwin حيث عمـــــــد رورتي إلى الاستعـــــــــــانــــة بمفهـــــــــوم التطـــور البيولوجي ، و اعتبار ذلك أمرا أساسيا لإدراك التطور الثقافي [1]،و كذا بالاجتهـــــــادات النفسيــــة لجـــــــون برودوس واطسن (1878 – 1958) John B . Watson عبر تأكيده على ضرورة الإنصات و الاستجابة للتنظيمات السياقية التي تعطي الأهمية البالغة للمحيط و الظروف في تحديد طبيعة تطور المفاهيم و الأشياء ، بالشكل الذي تصير معه البراغماتية – حسب رورتي – فلسفة علاجية ، تساعد إلى حد كبير في التحرر من العوائــــــــــق و التخلـــــــص من الأرتاج التي تشكلت بشكل تراكمي في صور عادات و قناعات [2].

ثانيا : الفلسفة و الفيلسوف : سؤال المآل و النهايات

I – الفلسفة عند رورتي : أزمة الماضي و إمكانات المستقبل

لقد اختص المشروع الفلسفي عند رورتي – بحسب قراءة مالاتشوفسكي Malachowski – بتحرير الفلسفة الغربية من الإفلاس و الخداع الفردي الماضوي تحت مسمى حجة اليقين الذي تشكل كهاجس مفصلي يحدد طبيعة الحراك الفلسفي

---

(1) Rorty Richard , **L'espoir au Lieu du Savoir : Introduction au Pragmatisme** , P 51 .
(2) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 125 .

ومنتهاه بالنظر إلى عاملين اثنين : الأول خارجي ، تأثرت فيه الفلسفة بدقة المعرفة العلمية وأرادت بذلك مجاراتها ، ليصير حديث الفيلسوف دقيقا غير قابل للتأويل .

و يرتبط العامل الثاني بتخريجات معرفية عائدة بالأساس إلى طبيعة الخلفية الفلسفية التي يبني عليها الفيلسوف طرقته بالتفكير و التي غالبا ما تنوس بين ثنائية الصواب و الخطأ . وهو الشكل الذي تبدت وفقه معظم انتاجات الاتجاهات الفلسفية التي جعلت من الكشف عن الحقيقة والتبليغ عنها مهمتها الأساسية .

لقد آن الأوان كما يقول رورتي أن نتوقف عن هذا الإدعاء الذي يؤدي تحققه إلى توقف الفلسفة كممارسة فكرية تنشد الاغتنـــــاء بالنظـــــــر الحاصل على مستوى الاكتشافات الفكرية و التغيرات الاجتماعية .

إن إدعاء الفلسفة على لأنها المعيار الأوحد لتحديد المعايير العلمية الحقيقية – في نظر رورتي – قد ألغى خصوصية الواقع المتشابكة و المتجددة و التي لا يمكن أن يتم استشرافها بتفاصيلها ، إذ أن أحداث الواقع متغيرة و تخضع لصيرورة ديناميكية إلى درجة تعذر الإحاطة بهذه الحركية ، فكل سعي للإحاطة يحال بالضرورة إلى الماضي بمجرد حضور الواقع الأخرى .

كما أنه من العسر الشديد أن يتم نقل الواقع بشكل فوتوغراف ي محايد ، إذ الواقع في تصور نفسي معين يحيل إلى الحالة التي ننظر بها إلى هذا الواقع ، وهي حالة المنحنى الجيبي الذي يتزايد و يتناقص تبعا لتيار الوعي والشعور .

فهل يعني ذلك أن رورتي قد أعلن نهاية الفلسفة ؟ .

في نظر الفلاسفة الذين يرون في الفلسفة بحثا عن اليقين والحقيقة يعد تصور رورتي في ضوء النمط الذي قدمه بمثابة توثيق شهادة وفاة أو إعلان تعزية ، طالما أن رورتي قد بنى مشروعه البراغماتي على نهاية الفلسفة ذات النزوع التأسيسي .

بيد أن رورتي على الرغم من مقاربته الجديدة في قراءته وتصوره لتاريخ الفلسفة الغربية بمحطات معينة إلا أنه لا يعلن نهاية حقيقية للفلسفة ، بالرغم من حديثه عن نهاية الفلسفة .

إن تجلية اللغز السابق لتصور رورتي الفلسفي يكمن في إدراك الفلسفة كحراك معرفي يمارس التجدد والصيرورة .

فرورتي يعلن نهاية الفلسفة التي يزعم أصحابها بامتلاك الحقيقة المطلقة ، وكذا بصفاء هذا الجنس المعرفي و أحقيته في مواصلة تسنم المعارف كأم و ملكة للعلوم ، لصالح قيام نمط جديد من الفلسفة يتم فيه التركيز على مصطلح الصلاحية من أجل مستقبل جيد للإنسان ، وهو الأمر الذي لا يمكن للفلسفة أن تشارك في تفصيل قضاياه مادامت تؤسس معطياتها على وتيرة الصرامة الرياضية و المنطقية بدل العمل على العطاء المتجدد بالشكل الذي يتواءم مع تفتح القول الشعري وحريته [1].

لقد اتضح أن رورتي لا يعلـــــــــــــن عن نهاية الفلسفة كشكل معرفي يملك حضوره حتى أثناء الرفض ، مذكرا إيانا بمقولة أرسطو " بأن رفض الفلسفة يحتاج إلى فلسفة " ليكون العمل تفنيدا من أجل الارتياب ، والدليل على ذلك التعبيرات التي يقوم

(1) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 27 .

في ضوئها بتوظيف الفلسفة كحالة ملازمة للثقافة التي سيؤدي اختفاؤها بحسب رورتي إلى ضياع أمر مفصلي في الحياة الثقافية للمجتمع الغربي (1).

كما أن إثباتها على مستوى الوجود و القيمة هو اعتراف بجهود المفكرين ، وفق الإشارة التي أقر بها رورتي أثناء قوله بأن تفنيد قيمة الفلسفية يعني بأنه لا وجود لأفلاطون و لا كانط و لا سيدني هوك (2).

لقد آن الأوان كما يقول رورتي في مقالته الفلسفة و المستقبل Philosophy and Future إلى أن نعمد إلى تغيير سؤال " من نحن " إلى " ما ينبغي أن نكون عليه " فالتحول من الكينونة من الماهية إلى المآل يتجه أساسا لصـــــــالح الفلســـــــفة كفعل تشـــــــاركي ينبري لتجسيد قيم المعرفة و الجمال أثناء المحادثة ، زيادة على الاتجاه نحو المستقبل ، ليكون الغرض بحثا في المستقبل عن مستقبل الفلسفة المخالف لماضيها بالضرورة ، بالشكل الذي يؤدي إلى تفعيل الدور الاجتماعي (3).

ليتم إنتاج ما يعتقد أنه حقيقة كتعاقد و اتفاق بين ممثلي الحياة الاجتماعية في صورة متجددة لا تحيل إلى الديمومة ، من منطلق تنوع المتطلبات وتعدد الوقائع وكذا اختلاف الأفهام وهو الأمر الذي يولد الابتكار إن هو تم في جو محادثة تأبى إعطاء الريادة المسبقة لأي معرفة ، بقدر اعتمادها على الممارسة الحاصلة داخل السياق التشاركي .

لقد أناط رورتي بالفلسفة المنشئة مسؤولية توفير الظروف المناسبة لإنجاح المحادثة ، طالما أن الهدف الأساس لا يتجه صوب الوصول إلى الحقيقة بقدر تفعيل المحادثة داخل إطار ديمقراطي ليبرالي في اختيار أنجع السبل و أفيدها بغية تحقيق المستقبل الراقي ،

---

(2) Ibid , P 55 .
(3) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 19 .
(1) Rorty Richard , **Philosophy and Future ,** in **, Rorty and Pragmatism** , P 197 .

وكذا إعطاء الحياة معنى بالشكل الذي يكون فيه الفيلسوف – كما يقول رورتي – خادما للديمقراطية قبل أن يكون خادما للفلسفة .

II – الفيلسوف الجديد أو القيمة في المرآة المعرفية العاكسة

يرى رورتي بأن الثورة الوضعية قد غيرت في صورة الفيلسوف بجعلها أكثر تماهيا مع تصور العالم ، وهو الأمر الذي يجعل من الفلسفة معرفة تنحو باتجاه التحقق على أمل اكتساب المواصفات نفسها التي يحوزها العلم بمعناه الصارم و الدقيق .

وهي الفكرة التي تتبدى من خلال تصور برتراند رسل الذي مفاده أن شرط الحيازة على لقب فيلسوف رهين باشتداد الرغبة في المعرفة الصحيحة ، و امتزاج هذه الرغبة بالمعرفة بالحذر في قبول ما يتم قبوله ، زيادة على الحذق المنطقي و الدقة في التفكير من منطلق أن الفلسفة فاعلية لا تفتر بحثا عن الكمال .

زيادة على ذلك فقد تجلت صورة للفيلسوف جعلت منه ممثلا بشريا للعقل أو الوعي في أعلى صوره ، اعتمادا على منطلقات تأسيسية مرآوية ، تجعل من العقل الوسيلة المفضلية في المعرفة .

بيد أن رورتي لا يستمرئ تكريس هذا الخطاب التقليدي ، الذي يجعل من الفلاسفة حكماء ، بالنظـــــــــر إلى مطالعاتهم و طبيعة تعاملهم مع الحياة ، زيادة على سفرهم البعيد في مجال الفكر حينما انشغلوا بالمشاكل الكبيرة ، وهو الأمر الذي وجد رواجه – كما يقول رورتي – حينما ارتبط موضوع الفلسفة بدراسة تاريخها [1].

---

(1) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 390 .

و بالمقابل يتجه رورتي إلى تشكيل صورة جديدة للفيلســـــــــــــوف عبر تقويض الصـــــــــــورة

الأقنومية أو التقديسية التي يكرسها بعض الفلاسفة عن أنفسهم و كذا عن نمط اشتغالهم المعرفي ، وهم بذلك – كما يقول رورتي – يضرون وقد أضروا الثقافة الإنسانية ، لدرجة تراجع معها دور الفيلسوف ، الذي لم يعد بمقدوره أن يتسنم قائمة الفاعلين في المجال الثقافي [1].

يعترف رورتي بدور الفلسفة على الرغــــــم من اعترافه بتراجعه ، بالشكل الذي تصيـــــــر معــــــــه " فلسفة من دون الفلسفة " من خلال الممارسة النيوبراغماتيـــــــة التي تدرأ الدخول في إطار الثنائية ، عبر بديل استعمال تشكيل لغوي محادثاتي ، يبتعد عن تكريس المفـــــــــردات نفسها ، ويتجه نحو تجديد الأسلوب عن طريق الممارسة المستمرة للوصف و إعادته لمختلف الظواهر المحيطة بالإنسان ، وكذا المساهمة في صنع مستقبل جيد وجديد .

يعتقد رورتي أن التجربة الأمريكية داخل هذا السياق تختلف مع توجه الشروط الألمانية ، بمعنى أن الفلاسفة الأمريكان لم يكونوا فلاسفة بمثل ما توجبه الشروط الألمانية حسب ما توحيه تمثلات كانط على سبيل المثال ، فجونتان إدوارد كان مثقفا ، و الحال ينسحب على إمرسون و ثورو مع إضافة أدبية و شاعرية تحديدا ، أما جون ديوي متعدد الهوايات فهو نتاج سوسيو ثقافي للظاهرة الأمريكية [2].

إزاء هذه المفارقة ، تظهر صورة الفيلسوف كمتخصص في الأفكار و كإطار في تفعيل المحادثة الفلسفية داخل سياق تشاركي مبني على النسبية و على الاتجاه نحو الجدة ، مع

(1) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P 14 .
(2) Hall David , **Richard Rorty , prophet and poet of the New pragmatism ,** P 85 .

مراعاة إزاحة كل تصور ذي طابع عنصري ميغالوماني يحتكر المعرفة و يكرس للصورة التقديسية ، مما يؤدي إلى تشكيل رؤية جديدة تبرز في " دور متضائل للفيلسوف ليس بوصفه كما كــــــــان في السابق ذلك الحكيم الذي يسدي النصائح ، و ينظر و يحكم على الأشياء من فوق " [1].

ليس مطلوبا من الفيلسوف – في نظر رورتي – أن يرفع صوته في المحادثة الفلسفية بالشكل الذي يوحي بأنه يحوز على معرفة منظمة تملك المؤهلات لتقديم إجابات نهائية ، فحسبه أن ينخرط في المحادثة المعرفية و يســــــعى لتوفير شـــــــروط نجاحها ، مع التوقف عن مدح النفس و الإدعاء باعتلاء المراتب الأولى في سلم المعرفة الإنسانية .

إن دعوة رورتي اجتناب حصول " الزهو المتعالي " عند الفيلسوف عائدة بالضرورة إلى عدم إمكانية الوصول إلى " اليقين الأبدي " ، من منطلق التحول الحاصل الذي يعطي لعنصر التغير حضوره الدائم في طبيعة المعرفة .

ولن يتم ذلك – بحسب رورتي – من دون تأسيس فلسفـــــــــة منشئة تقوم على النهايات المفتوحة و القابلية للصياغات الجديدة غير المتوقعة بمنطق المفاجأة والإغواء المنتج ، عوض الاستغراق فــــــــــي الفلسفة النسقية التي تسعى للحفاظ على كنهها من خلال تحنيط نظرية المعرفة [2].

---

(1) جديدي محمد ، **الحداثة و ما بعد الحداثة عند رورتي** ، ص 103 .

(2) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P 406 .

ويبقى منطلق التغيير و الاجتهاد مرتبط بالعقل الإنساني المتفرد ، الذي يمكن أن يحضر في أي لحظة لكي يمارس فعل الإغواء و التقويض ضد كل فلسفة تنحو إلى التأصيل و التقعيد المؤبد .

لقد عمد رورتي إلى تشبيه مهنة الفيلسوف بكثير من الحرف في سعيه لإيجاد دعائم الفلسفة من خلال أشغال واقعية لا غنى عنها اجتماعيا .

إن وظيفة الفيلسوف ، في نظر رورتي ، مرتبطة بالتفكير و صناعة الأفكار التي لا يعقل أن نبحث عن إطلاقيتها في ظل عالم مؤقت .

لذلك يقر رورتي بأن مآل الفلسفة لا يرتبط دائما بالنتائج بل بإمكانية الفيلسوف وقدرته على إحداث المواءمة و الانسجام بين الأفكار باعتباره صانعا لها .

لذلك يشير أحيانا إلى تماهي هذا الاشتغال المعرفي مع وظيفة الكيميائي في سعي الأول للمزج و الفصل بين الأفكار بهدف الحصول على النتائج [1].

كما يمثل المهنة بوظيفة المحقق البوليسي تأثرا بفتغنشتاين من خلال استقصاء أفكار وتقصيها باستعمال عنصر التحقق ، أو عمل المحامي في البحث والدفاع وكذا المهندس

(1) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 20 .

في ربطه بين الأشكال المرتبطة بلغة وفكر الماضي و تصارعها مع الحاجات في المستقبل (1).

لقد عمد رورتي إلى الحـــــــث على إخراج الفيلسوف من تلك الجدية الصارمة والمنظر الغريب ، الذي توحي به الالتزامات الكانطية ، ليكون فردا اجتماعيا منخرطا في الانشغالات الثقافيـــــــة و السياسيـــــــــة وهـــــــــي دعـــــــــوة لإخـــــــــــراج الفلسفـــــــــــة من قمقمـــــها الأنطولوجي و الابستمولوجي و الأكسيولوجي الذي طالما ثوت فيه إلى محايثة واقع الناس في إطار يجلب التهكم إلى جوار التضامن بغرض إنقاص المعاناة ، داخل سياق يدفع الفيلسوف إلى الإنتاج الفلسفي والفاعلية الفكرية بدل الزعم بامتلاك الحقيقة المطلقة (2)، لتكون سمة الفيلسوف كاشتغال معرفي ما بعدية بالنظر إلى الإنتاجات المعرفية أكثر من كونها نعتا يطلق نتيجة الوظيفة .

هذا ما أراد رورتي التعبير عنه من خلال الفلسفة المنشئة التي تنمو وتتكاثر انطلاقا من الخطاب الفلسفي نفسه ، و لن يتأتى ذلك – في نظر رورتي – إلا بفيلسوف يجيد قراءة المعرفة بكل صنوفها ، بتفتحه على مختلف الخطابات المعرفية بالشكل الذي يعطي لجوهر الفلسفة بعدا معرفيا وجماليا يحايث تفتح القول الشعري وحريته (3).

بقي أن نشير إلى أن رورتي لا يرى غضاضة من إمكانية اقتراح اسم جديد لممارسة فكرية ما بعد فلسفية ، بل إن الأمر في نظره رهين بامتلاك الموهبة و حيازة ملكة " التثقيف الذاتي" مع القدرة على المشاركة في المحادثة الفكرية ، بالشكل الذي يجسده حضور الشاعرية كقوام معرفي يرفض التعاطي مع التحديد و التأبيد ، و أكثر من ذلك

---

(2) Hardwich Richard and Donald Crosky , **Pragmatism , Neo – Pragmatism and Religion** , Peter Lang edition , New York , 1 edition , P 199 .
(1) Ibid , P 295 .
(2) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P 406 .

في خدمة الوطن ، و هو الأمر الذي دفع رورتي إلى القول بعدم أهمية التسمية ، إذ ليس مهما أن تكون فيلسوفا ، أو مؤرخا أو أديبا لكن المهم – كما يقول رورتي – أن تكون مثقفا [1] .

المبحث الثاني: الفلسفة و أعراض التحول

" لقد عقدت الفلسفة العزم على تجديد أطرها كلما دعت الضرورة لذلك " ، و الواقع أن تعريف الفلسفة كان يتأثر دوما بالزمكانية ، إذ للزمان خصوصيته المتأتية من طبيعة الحقبة المعاشة ، إضافة إلى فرادة المكان من زاوية تشجيعه للأداء الفلسفي من عدمه .

و على سبيل المثال فقد ازدهرت الفلسفة في اليونان القديمة و لم يحدث ذلك لدى مجتمعات عاصرت المجتمع اليوناني القديم ، لأسباب تتعلق أساسا بالحرية المتوفرة ، وكذا بقابلية " الزمكانية " لإحداث الحراك الفلسفي .

بيد أن الفعل الفلسفي عند اليونان القديمة لم يحافظ على وهجه مثلما حدث في فترة ازدهاره ، مما يعني أن النشاط الفلسفي في تحوله يعيش حالات صحة ونماء كما يتعرض للحظات سقم و فتور .

(3) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 57.

كما يتجسـد التحول في الفلسفة نفسهـا عبر التعاريف و الوظائف التي يقدمهـا المهتمون و المتخصصون في الشأن الفلسفي .

أولا : سؤال الحقيقة

I – مسار الانعطاف من الابستمولوجيا إلى الهيرمونوطيقا

يرى رورتي أن استمرار الابستمولوجيا في الاستحواذ على معطيات المعرفة في ضوء اعتبارها مرجعا وحيدا ، هو الذي سبب سكون الفلسفة و أدى إلى عقمها ، بالنظر إلى دعوتها الحثيثـة إلى العودة إلى الأصول عبر تحفيز الطروحات الماهوية ، التأسيسية والتمثيلية .

و هو التحفيز الذي وجد مبررا له عبر إسهامات ديكارت ، لوك كانط وذلك عبر الارتباط بالالتزامات العقلية والواقعية التي تتبنى الطرح المرآوي القاضي بإمكانية

الوصول إلى اليقين عن طريق تقفي مســـــــــــار نسقي ، يجعـــــل من تخيل الفلسفة أمرا متعذرا من دون نظرية المعرفة [1].

فنظرية المعرفة عند الفيلسوف تعبر عن موقفه في تفسير المعرفة و كذا تحديد طبيعتها ، مصدرها وحدودها [2] ، وقد رأى رورتي أن أنسب طريق لنقض الابستمولوجيا هو العمل على تفكيك نظرية المعرفة في شكلها العام المعبر عن اتجاه تفسيري ، أو في خصوصيتها المرتبطة بموقف الفيلسوف من طبيعة المعرفة و كذا طريقة الوصول إليها ، وذلك بالكشف عن تاريخ تكوينها وكذا تعرية أسسها و غاياتها .

إذ أن تصور لالاند Lalande للابستمولوجيا بوصفها " الدراسة النقدية لمبادئ و نتائج العلوم المختلفة ، غايتها تحديد الأصل المنطقي غير النفساني للعلوم و إبراز قيمتها ومدى موضوعيتها " ، يكرس منطلقات الهيمنة عندها ، ويمدها بالأحقية النظرية لامتلاك النموذج الإرشادي The paradigm الذي يؤهلها لحيازة خطوة التقييم و التقويم خاصة ، و كذا سلطة الإمداد بصك الأهلية و المشروعية لمختلف المعارف بما في ذلك الفلسفة .

ليتحدد الهدف عبر وصول إلى الحقيقـــــــــــة كمعطــــــــى موضوعـــــــــي للتطابق الحاصل بين الفكر و الواقع ، وبهذا الشكل تكون الفلسفة في نظر رورتي قد وصلت إلى المسد المعبر عن الإعلان الحقيقي لإفلاسها نتيجة الإدعاء بإمكانية تقديم أجوبة نهائية لأسئلة فلسفية في عالم مؤقت .

إن محاولـــــــــة تحديـــــــــد نظريــــــــــة المعرفـــــــــة قياسا بالحاصل في تطور العلم وهو ما اتجهت إليه الفينومينولوجيــــــــا و التحليلية وكذا

---

(1) Rorty Richard , **L’homme spéculaire** , P 24 .

(2) محمود زكي نجيب ، **نظرية المعرفة** ، مكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة ، د.ت ، ص 09 .

إسهامـــــــــــات كانط ، لوك وديكـــــــــــارت ،جعـــــــــل هذه الفلسفـــــــــات– في نظر رورتي – على الرغـــــــم من اختلافاتهـــــــــــا الظاهرة و تقاطع في الأسس و المقاصد نفسها ، وفي تشكل معايير للدقة والصرامة ، تدعي من خلالها أن فهم المعرفة ليس إلا محاولة لفهم العقل وكيفية تشكيل التمثلات [1] ، بالشكل الذي أوجد عند الفلاسفة إغواء مرتبطا بالمنزلة الفريدة التي يحتلونها و التي تخول لهم كامل الصلاحية في تشكيل التصورات التي يتحدد من خلالها الصواب والخطأ .

ليستحيل الاشتغال الفلسفي في نهاية المطاف إلى جنس معرفي مرتبط بمعالجة المسائل السرمدية التي تتبدى بمجرد تأملها [2].

بهذا النمط من التفكيك يريد رورتي درء الطابع الإكليروسي و الكهنوتي للمعرفة و إبعاد سمة الصوت المتفرد الذي يدعي لوحده امتلاك اليقين الأبدي .

وهو الأمر الذي تصدت له نيوبراغمـــــــــــاتية رورتي ، التي أقرت بأن البحـــــــــــث عن التـــــــأكيد و الإطلاقية ما هو إلا وسيلة تعاقد ، الأمر الذي يؤدي إلى دحض كل توجه نحو إيجاد معيار عالمي أو قاعدة صارمة يتحتم على الباحثين إتباعها [3].

---

(1) Rorty Richard , **L’homme spéculaire** , P 13 .
(2) Ibid .
(1) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 63 .

وبهذا الشكـــــــــــل يكون رورتي قد أخـــــــرج الفلسفـــــــــة – بحســــب قراءة جيمس كلوبنبرغ James Kloppenberg – من شرنقة الابستمولوجيا إلى فضاء الهيرمونوطيقا [1].

مخلصا بذلـــــــــك الفلسفة من المثالب التي استوطنتها و النابعة أساسا من افتراضات غير منتجة ، وكذا من قضايا زائفة روج لها التقليد الماهوي الذي أجج الطرح الثنائي المانوي المعبـــــــــر عنه كعلاقة ازدواجية تثير فكرة تبني اليقين بمجاوزة الغلط الواقع في الضفة الأخرى .

و لن يكون ذلك إلا من خلال اجتهادات معرفية تسعى لتجاوز كل التخوم التي تم تثبيتها في نظرية المعرفة لصالح تصور يقف حائلا أمام تحنيط الفلسفة ، أثناء السعي لبلورة تاريخ جديد للفلسفة يقوم على الثورة ضد الممارسات الفلسفية التي كانت تهدف لتحويل الفلسفة إلى علم صارم [2].

وهو التصور الذي مكن الفلسفة من الانتقال من سراديب الانغلاق أو أبراج التعالي نحو رحاب التجدد و الابتكار المعبر عنه في صور تفكيكية ما بعد حداثية تعطي للجانب الاجتماعي و الجمالي أهمية بالغة ، بالشكل الذي لا يتعذر معه الإفصاح الجهير عن البديل النيوبراغماتي عبر صورتي التضامن و الأمل .

إن تأويلية رورتي تدين كما اعترف رورتي نفسه في الفلسفة و مرآة الطبيعة إلى جهود غادامير Gadamer ، آبل Apel ، هابرماس Habermas و خصوصا غادامير الذي

---

(2) Kloppenberg James , **Pragmatism : Old Name , New thinking** , in , **A pragmatist's progress , Richard Rorty and American intellectual History** , P 27 .
(3) Rorty Richard , **Metaphilosophical Difficulties of Linguistic philosophy ,** in , **The Linguistic Turn** , P 01 .

يرى مفصلية إسهامه في هذا الحقل عبر كتابه المتميز : حقيقة ومنهج Truth and Method [(1)].

لقد اتجه غادامير عبر منهجه التأويلي نحو البحث عن جملة العوائق التي أرادت توريط المعرفـــــــــة الإنسانيــــــــــة من خـــــــــــلال الإقـــــــــــرار بإمكانية الوصول إلى الحقيقـــــــــة في يقينيتها و ديمومتها .

وهو الأمر الذي ينفي – في نظر غادامير – طبيعة المعرفة الإنسانية التي تبنى على التسامح و التنوع و التعدد القائم أساسا في الهيرمونوطيقا ، ومن ثمة تجاوز الاكتفاء بتأسيس الفهم على معطى ابستمولوجي ماهوي ليتحول إلى ملامسة العنصر الفني داخل المعطى التاريخي بالشكل الذي يجعل حضور المؤول على الصعيد الرمزي يعيش تجربة حية تعيد إبراز خصوصيتها عند كل حدث يتم فيه الاكتفاء بين الممارس لفعل التأويل و عنصر الاشتغال [(2)].

و لتفعيل خطابه الهيرمونوطيقي وظف غادامير مفهوم التكوين الفكري Bildung الذي يعبر عن الرغبة في الارتقاء ، وكذا السعي نحو حشد جملة الطاقات الممكنة للمعرفة الإنسانية بالشكل الذي لا يحيل إلى الرغبة في التوقف من جراء الزعم بامتلاك الحقيقة المطلقة ، خصوصا و أن المنهـــــــــــج الهيرمونوطيـــــقي يجد ضالته في المواضيع التي تفقد بريق المباشرة و التقرير ، وذلك بإعطاء المعنى جملة التحققات المتعددة عبر تشكيلات لا حصر لها من المعاني المفترضة [(3)].

---

(1) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P P 379 , 393 .

(2) Gadamer Hans – George , **Vérité et Méthode , Les grandes lignes d'un herméneutique philosophique** , Edition intégrale revue et complétée par pierre Fruchon – Jean Grondin et Gilbert Merlio , Paris , Edition du Seuil , 1996 , P 118 .

(1) قارة نبيهـــــة ، **الفلسفة و التأويـــــل** ، دار الطليعة للطبـــــاعة و النشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998 ، ص 05 .

وهو الأمر الذي حفز رورتي إلى توطيـــد الصلة مع تأويلية غادامير التي اتجهت نحو التأويل و إعادته ، أثناء قراءتها و مراجعتها للمشاريع الفلسفية الكبرى (1).

لقد وجد رورتي في التأويلية Hermeneutic في شكلها العام و تأويلية غادامير بشكل خاص السند الملائم لتقويض التصور المرآوي الذي طالما كرسته نظرية المعرفة ، وهو الأمر الذي دفع برورتي إلى الاحتفـــــاء بمزايا هذا النمــــــــط من التأويلية المشبع بالبعد التاريخي و المقوض للماهيات .

ثم إن رورتي لا يعترف بالهيرمونوطيقا كوريث للابستمولوجيا ، لأن ذلك سيكرس لتأسيس يتناقض في كنهه مع المكونات المعرفية للبراغماتية الجديدة .

و الواقع أن رورتي يشير إلى أن الهيرمونوطيقا ليس بوصفها منهجية في العلـــــوم الإنسانية و لا طريقة للوصول إلى الحقيقة بقدر اعتبارها محاولة للفهم (2).

و بهذا الشكل يرى رورتي أن الهيرمونوطيقا ربطت المعرفة بسياقها التاريخي و أمدتها بسمة الشاعرية المرتبطة بفك الأغلال و تحطيم الأرتاج المكرسة عبر الثقافة التقليدية ، لصالح تصور جديد يتعامل مع الجدة و النزوع إلى الفرادة و المفاجأة كلحظة رهينة بتجسيد فعل التغير ، الذي تتحول معه الحقيقة إلى فعل تعاقدي ، و يصير معه الفيلسوف مثقفا أو مختصا في الأفكار بالشكـــــل الـــــذي يمكنـــــه من

---

(2) بارة عبد الغاني ، **الهيرمونوطيقا و الفلسفة** ، نحو مشروع عقل تأويلي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، دار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2008 ، ص 257 .

(3) Rorty Richard , **L’homme spéculaire** , P 394 .

كتابـــــــة الأشعـــــــار ، الروايـــــــــات ، المعالجات السياسية و المحاولات النقدية [1].

و إذا كان رورتي يميز الهيرمونوطيقا عن نظرية المعرفة كتصور عام للفلسفة العلوم ، بإحالة الأولى لمعالم البحث باتجاه المجهول ، في حين تعبر الثانية في طبيعتها عن عنصر المطابقة كواقع مألوف ، زيادة على مقاربـــــة الأولى مع الفكـــــر و الثانية مع الطبيعة [2].

فإنه يعطي للتأويلية طابعا خاصا مشكلا من مكونات ما بعد حداثية و كذا تفكيكية مضافا إليها تأثرا واضحا بإسهامات كوهن Kuhn ، إذ أن رورتي يفضل استعمال مصطلح التنشئة Edification كتعويض لمصطلح Bildung الذي يعبر به غادامير عن " التكوين الفكري " كتفعيل للنشـــــــــــــاط البحثي ، في إشارتـــــــــــــه للتاريخية ، وكذا للفصل الحـــــــــاد بين الفلسفـــــــــة و الابستيمولوجيا بمعناها التأسيسي .

إن تأويلية رورتي تتجسد على صعيد الممارسة كفعل محادثة بين ثقافة و ثقافات أو مع مرحلة تاريخية مختلفة ، اعتمادا على لغة غير متقايسة ، مخافة – كما يقول رورتي " أن يتحول البحث في أسس المعرفة ، الأخلاق ، اللغة أو المجتمع إلى نمط تبريري ، إلى محاولة تثبيت على نمط معين من ألعاب اللغة المعاصرة ، أو على التطبيق الاجتماعي ، أو على شكل من أشكال الوجود طابع السرمدية " [3].

(1) Ibid , P 14 .
(2) Ibid, P 389 .
(3) Ibid , P 20 .

داخل هذا السياق يشير رورتي إلى فضل توماس كوهن الذي أقر بأن النموذج الحاصل خصوصا مع ديكارت قد تم تجاوزه ، لصالح بديل ناجح يقر بأفضلية الطرح التاريخي في مساوقته مع الاتجاه الهيرمونوطيقي ، من زاوية تحديد توماس كوهن للحقيقة بوصفها نتاجا للتعاقد المتجلي في تاريخ العارضي للوقائع والخطابات .

أما إذا تم استحداث الطابع المطلق الذي تظهر فيه الحقيقة كعلامة متميزة لإنتاج مفارق ، أو لارتباطها بالإيديولوجيا ، فإن ذلك سيؤدي لا محالة إلى انتفائها ، وهو الأمر الذي دفع برورتي إلى التصريح أكثر من مرة بأن " الحقيقة ليست الهدف من البحث " [1].

وهو ما يظهر طبيعة المشروع المعرفي لرورتي الذي يعمد بذلك – كما يقول محمد جديدي – إلى إكمال مسار فلاسفة البراغماتية لاسيما في تمسكه بالخط الذي رسمه ديوي وكذا إلى تجديد الطرح البراغماتي القديم " من خلال إلباسه ثوب الصياغات الحديثة ، و إعطائه روحا جديدة يستمدها من مختلف التيـــــــــارات و المشارب الفكرية المتنوعة التي نهل منهـــــــا ، و منها بشكل أساسي الأفكار الثورية التي حملتها بعض الفلسفات المعاصرة " [2].

---

(1) Rorty Richard , **Truth and progress,** Cambridge University press , USA , 2 published , 1999 , P 03 .

(2) جديدي محمد ، **الحقيقة من وجهة نظر ريتشارد رورتي** ، في ، مجلة أوراق فلسفية ، تحت إشراف : أحمد عبد الحليم عطية ، العدد الخامس و العشرون 2009 ، جامعة القاهرة ، مصر ، ص 112 .

II – سؤال الحقيقة و تحديات النسبية

ينتقد رورتي التصور الأفلاطوني القاضي بوجود عالم المثل تحضر فيه المفاهيم بشكلها المطلق معبرة عن الحقيقة السرمدية ، مشيرا إلى أن هذا التصور الماهوي التأسيسي لا ينسجم مع الطرح البراغماتي الذي ينظر إلى الحقيقة كحالة تنوع ترتبط أساسا بالسياق المعرفي و الاجتماعي ، و ذلك من خلال استعانته بفكرة هيدغر القائلة بأن كل أفلاطونية هي ميتافيزيقا و كل ميتافيزيقا هي هروب من الواقع [(1)].

يعترف رورتي في أكثـــــــــر من موقع بأنه لا يحوز على الرغبـــــــــة في تقديم نظرية في الحقيقة ، وهو الأمر الذي يتماشى مع سعيه لتقويض الابستيمولوجيا الحديثة التي كانت تقوم على الاقتراب من الموضوعية لدرجة المحايثة ، في حين أنه يتحدث عن " وجهة نظر فلسفية " مقاربة نيوبراغماتية تدرأ المغامرة و المجازفة في الاستغراق في الأمور تجريدية ، من منطلق أن كل بحث عن التأكيد ما هو إلا وسيلة للهروب عن العالم [(2)].

هذا لا يعنــــــي أن رورتي لا يعترف بوجود شيء حقيقي ، مثلما تفرضه البديهيات الرياضية مثلا ، بدليل أنه لم يستطع تجاوز مصطلح الحقيقة سواء على مستوى الإثبات أو النفي في كثير من دراساته لعل أهمها الفصل الذي خصصه للموضوع في كتابه حقيقة و تقـــــــــدم Truth and Progress .

وكذا في إشارته لإمكانية حصول الموضوعية في الحقيقة كحالة تقبل ، تستند أساسا إلى موضوعية القواعد – كما يقول محمد جديدي – الكائنة في العلم السوي [(3)].

---

(1) Rorty Richard , **L'espoir au lieu du Savoir** , **introduction au pragmatisme** , P 59 .
(2) Ibid , P 36 .
(3) جديدي محمد ، **الحداثة و ما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي** ، ص 283 .

بيد أن حالة التفعيل هذه مرتبطة بالاتفاق الذي يعود إلى صيغة التضامن الاجتماعي التي طالما تحدث عنها رورتي ، والتي هي نتاج محادثة غير منتهية تتوج في كل مرة باتفاقات متجددة .

وتجدر الإشارة إلى أن رورتي يستعيد في كل مرة أفكار رعيل الأول من الفلاسفة البراغماتيين خصوصا جيمس و ديوي .

فالحقيقة حسب تصور جيمس هي اختراع لا يحيل إلى المطلق بقدر إشارته إلى الأمر المناسب المتماشي مع طريقة الاعتقاد [1] ، أما بالنسبة لديوي فإن ارتباط فلسفتـــــــــه بالجـــــــــانب العملـــــي و بالعلاقات الديناميكية على الصعيد الاجتماعي و الطبيعي جعله يرفض النظرة إلى الحقيقة في اطلاقيتها كشكـــــــل من الأشكال التطابق أو التمثيل الدقيق للواقع [2].

لذلك يؤكد رورتي على فعالية الفكرة و قابليتها للتطبيق ، وهو بذلك لا يختلف عن التصور العام للبراغماتية الذي يجعل من الفكرة أداة للسلوك العلمي ، ويربط بين صدقيتها و ما تؤديه من نجاحات عبر الواقع .

و طالما أن النجاح في الواقع رهين بعوامل عديدة ، فإن التصور البراغماتي في مجمله ، قد حاول اجتناب الحديث عن الحقيقة بالثبات في حين قد تم التركيز على نفيها ، لما توصيه من تأكيدات و تعويض المفـــــــــردة بالفكرة أو المعرفـــــــــــة أو وجهة نظر مع التركيز على النسبية و القابلية للفعل ، هذا ما أشار إليه رورتي بقوله بأن البراغماتية لا يمكن أن تعيد الاعتبار للطابع المطلق للحقيقة [3].

(1) Rorty Richard , **Truth and Progress** , P 02 .
(2) Ibid , P 19 .
(3) Rorty Richard , **L'espoir au lieu du Savoir** , P 35 .

كما يقر رورتي بأنه حتى لو تم الاعتراف بمطلقية الحقيقة كمفهوم ، إلا أن ظروف تطبيقها تبدو دائما نسبية ، من مطلق أنها لا تمثل الهدف الأساس من البحث ، كما أنها ليست المقصد في عملية المحادثة ، بل الأمر عائد إلى الصلاحية أي جملة النتائج العملية التي يمكن الوصول إليها داخل إطار متنوع في إشارة إلى إمكانية تعدد الوسائل للوصول إلى هذا الهدف .

غير أنه يعطي للغة الأهمية البالغة لقدرتها على الوصف و إعادته ، و كذا لمفصليتها في إحداث الربط بين الإنسان و العالم ، زيادة على اعتبارها شرطا أساسيا للتعاقد النتائج عبر المحادثة .

و بذلك يكون رورتي قد قوض دعائم النظرية التصويرية التي استبدت بكثير من التوجهات الفلسفية في نظرتها للحقيقة من خلال التأكيد على القدرة لبلورة الخطابات بالشكل الذي يتم فيه المطابقـــــــــة بين التصورات و الوقائع ، لصالـــــــــح تصور جديــــــــد لا يعتــــــــــرف بالماهيــــة و التمثيل و التأسيس و يرافع لصالح نسبية الحقيقة و كذا ضرورة إنتاجها البشري ، الذي حول طلب الموضوعية إلى تحفيز مسعى التضامن في معناه الليبرالي الذي يمكن الفرد من أن يعبر عن آرائه بكل حرية ، زيادة على إحساسه بفعالية البنيان المرصوص على تأكيد التبادل العضوي في تقدير الرغبة المتبادلة في التحقق بين الفرد و المجتمع .

كما يعترف رورتي بأن مسالة التعاقد كصناعة بشرية تتلاءم مع وضعيات مؤقتة تبررها غايات نفعية بالأساس من منطلق الصيرورة وتغير الظروف ، مما يحتم النظر المتجدد للمسائل ، بالشكل الذي يبدو معه الارتياب و اللاتعيين و حساب الاحتمالات طرائق مناسبة للتفكير المتجدد بتغير الوقائع و تعددها .

ومن هنا يمكن الحديث عن الحقيقة كعمل بشري لفعل مؤقت مرتبط بالتطبيق ومفرداته أكثر من ارتباطه بالجوانب النظرية [1].

للإشـــــــــــــــارة فإن رورتي يعترف بالأهمية البالغة لتمثلات دونالد دافدسون Donald Davidson حول الحقيقة ، و التي شكلت الإطار النظري سواء على مستوى التصديق والإثراء أو التعديل و الضحد ، فرورتي يرى بأن دافدسون – في موقفه اللاتمثيلي – أعانه في النظر إلى الحقيقة باطلاقيتها كأمر مفارق يساعد على التفكير في نسبية الحقيقة ، كما أنه يثبت عدم إمكانية الحديث عن نظرية في طبيعة الحقيقة من منطلق أن النسبية تحوز على دور مفصلي في تحديد ما يمكن قوله [2].

ثانيا : من الفلسفة إلى الأدب : سجال النظام المغلق و التشكيل المفتوح

I – الفلسفة و مشاهد السجال المعرفي

1 ضوابط النسقية و رهانات الفلسفة المفتوحة

نمط الاشتغالات الفلسفية عند رورتي ، وكذا الشكل الذي قدمها به تجعله على مستوى المعرفـــــــــــــة مغامرا ألبينيا Alpinist ، الأمر عائد أساسا لرفضه لكـــــــــل تأطيـــــــــر و تقعيـــــد و سعيـــــــــه الدؤوب للخـــــــــــــروج عن الطريق النسقي الـــــــذي يتعهد بتقديم إجابات – داخل إطار معين – للإشكالات التقليدية من منطلق الضرورة و الوجوب .

(1) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 303 .
(2) Rorty Richard , **Truth and Progress** , P 03 .

لقد قدم رورتي قراءة لتاريخ الفلسفة رأى من خلالها أن الفلسفة ظلت رهينة لنظرة أحادية تحلق فوق الواقع و التاريخ ، رغم زعمها بالمحايثة ، و هو الأمر الذي تجسد مـــــــــع أفلاطون ، ديكارت وكانط وذلك بتغليب إملاءات نظرية المعرفة وضغوطاتها في فرض البعد المرآوي ، ليكون المقصد في نهاية المطاف سعي حثيث للوصول إلى المعارف الصحيحة و الحقائق الجوهرية ، الأمر الذي يجعل الإنسان كائن جوهريا يبحث عن الثابت و المطلق ، و لتصير معه الفلسفة بحثا في الأطر النهائية و البنيات الثابتة [1].

و لأجل تجلية رؤيته يقيم رورتي مقارنة معرفية بين الفلسفة المنشئة و الفلسفة النسقية مستفيدا في ذلك من قراءاته النوعية المتعددة للإرث الفلسفي و كذا مختلف الخطابات المعرفية التي رأى ضرورتها في توسيع الرؤية وتعميق الفهم .

لا يرى رورتي غضاضة من تجسيده للطرح المنشئ البارز من خلال خطابات فلاسفة الهداية على شاكلة ديوي ، هيدغر و فتغنشتاين ، من منطلق أن الفلسفة المنشئة في عمومها ، تأبى أن تنظر إلى الفلسفة بوصفها خطابا يرنو إلى الكشف عن الحقيقة الموضوعية الخالدة ، إنها تتبدى في تلك الدهشة التي يحوزها الشعراء ، في ضوء الغواية و الرغبة في التجدد و البحث عن المقصيـــــــــــات والشوارد على مستـــــوى المعنى و البلاغة ، في حين تقتفي الفلسفة النسقية عبر خطواتها المحسوبة سلفا سمت العلم ، رغبة في صرامة معطياته و موضوعية نتائجه ليكون الهدف نتائج فلسفية على غرار نتائج العلم خصوصا في صورته الأمبريقية [2].

(1) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P 187 .
(2) Ibid , P 405 .

كما يستفيد رورتي من وجودية سارتر الذي ينظر للإنسان بوصفه سيدا لمشروع حياته ، كصانع للقيم ، و مجسد لفعل الكينونة بعيدا عن إملاءات خـــــــارجية ، بالشكل الذي يدحض – كما يرى سارتر – إمكانية حيازة الإنسان لجوهر ثابت محمد سلفا ، و هو الأمر الذي ينسجم مع تصور رورتي القاضي بتفكيك البعد الجوهـــــــري الذي يحول الإنسان إلى مجرد " آلة " يجعلـــــــه عند اتصالـــــــه بالأشياء و الوقائع كائنا مرآويا [1].

وهو التعارض الثاني الذي يركز عليه رورتي بين الطرح النسقي و المنشئ ، والذي يتبدى في ضوء الموقف من نظرية المعرفة و إكراهاتها الملازمة ، فالطرح النسقي يعبر عن نفسه عبر دخوله وخلوده في نظرية المعرفة في شكلها المرآوي الذي تذوب معه الصورة في المرآة المجلوة ، في حين يتبنى الطرح المنشئ تشجيعا على الإبداع عوض الاستسلام في أوهام المعايير الموروثة التي تعطي لنفسها سمة السرمدية ، فيأتي الخطاب المنشئ عبر فلاسفـــــــة الهداية نتاجا لرغبـــــــة عملية مستمرة متجـــــــددة للوصف و إعادته بالشكـــــــل الذي ينشئ خطاب المفاجـــــــأة والغرابـــــــة ، الطافح بسمات الجـــــــدة و الإبهـــــــار ، لتكون النتيجة – بحسب رورتي – المساعدة لتخليصنا من عاداتنا الرثة و بالمقابل تجديد كينونتنا [2].

و لن يكون لهذا التجديد أي معنى من دون إحياء المحادثة ، بل إن الفلسفة المنشئة في عمومها هي سعي حثيث لتسيير و تيسير المحادثة عبر الاحتجاج على تهميشها و السعي لتبديد عوائقها من دون حيازة الرغبة في امتلاك الحقيقة [3]، وهو الأمر

(1) Ibid , P 413 .
(2) Ibid, P 396 .

(3) البري عبد المنعم ، **نهاية الفلسفة النسقية في نظر رورتي** ، في ، مجلة أوراق فلسفية ، ص 107 .

الذي يعطي الفرصة السانحة لمحي مختلف فواصل التي كانت تميز بين الفلسفة والمعارف ، كما أنه يمارس فعل " الخلخة " بغرض نزع الهالة التأهيلية التي طالما تمتعت بهـــــا الفلسفــــــــــة في مدونتها الغربية ، كنتاج طرح نسقي شجع الفلسفة على الاكتفاء باستبطان ذاتها وفق شكل نرجسي مستمـــــــــر تتحول معه اللغة إلى نسق جامد ينتظر مضمونا خارجيا ليتطابق معه ، و بالتالي يصبح هدف الفلسفة مرتبط بالتزود بعبارات المقايسة التي تمكن من إيجاد الأوصاف الجاهزة لمختلف النشطات البشرية (1).

إن تبني رورتي لمشروع الطرح المنشئ هو محاولة للتوجه نحو المستقبل بتخليص الفلسفة من مختلف الأرتاج التي و إن زعمت تطويرها عجلت بأسرها ومدها بمختلف مبررات الموت والانقراض .

فالمماهاة مع الرؤية الشاعرية ، بترك أبواب المحادثة مشرعة والعمل على تقويتها بابتكار الصياغات الأكثر جمالا ، جدة و أهمية ، يعني في الوقت نفسه ترك المجال مشرعا للأفذاذ العباقرة الذي يمكن في أي لحظة تاريخية أن يمارسوا فعل التأويـــــــــل والابتكـــــــــار و بالتالي الانخراط في المحادثة وقول ما لم يسبق قوله .

وفق هذا الفهم فإن رورتي لا يعلن نهاية أبدية للفلسفة ، إذ الملاحظ بأنه في معظم تنظيراته يستبعد الخوض في تحديد نهائي للمفاهيم ، مخافة أن يسقط في المحاذير التي نبه إليها ، و التي شكلت جوهر نظرية المعرفة وكذا مختلف التأسيسات الفلسفية التي تستند على الماهية ، بيد أن تصوره للفلسفة نابع من اعتبارها نمط من

(1) Rorty Richard , **L’homme spéculaire** , P 415 .

أنماط الثقافة تتحدد وظيفتها في الصوت الذي تحوزه داخل المحادثة الإنسانية [1] ، بمنطق تشاركي يعطي فرصة الأداء لمختلف العلوم و تحضر فيه الفلسفة كنمط معرفي ، يخلص الفيلسوف من مختلف الموبقات التي كانت تدفعه إلى رفع صوته من منطلق ميغالوماني إكليروسي يوهمه – كما يرى رورتي – بأنه مالك الحقيقة .

و مع ذلك – كما يقول رورتي – فإن الفلسفة في كل الحالات ليست مهددة بالموت ، مادامت تحوز على إمكانية الاستمرارية كاشتغال معرفي في الجامعات يشرف عليه أساتذة مخولون بتقديم برامج تتيح استمرارية الحضور الفلسفي ، و هو المنطق الذي يقدم المبررات لحضور الفلاسفة وفق تصور جديد يدرأ منطـــــــــق الأبديـــــــــــة و الخلاص لصالح الوصف و التفسير [2].

2 – بين الفلسفة التحليلية و القارية : المحادثة بدل المجابهة

جسد رورتي فهمه للمحادثة الفلسفية كنمط من السجال بين تيارات فلسفية بغرض التعمق في الفهم و إظهار مدى صلاحية أدبيات كل تيار في مواءمة المحادثة كبعد فلسفي ينبغي تقويته و العمل على تفكيك صعوباته .

وهـــو الأمـــــــــر الـــــــذي حصـــــــــل للمقـــــــــاربة التي أحدثـــــــــها بين الفلســـــــة التحليـــــــليــــــــة و القــــــــارية (Analytic and Continental Philosophy) ، فإذا كانت التحليلية تعبر عن نمط الفلسفــــــــة الذي ساد في البلدان الأنجلوسكسونية والذي أعطى لفلسفة اللغة أهمية بالغة ، فإن الفلسفة القارية تعبر عن نمط جديد من الفلسفة بدأ يتضح معناه

(2) Ibid , P 294 .
(1) Ibid , P 431 .

خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية – بحسب تادهورنيش Ted Horderich – نتيجة الإبعاد المتبادل Mutuel exclusion بين الفلاسفـــــــة الناطقيــــن باللغة الانجليزية من جهة و بين فلاسفة قارة أوروبا من جانب آخر [1].

بيد أن جذور الفلسفة القارية تمتد إلى لحظات تاريخية قبل الحرب العالمية الثانية تحديدا مع إسهامات كانط في الفلسفــــة النقدية ، في حين جدول أعمالها الفلسفي لم يبق في حدو

الرغبــــــــة في الإبعاد المتبادل و إنما اتجه نحو إعادة تأسيس التواصل الفلسفي ، حيث تمت العودة إلى النقاط التاريخية و المفاهيم التي كانت سببا في الاختلاف الفلسفي بهدف إعادة إثراء النقاش [2]، بين الفاعلين الممثلين للفلسفة في أمريكا تحديدا و بين الإسهامات الفلسفيـــــــــــة الحاصلة و المدارس الفلسفية المختلفة على شاكلة المثالية الألمانية ، الفينومينوجيا ، مدرسة التأويل ، الماركسية ، مدرسة فرنكفورت ، البنيوي ة وما بعدها [3].

بالمقابل يعود سر اهتمام رورتي بالفلسفة القارية إلى موقفه من الفلسفة التحليلية فإلى جوار إدراكه بأنهــــــا قد استنفدت جهودها مع إسهامات كويــــــــــــــــن ، فتغنشتايـــــــــن الثانـــــــــــي ، سلارس و دافيدسون [4]، إلا أن ذلك لا يعبر عن رفض مؤبد لكل معطياتها في إشارة منه إلى إمكانيـــــــــة اعتبارهـــــــــا

---

(2) Ted Horderich , **The Oxford Companion to Philosophy**, P 170 .
(1) Critchley Simon , **Continental Philosophy** , P 14 .
(2) Ibid , P 13.
(3) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 21 .

مدخلا أساسيا لفهم فلسفـــــــــة ديوي بشكل خاص و البراغماتيـــــــة بشكل عام [1]، هذا إضافة إلى اعترافه بحيازة التحليلية على أسلوب متميز ، و دعوته لها لمحو مشروعها الترستندالي مع الإبقاء على احترافيتها المنهجية في التركيز على التفاصيل [2].

كما اتضح هذا الاهتمام – حسب قراءة آلان مالاتشوفسكي Alan Malachowski – في اشتغالاته المعرفية العديدة و التي سعى في ضوئها إلى معالجة النزاع الفلسفي بين التحليلية والقارية والعائد أساسا إلى عدم معرفة الآخر المختلف [3]، يقول رورتي في

كتابه الفلسفة كثقافـــــة سياسية : " أغلب الفلاسفة التحليليين يشعـــــــرون باستخفاف ملتبس اتجاه الفلسفة القارية ، من دون أن يقرؤوا الكثير منها ، ومعظم الفلاسفة القاريين يهنفون من الفلسفـــــــــــــة التحليلية دون أن يحاولوا تفهم العمل الذي يعتقد فلاسفة التحليل أنهم في إطار تجسيده " [4].

و الواقع أن رورتي يحمل المسؤولية أكثر للفلسفة التحليلية التي اتجهت نحو الطرح التأسيسي بالشكل الذي حرمها من البعد الجينالوجي [5].

زيادة على الإحباط الشديد الحاصل – حسب رورتي – من عدم حيازة الفلسفة على إمكانية الوصول إلى الصرامة العلمية مثلما تاق إلى ذلك الفلاسفة التحليليون [1]،

---

(4) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 20.
(5)Ibid , P 23.
(6) Malachowski Alan , **Richard Rorty** , P 12 .
(1) Rorty Richard , **Philosophy as Cultural Politics** , P 121 .
(2) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 400 .

الذين ثاروا على اللاعقلانية المرتبطة بالفلسفة القارية ، وبذلك عبروا عن حالة نفسية مختلفـــــة عن المنطلق الأساسي للفلسفـــــــة المبني على التنوع والتعـــــــدد ، يقول رورتــــــــي : " لقد رأيت فلاسفة تحليليين في حالة سخط على الحاصل في أقسام الأدب المقارن ، بتهمة السير الفلسفي السيء من خلال تدريس نيتشه و دريدا " [2].

و تجدر الإشارة إلى أن مقاربة رورتي بين هذين الاتجاهين عبرت عن سعي لإحداث المحادثة الفلسفية و تجسيدها واقعيا ، على الرغم من الاختلاف الكائن بينهما و الذي أرجعه رورتي إلى تركيز الفلسفة التحليلية على الدقة المنطقية أثناء تعاملها مع القضايا في حين تعطي الفلسفة القارية للبعد التاريخي أهمية بالغة هذا زيادة على تعاملها مع الإشكالات الفلسفة من خلال أسماء الأعلام [3].

من دون أن يعني ذلك إقصاء كليا للطرح التحليلي بدليل اعترافه بأنه لم يكن ضد الفلسفة التحليلية في عمومها ،و إنما كان ضد البرنامج الذي فرضه التحليليون أثناء التدريس الذي أدلى إلى إقصاء تيارات و تصورات فلسفية مختلفة [4]، زيادة على إعجابه الشديد باجتهادات فلسفية عمد أصحابها إلى تجاوز الأذن الصماء للفلسفة التحليلية من خلال التنقل الدائم بين الطرح التحليلـــــــــــــي و القاري كما هو واضح من إسهامات هيدغر ودريدا [5].

---

(3) Kloppenberg James , **Pragmatism : old Name , New thinking ? ,** in **, Apragmatist's progress , Richard Rorty and American intellectual History** , P 27 .
(4) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 397 .
(5) Critchley Simon , **Continental Philosophy** , P 55 .
(1) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 20.
(2) Malachowski Alan , **Richard Rorty** , P 184 .

بمعنى إعادة الاعتبار للسياق التاريخي للمشكلات الفلسفية ، بالشكل الذي يسمح لطلبة الفلسفة – كما يقول رورتي – بقراءة نوعية متعددة تجعلهم يمارسون الحرية وهم يقرؤون كتب غادامير إلى جوار كريبك إلى جوار سلارس و دريدا [1].

وهي النهاية الشاعرية التي قدمها رورتي في كتابه نتائج البراغماتية بدعوته إلى تسامح براغماتي بهدف إعطاء النور لظلام الزمن [2].

II – البديل الأدبي و بلاغة الخلاص

1– نهاية الإكليروس * و بداية الشاعرية

عادة ما يعرف الشعر بأنه اقتناص اللحظة الشعورية و التعبير عنها في إطار جمالي ، لتتشكل القصيدة بحسب برادلي (1846 – 1924) Bradley وهي مشبعة بجملة لانهائية من التجارب و الأصوات والصور و الأفكار والعواطف [1].

---

(3) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 397 .
(4) Ibid , P 404 .

* كلمة يونانية لها مدلولها الشعائري الخاص ، استعملت في هذا السياق لإبراز نهاية الصوت الأوحد للفلسفة كوسيلة للتعبير عن الكلمة الفاصلة في النقاش .

و الواقع أننا نجد أنفسنا أمام مسد فكري ، ونحن بصدد ضبـــــــط مفاهيمي محدد لمفهوم الشعر ، إذ ليس منتظرا منا في هذا السياق أن نصل إلى تعريف جامع مانع لاعتبارات عديدة ، لعل أهمها أن الأمر عائد إلى طبيعة الفهـــــــــــم الذي يحوزه المتلقي لمفهوم الشعر و كذا إلى سمات الإنتاج الشعري الغالبة في عصر معين .

و الواقع أن رورتي يحتفي كثيرا بالشعر كمفهوم و حالة للتعامل مع الواقع ، نظرا للانسجام و التناغم الحاصل بين متطلبات فلسفته و ما يقدمه الشعر .

زيادة على الشاعرية التي اتسم بها منذ صغره كما اعترف بذلك في سيرته الذاتية ، فإضافة إلى حبه الشديد للطبيعة التي كان يخرج إليها متجولا على بساطها في رحلات فردية يعبر المروج والوديان و يصعد إلى قمم الجبال حيث يتمتع بجمالات الأصناف النادرة لزهر الأوركيد البري أو عطر الملوك كما يعرف عند الكثيرين ، مما كان يولد لديه صفاء ذهنيا فريدا .

فقد كان مولعا بمطالعة الشعر ، وكانت البداية بقراءة أشعار إليوت T. S . Eliot [2].

ليصير الشعر عنده خصوصا في بداياتـــــــه التروتسكية شكلا من أشكال التطهير بلغة أرسطو ، و طريقا للعودة إلى ما هو طبيعي كنمط لما ينبغي أن تكون عليه الأشياء ، هذا زيادة على تأثره الواضح بإسهامات هيدغر في إحداث المواءمة

---

(1) عباس إحسان ، **فن الشعر** ، دار صادر بيروت ، دار الشروق عمان ، ط 1 ، 1996 ، ص 153 .

(1) Rorty Richard **, Philosophy and Social hope** , P 09 .

بين الشعر و الفلسفة ، فهيدغر حسب رورتي " جعلنا نفهم كيف سيكون حال الثقافة حينما يكون نموذج الاشتغال الإنساني ممثلا في الشعر " [1].

و طالما أن الافتراق الجوهري بين نيوبراغماتية رورتي و البراغماتية الكلاسيكية عائد بالأساس إلى مفصلية اللغة ، فإن الشاعرية كقدرة على الإبداع و كسمة للإنجاز لا تدرك إلا من خلال اللغة ، تحديدا في مدى إنجازها الدلالي و قيمة الإنزياحات و الإيحاءات التي تؤديها [2].

لقد اعتبر رورتي الفلسفة جنسا أدبيا ، و بالتالي فإن انفتاحها على عوالم الشعر هو تأكيد لطبيعتها العارضية ، طالما أن الخطاب الشعري لا يحتاج بطبيعته إلى عنصر المطابقة مع الواقع ، إذ يجوز للشاعر أن يحلق فوق المكان ، أن يحلـــــــــــــم ، أن يخترق بسريالية عميقـــــــــــــة حدود المطابقـــــــــــة ، و أن يرفـــــــــــع الستار على المجـــــــال المخبوء ، فالاتجـــــــــاه الشعري – كما يقول رورتي – هو محاولة لدحض الإجابات الجاهزة في إطار الحقيقة الموضوعية التي طالما تغنى بها المتأثرون بالعلم في معناه الأمبريقي [3].

إن التركيز على البعد الشاعري هو تأكيد على العارضية من زاوية عدم الإقرار بالحقيقة المطلقة و كذا التأكيد على احتمالية تعدد المعنى ، خصوصا على عنصر الانفتاح اتجاه المستقبل بفتح الأقواس أمام الاحتمالات المتعددة و بالتالي إعطاء الفرصة للجديد بحضور ما نتوقع و ما لا نتوقع من الوقائع و الإمكانات التي لا تعرف الانقضاء .

---

(2) Rorty Richard , **Essais sur Heidegger et autre écrits** , P 58 .

(3) صلاح رزق ، **أدبية النص** ، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 2 ، 2001 ، ص 58 .

(4) Rorty Richard , **L’homme spéculaire** , P 420 .

إنه في لحظـــــــــة الكتابة حضور بين غيابين ، و حالة اشتهاء للقبض عل اللحظة الهاربة ، بالشكل الذي يجعل الكتابة الفلسفية فرصة اقتناص ، بيد أن نيوبراغماتية رورتي لا تعود إلى الماضي إلا باعتباره نقطة انطلاق نحو المستقبل ، فالإنسان بحسب رورتي ليس ماهية و إنما مشروعا [1].

و بالتالي فالانفتاح الشاعري يشكل ضرورة لا غنى عنها لأن الفلسفة عند رورتي تبدأ بالشعر بالنظر لدوره في إحداث إبداع الذات [2] ، كما أن نيوبراغماتية رورتي تعبر عن نفسها برومانسية نفعية [3].

زيادة على ذلك يعطي الشعر للإنسان – بحسب رورتي – جملة المبررات التي تساعده على الحياة وفق منطلقين اثنين : المنطلق الأول سياسي يعرف بالتوجه نحو المستقبل ، بالشكل الذي يجعل الليبرالية كفهم وممارسة حالة قابلة للتجدد المستمر [4].

و المنطلق الثاني مرتبط بسياق أنطولوجي منفتـــــــــح على مختلف الأسئلـــــــــة و المعاني ، و قابل لاحتواء مختلـــــف النماذج الحياتية بالشكل الذي يسمح له بلا تردد – حسب رورتي – أن يكون بديلا للدين بالمعنى الدوغمائي [5].

و الواضح أن نيوبراغماتية رورتي خصوصا في ارتباطها مع المجال الشاعري تحاول أن تقدم نفسهـــــــــا وفق سياق جمالي ، يحتفي بالرومانسيــــــة و

---

(1) Ibid , P 66 .
(2) Hall David , **Richard Rorty , prophet and poet of the New pragmatism ,** P 87 .
(3) Rorty Richard , **Philosophy as Cultural Politics** , P 27 .
(4) Grippe Edward , **Richard Rorty's New pragmatism** : **neither liberal nor Free** , P 95 .
(5) Rorty Richard , **Philosophy as Cultural Politics** , P 28 .

يؤكـــــــد على دورها في الثقافة [1] ، كما يتجه للدفاع عن الديمقراطية في معناهـــــــــا الليبرالي كمقصد نهائي للفلسفة في أبعادها المختلفة ، ضمن إطار علاجي يختص به الخيال المبدع ، بالشكل الذي يضمن البقاء المتجدد لسمة الشاعرية كإطار لا يعترف إلا بالجديد على مستوى المفاهيم و الأنواع المعرفية [2].

بيد أن حضور الجدة لا يبرره معارضة القدامة لأنها كذلك ، بل يمثل إحالة للمتطلبات الثقافية خصوصا التي فرضتها مسدات معرفية كـــــــــان من اللازم تجاوزها – حسب رورتي – من اجل الدفاع عن القيم الليبرالية .

خصوصا و أن البطل الثقافي في أبجديات ما بعــــــــــد الحداثة يلامس أداءات الشعر لأنـــــــــه لا يستجدي المباشرة و الموضوعية ، فالشعر – حسب بودلير(1821 – 1867) Baudelaire – " لا يمكنه أن ينهض بالوظائف التي ينهض بها العلم أو الأخلاق إلا إذا كف أن يكون شعرا ، ذلك أن الحقيقـــــــة ليست غرضـــــــا من أغراضه ، فغرض الشعر إنما هو الشعر نفسه " [3].

و هو التوصيف الذي يجعله أكثر قربا من الفلسفة ، في سياق البحث الحثيث و المستمر عن المعنى ، و في الانتماء إلى مجال النقد الثقافي كإطار دافع للتخييل و الإبداع ، مع الحرص على التجاوز عبر تقييم الأداء ، مما يسمح بحضور الدراية

---

(1) Ibid , P 135 .

(2) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P 396 .

(3) بودليـــــر – نقلا عن – الواد حسين ، **شيء من الأدب و اللغة** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 2004 ، ص 11 .

المعمقة في التنويع الشعري ، بالشكل الذي يعطي مختلف مبررات الصحة بأن كل فلسفة تحوي شعرا و كل شعر يبقى مسكونا بالفلسفة [1].

بقي أن نقول أن الشاعر عند رورتي لا يحيل إلى كاتب الكلمات فقط ، بل إلى نموذج المثقف الأنسب لمتطلبات الزمن الذي نعيش فيه ، و الذي يتمكن من الإجادة في كتابة الأشعار و الروايات و كذا المعالجات السياسية والنقدية [2].

و في سياق آخر يرادف بينه و بين المفكر العضوي الذي يتمكن من تحقيق فاعليته عبر حضوره و إنجاز المغامرة بمعناها المعرفي ، و ذلك بإحداث الانعطاف المبهر ، يقول رورتي : " إني استعمل لفظة الشاعر الكبير من أجل وصف المفكر الذي يملك الشجاعة الكبيرة و الخيال الواسع من اجل أن يصنع الجديد في مجاله و كذا لقدرته على المساهمة في تغيير النظرة إلى الأشياء " [3].

2 – رورتي و فضاء الرواية

لا يمكن لأي رواية أن تخلو من موقف فكري ، تعبر من خلاله عن فلسفة ما ، و على صعيد الكتابة إنها بحاجة إلى تصميم مسبق إن على مستوى " خارطة الطريق " التي يتبناها الكاتب أو على مستوى الإيحاء المستمد من التراث الفكري و الحياتي المجتبى من لدن الكاتب نفسه .

---

(1) ماركيه جان فرانسوا ، **مرايا الهوية : الأدب المسكون بالفلسفة** ، تر : كميل داغر ، مر : لطيف زيتوني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 2005 ، ص 20 .

(2) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P 14 .

(3) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 122 .

حينما نمعن النظر في طبيعة الفلسفة والأدب قد نلمح افتراقـــــــا على مستـــــــــوى الموضــــــوع و الصياغة دون أن يحيل ذلك إلى التباعــــــــد إذ أن الاختـــــــــلاف لا يعني بالضرورة التضاد أو التناقض [(1)].

فالطرح الفلسفي – على المستوى الينبغياتي – مبني على التأمل و المنطق الذي يحضر بالشكل الذي يؤسس فيه لمنهج الاستدلال في حين يهتم الطـــــــــرح الأدبي بجمالية البلاغـــــــة و الأسلوب و يعتنى فيه بالعاطفة و الخيال .

بيد أن المدونة الفلسفية المعاصرة خصوصا ، و في كثير من أبجدياتها قد أعلنت محي مختلف الفواصل التي كانت تفصل الفلسفة عن المعرفة الإنسانيـــــــة بما في ذلك الأدب ، بل و خصوصا الأدب المؤسس على النقد و هذا ما يمكن أن نلمحه في نيوبراغماتية ريتشارد رورتي و تفكيكية جاك دريدا ، و كذا من خلال الدعوات التي تحث الفيلسوف أن يكون على إطلاع بما تمده المعرفة الأدبية [(2)].

و الواقع أننا حينما نتأمل المؤلفات الفكرية عند أولئك الذين جمعوا بين الهـــــــــــاجس الفلسفي و غواية الأدب ، فإننا قد نلمح في أغلب الأحايين اختلافا على مستــــــــوى الطرح و الأسلوب في المؤلفات الفلسفية بمقابل المؤلفات الأدبية ، فالاحتراف الفلسفي ظهر عند جون بول سارتر في كل من الوجود والعدم و نقد العقل الجدلي بمقابل ذلك تجلى الأدب في مؤلفات أخرى .

---

(1) Dumoulie Camille , **Littérature et Philosophie** , Armand Colin , Paris , 1 Edition , 2002 ,
P 05 .
(2) Ted Honderich , **The Oxford Companion to Philosophy** , P 925 .

كما يمكن الحديث عن اتساق يحيل إلى لغة جديدة تحاول " أن تعقد الصلح بين صراع البلاغة والمنطق " ، و ذلك بتجاوز كل التخـــــــــوم التي تنحو باتجاه التأسيس ، خصوصا و أن تحليل الخطاب الفلسفي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتجاوز خصوصية التوليف اللغوي ، ولا يمكنه أن يقفز على البلاغة و الاستعارات و كذا الخورقات أثناء الكتابة أو التعليق و الترجمة ، ومن ثمة يعطي بعض الفلاسفة الجدد أهمية بالغة للرواية كحالة سرد قادرة على استيعا ب فروع عديدة من المعرفة [1] ، خصوصا من زاوية حيازتها على الفلسفة و كذا اعتبارها موضوعا لها ، إذ الرواية تطرح فلسفات الشخوص ،كما أنها نتاج تفكير و هي شكل من أشكاله ، فالوثيقة الأدبية يمكن أن تدخـــــــل في حيز الدراسة الفلسفية كمعلومة فكرية في ضوء ما يسمى بــ " تاريخ الأفكار " .

لهذه الأسباب اهتم رورتي بالرواية ، فهو لم يرد إقحام نفسه في مناقشات حول طبيعتها مثلما أقر ، بل ركز على مدى صلاحيتها ، إذ أن مستقبل الرواية في نظره رهين بقدرتها على الاستمرار في المستقبل ليستحيل الأمر عنده إلى مقارنـــــــــة بين أدب رديء و آخر جميل يتمتع بالصفات الفنية و كذا المضمون القيمي .

إن كتابة العمل الروائي في نظر رورتي يرتبط بالأساس بالكتابة كممارسة لهواية مسلية في الإشارة إلى البعد الساخري الذي يزيح روتين الحياة و رتابتها لصالح إبراز الملكات اللغوية و إظهار القيم الجمالية و الإنسانية .

وهو على حد تعبير معين " كيس عجيب " يمكننا من أن نضع ما يحلو لنا ، فيشعر الكاتب بحرية كبيرة في إيجاد الشخوص و الكتابة عن الأحداث إما باستدعاء الماضي أو توصيف الحاضر أو استشراف المستقبل بواقعيته و غرائبيته .

(1) Gray Martin , **A Dictionary of Literary Terms** , Longman York Press , Beirut , 2 Edition , 1988 , P141 .

لذلك فضل رورتي النمط السردي الروائي مدعما بالساخرية و البلاغة على حساب التوتاليتارية ، وهو في ذلك يستدعـــــــــــــي تحليـــــــــــلات ميلان كونديرا Milan Kunder

خصوصا من خلال كتابه فن الرواية ، لإدراكه لمؤهلات كونديرا خصوصا بعده الفلسفي باعتباره ناقدا أدبيا ، فكونديرا رغم إعترافه بتقارب الحكمتين إلا أنه يظهر نمطا من الاختلاف من خلال إقراره بأن حكمة الرواية تختلف عن حكمة الفلسفة ، إذ الرواية لم توجد لأجل البعد التنظيري إنما لروح الدعابة (1).

كما أن الرواية – حسب كونديرا – قد أمدت الفلسفة ببعد رومنطيقي طوباوي ، كما وسعت مجال إدراك الأفراد وإحساسهم بفظاعة المعاناة و الظلم ، كما أمدتهم بالقدرة على الانتشاء و الحلم ، وهو ما يتحقق من خلال وصف كونديرا للرواية بأنها جنة الأفراد Paradise of Individuals (2).

و لم يعد الروائي داخل هذا السياق مجرد حكاء ، إنما فرضت عليه الضرورة أن يكون متابعا للحاصل في المعرفة من منطلق أن الرواية في تصور كونديرا هي حالة تتابع من الاكتشافات Sequence of Discoveries (3).

لقد أثبتت الرواية في القرن الحالي – بحسب رورتي – قدرتها على معالجة الواقع ، نتيجة إسهام الروائيين في تجديد الأساليب و الموضوعات ، لدرجة قدرتهم على التأثير بالنظر إلى النسبة المرتفعة التي تحتلها الرواية كموضوع للقراءة بمقابل الأعمال المعرفية الأخرى خصوصا ما تعلق منها بالعلوم الإنسانية .

---

(1) Rorty Richard , **Essais sur Heidegger et autre écrits** , P 119 .
(2) Kweik Mark , **elective Affinities , Richard Rorty and post modern thought** 1996 , P 162 .
(3) Ibid , P 170 .

زيادة على ذلك استطاعت الرواية من خلال السينما و التلفزيون أن تؤسس لتواصل مع المعطى الاجتماعـــــــــي بالشكـــــــــــل الذي يمكنهـــــــا من إعـــــــــادة إنتـــــاج الحياة عبر تشكيلات و تنويعات مختلفة ، و هو الأمر الذي استطاع تشارلز ديكنز Charles Dickens أن يساهم فيه من خلال التفعيل الاجتماعي للرواية (1).

إن سر تعلق رورتي بالرواية عائد بالأساس إلى طبيعة تكوينه المعرفي و كذا إلى اهتمامه باللغة كمادة أولية للكتابة الروائية ، زيادة على الحرية الواسعة التي تقدمها الرواية في الوصف و إعادته من اجل تبني جملة الطروحات في سياقها الليبرالي كحالات طوباوية يعمد الأفراد فيها عبر النشاط و التضامن الاجتماعي إلى محاولة التماهي بغرض الإنجاز، بمقابل روايات أخرى شكلت جرس إنذار لحالات أخرى من الظلم و غياب العدالة .

فالعمل الروائي فـــــــــــــي حد ذاته قراءة خلاقة حسب تعبير إمرسون ، لذلك ارتبط اهتمام رورتي بالأعمـــــــال الأدبيــــــة و الروائيــــــــة التي تنتج الجديد (2) ، على مســــــتوى اللغـــــــة و التفاصيل ، و هو الأمر الذي استشعره في الروايات المستشرفة للمستقبل (3).

لذلك جاءت إسهاماته تحمل إضافة تمثلت في نمط معرفي جديد لازال في إطار التكوين ممثلا في النقد الفلسفي للأدب من خلال قراءته لكتابات تشارلز ديكنز و كذا جورج أورويل George Orwell في مزرعة الحيوانات Animal Farm ، إضافة إلى نيل ستفنسون Neal Stephenson في ضربة الثلج Snow Crach و مارمون

---

(1) Rorty Richard , **Essais sur Heidegger et autre écrits** , P 110.
(2) Rajchman John **, philosophy in America** , In , **Post Analytic Philosophy** , P XX.
(3) Rorty Richard , **Achieving our country ,** P 04 .

سيلكو Marmon Silko في رزنامـــــــــة الميـــــــت Almanec of Death إضافـــــــة إلـــــى روايـــــــــة تيـــــــــودور دريزر Theodore Dreiser المعنونـــــــــــــة بالتراجيـــــــديا الأمريكية * American Tragidy .

* يمكن العودة إلى دراسات و إشارات حول هذه الروايات في كتب رورتي التالية :

1- Essais sur Heidegger et Autre écrit.
2- Contingency , Irony and Solidarity .
3- Achieving our Contry.

المبحث الثالث: فلسفة اللغة عند رورتي

الفلسفة في عمومها تفكير باللغة و عن اللغة ، منطلقنا في ذلك اعتبار اللغة وجها آخر للفكر ، و الفلسفة كنمط متميز من التفكير هي تعبير لغوي يسعى الفيلسوف من خلاله إلى غاية الإقناع عن طريق بسط الحجج و الأدلة ، و لن يتم ذلك دون مهارة انتقاء الألفاظ بالشكل الذي يحدث المواءمة و المماهاة بين الدال و المدلول .

فاللغة تمد الفيلسوف بالمفـــــــــــــــردات و الجمـــــــــــــل و المعاني التي تساعده في توضيح أفكاره و تمثلاته و بناء استدلالاته ، فالمعنى الذي تنشده الفلسفة بوصفها نشاطا فكريا لا يمكنه أن يتجسد بعيدا عن اللغة .

أولا : الخطاب البراغماتي الجديد و أهمية اللغة

I – اللغة في فلسفة رورتي

لقد أشار رورتي إلى أن أساس التمييز بين البراغماتية الكلاسيكيـــة و البراغماتية الجديدة عائد بالأساس إلى الاهتمام الذي أعطاه الفلاسفة الجدد لموضوع اللغة .

و كأن الأمــــــــر يحمل إبقاء على جوهــــــــــــر الطـــــــــرح التحليلي المتمثل في ريادة فلسفة اللغة ، و تطعيم ذلك بمناقشة مختلف الإشكالات التي تتوجد أثناء الممارسة الفلسفية كضرورة تفرضها الوقائع بشكل أساس .

وفــــــــق هذا الأساس سيكون من اللازم أن نطرح التساؤل الآتي : ما المقصود بفلسفة اللغة ؟

يشير إريك غريلو Eric Gillo أن ثمة معنيين لفلسفة اللغة ، معنى واسع يحيل على مختلف البحوث التي تناولت موضوع اللغة منذ محاورة كراتيل وصولا إلى مختلف المقاربات الفلسفية .

بالمقابل يشير المفهوم الثاني كإطار للتخصص إلى تيار فلسفي معاصر انتشر خصوصا في البلدان الأنجلوسكسونية أعطى اهتماما كبيرا للغة ، نظرا لأهمية هذه الأخيرة في تشكيل الوعي و تحديد الفكر و من ثمة تحــــــــديد مفهوم خاص للفعل الفلسفي و تعيين مجال تطبيقاته [1].

في حين يرى جون سورل John Searl أن موضوع فلسفة اللغة لا يرتبط باللغات كالانجليزية و الفرنسية و إنما يرتبط باللغة عامة في تعبيرها عن الفكر ، و هو جملة البحوث التي تقترح إعطاء وصف دلالي من زاوية فلسفية لبعض الخطوط العامة في اللغة مثل المرجع ، الحقيقة ، الدلالة و الضرورة [2].

(1) Grillo Eric , **La philosophie du langage** , Edition du Seuil , France , 1997 , P P 4 , 5 .
(2) Searl John , **Les actes de langage** , Essai de philosophie du langage , préface : Oswald Ducrot , Edition Hermann , Paris , 1996 , P 38 .

أما في نظر كاتز Katz فإن فلسفة اللغة مبحـــــــــــث كبقيـــــــــة المباحث الفلسفية مثل فلسفة العلوم و الرياضيات ، لكنها ترتبط بالمفاهيم و طريقة توظيفها ، و لأجل ذلك يشترط معرفة باللغة كموضوع من أجل الانطلاق في إيجاد حلول للإشكالات الفلسفية (1).

في حين يعرف محمود فهمي زيدان فلسفة اللغة بأنها : " مجموعة مترابطة من الدراسات يعلق عليها المناطقة و الفلاسفة تنشأ عما يقلقهم من أسئلة و مشكلات تتعلق باللغة " (2).

و الواقع أن تحليلا من هذا النمط يفرض علينا إحداث مماهاة بين مفهوم الفلسفة عند رورتي و كذا تصوره للغة ، و هي مسألة بالغة العسر عمد رورتي إلى محاولة تجنب الأمر مخافة أن يسقط في المحاذير التي طالما نبه إليها بهدف تجاوز الطروحات التي تركن إلى الماهية و التأسيس و التمثيل بشكل أبدي ، مؤثرا نمط المحادثة كحالة تشاركية بين المعارف بغرض الوصـــــول إلى الفكرة ذات الصلاحية المعبرة عن تقاطع وجهات النظر .

و هو بذلك يؤكد طبيعة النمط الفلسفي الأنجلوسكسوني الذي أعطى للغة مرتبة سامقة ، جعلها تحتل مكانة الريادة في كثير من أبجديات الفلسفـــــــــة المعاصرة ســـــــواء في ذاتهـــــا و لذاتها كخطاب تحديد أو في علاقاتها المتشابكة مع مواضيع المعرفة الأخرى ، فاللغة تعبر عن الفكر في تعدده و تنوعه كما أنها –

(3) Katz Jerrold **, La philosophie du langage** , Tr : Janick gazio , Payot , Paris , 1971 , P P 15 , 16 .

(1) زيدان محمود فهمي ، **في فلسفة اللغة** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 ، ص 05 .

بلغة إدوارد سابير Edward Sapir " وسيلة التواصل الإنساني (...) تهدف لتوصيل الأفكار و العواطف و الرغبات " [1].

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الفلسفة كنمط متميز من التفكير توصف بأنها تعبير لغـــــــوي يقوم من خلالـــــــــــه الفيلسوف بطرح جملة من القضايا و الإشكالات ، فضرورة تفكير الإنسان باللغة تبقى أكيدة ، حيث أن نفي التفكير هو نفي للغة و العكس صحيح .

وفق هذا الأساس تشكلت فتنة و إعجاب الإنسان المهتم بهذه المنظومة الصوتية التي ينطق و يفكر بها ، كما هو ظاهر من مكانة فلسفة اللغة في الفلسفة المعاصرة .

زيادة على ذلك فإن معرفـــــــــــة رورتي المعمقة بفلسفة اللغة عائد أساسا إلى تكوينه التحليلي ، إذ أن المدرسة التحليلية تعلي من شأن اللغة بالشكل الذي يجعل فلاسفة التحليل يقومون بترجمة المشكلات الفلسفية إلى حدود و قضايا لغوية من منطلق أن مشاكل الفلسفة – كما يقول رورتي – يمكن أن تحل إما بإعادة تشكيل أو فهم اللغة التي نستعملها ، و هو الأمر الذي اعتبره " أهم اكتشاف فلسفي في هذا الزمن " [2].

إن محاولة الفهم المعمق لتصور رورتي للغة يرتبط أساسا بوضعية الفلسفة في الثقافة الجديدة كطرف مشارك في المحادثة التي هي عملية لغوية بالأساس .

و مادامت نيوبراغماتية رورتي تتجـــــه نحو الجـــــــــــدة فإن محاولة إيجاد الوقائـــــــــــع الجديدة و القيام بتوصيف لها يؤدي لا محالة إلى معرفة جديدة تكون بحاجة ماسة إلى مفردات جديدة .

---

(2) Sapir Edward, **Le Langage** , Tr : S : M. Guillemin , Payot , Paris , 1967 , P 07 .
(1) Rorty Richard , **Linguistic turn** , P 03 .

لذلك يرى رورتي أن التغير على الصعيد الاجتماعي يتبعه تغيـــــــــر على الصعيد اللغوي و هو الأمر الذي يؤدي إلى اعتبار اللغــــــــة ذات طبيعة عرضية تحيل إلى علاقة مبتكرة بين الدال و المدلول ، و هو ما يحيل مرة أخرى إلى البعد التشاركي في المحادثة و التي مؤداها أن الاعتقاد في صدق قضايا اللغة يقوم بالأساس على الاتفاق الحاصل كنتاج محادثة متجددة .

و من خلال هذا التوصيف نستنتج أن رورتي يستوعب اللغة كأداة لوصف العالم و قوله في ضوء إستراتيجية براغماتية سلوكية تطورية ترفض أن تفهم المعاني في وجودها المسبق المحدد لتشكيل العالم من خلال اللغة ، طالما أن العالم – كما يقول رورتي – لا يتكلم ، و لكننا نحن الذين نفعل ذلك [(1)].

و هو الأمر الذي يعطي بحسب توصيف دافيد هال David Hall بعدا اسميا لتصور رورتي اللغوي ، من منطلق أن اللغة تنوس بين قطبين مختلفين ، و تحاول في الوقت عينه حل المعادلة الصعبة بإيجاد التفاعل المستمر: بين اعتبارها مستودعـــــــــا للأوصاف من جهة و حيازتها على عارضية الاستعمال من جانب آخر [(2)]، نافيا بذلك مختلف الدلالات التي تقر بالمرجعية الواحدة للعبارة بإفصاحها عن الشيء المحدد في أن تكون رسما رمزيا للواقعة أو لحالة الأشياء .

بمقابل إعطاء السبق لتوصيف منفتح يعطي للبعد التداولي الاجتماعي أهمية بالغة ، و هو الأمر الذي وجده رورتي عند فتغنشتاين الثاني الذي رفض الانطلاق من

---

(1) Rorty Richard , **Contingency , Irony and Solidarity ,** P P 5 , 6.
(2) Hall David , **Richard Rorty , prophet and poet of the New pragmatism , P 90 .**

تصورات كلية في تعميم نتائج لا تعطي للواقـــــع أية أهمية ، علما أن الواقـــــــــع في صعيده البيولـــــــــوجي أو الاجتماعي يتمظهر بأشكال مختلفة تجعل مسألة تحديده أمرا متعذرا .

حيث أصبحت اللغة في تصور فتغنشتاين الثاني عبارة عن ألعاب (Games) تحوز على إمكانية التعديل و التغيير .

و على الرغم من عدم وجود قانون تفصيلي جامع مانع لكل الألعاب إلا أن فتغنشتاين لم ينف وجود تقاطعات بين ألعاب اللغـــــة التي ماثل بينهـــــــــا و بين التشابهـــــــات الأسريـــــــــة (Family ressemblances) ، مؤكـــــــدا على ارتبـــــــــاط معنـــــــى المفـــــــــردات بالاستعـــــــمـــال (The meaning is the use) بالشكل الذي يركز على الاستخدام الموضعي للغة بعيدا عن إعطاء تعريف محدد للمفـــــردة يحد مــــــن حريتهـــــا و يقف حائلا أمام إعطائها مجالا حيا أثناء التوظيف (1).

و هو الموقف الذي ينسجم في مجمله مع تصور رورتي الذي عارض الاجتهادات الفلسفية التي نادت بتأسيس لغة مثالية تعتمد على الرمز و المنطق ، وتحوز على انفعال التحقق بطريق الصرامة العلمية (2).

كما أن البعد الساخري عند رورتي و الذي سعى من خلاله إلى تخفيف الجدية المبالغ فيها ، و التي يزعم أصحابها بإرادة امتلاك الحقيقة المطلقة ، لا تتباعد كثيرا عن تصور فتغنشتاين عن الألعاب في العلاقة بين اللغة والفكر ، فالمعرفة عند رورتي برمتها ألعاب لغة أو تطبيقات اجتماعية مختلفة غير أنها مرتبطة في شكلها

---

(1) Wittgenstein Ludwing, **investigations philosophiques**, Tr :Pierre Klossowski, éditions Gallimard (F.R.C), 1961, 1 partie , paragraphe N432. P 257.
(2) Grippe Edward , **Richard Rorty's New pragmatism** : **neither liberal nor Free** , P 53 .

التعددي بلغـــــــة غير محددة سلفا ، تنسج مضامينها ضمن سياق الحوار المعرفي المتعدد الذي لا يكون إلا لغويا ، إذ أن ضمان بقاء المحادثة في نظر رورتي رهين بالارتباط باللغة في سياقها المتجدد (1).

إن معارضة رورتي للغة المثالية كان لحساب تصور وظيفي يجعل من اللغة وسيلة للتواصل و تحقيق التفاعل الاجتماعي (2) ، و من ثمة تبني رؤية تداولية لا ترهن نتائجها بمعطيات محددة سلفا ، و هو الإقرار الذي أضاف ملمحا جديدا إلى نيوبراغماتية رورتي من منطلق أن الفيلسوف البراغماتي في بحوثه في فلسفة اللغة – كما يقول رورتي – لا يهدف إلى تحديد و ضبط ماهيات الأشياء بشكل نهائي (3).

كما يعترف رورتي – زيادة على الثالوث الفلسفي الذي أثر في فلسفته بشكل صريح – بفضل كل من كواين ، سلارس و دافدسون المعروفون بالبراغماتيين اللسانيين بشكل مباشر أو غير مباشر أو عبر نظرة تأويلية في المساهمة في تحرير فلسفة اللغة من متطلبات التصورات المثالية المؤسسة على البينة (4).

فبالنسبة لكواين Willard Van Orman Quine (1908 – 2000) فإن كل ما أنتج في فلسفة اللغة منذ عهده كحالة تصديق أو تعديل – كما يرى رورتي – جعل من الصعوبة تأسيس معطيات فلسفـــــــة اللغة على أسس ثابتة من منطلق إعطاء الأولوية للحراك الاجتماعي (5).

---

(3) Hottoi Gilbert , **De la Renaissance a la Postmodernité : Une Histoire de la Philosophie Moderne et Contemporaine** , P 476 .
(4) Rorty Richard , **Contingency , Irony and Solidarity** , P 41 .
(1) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 35 .
(2) Rorty Richard , **Essais sur Heidegger et autre écrits** , P 82.
(3) Rorty Richard , **L’espoir au lieu du Savoir** , P 40 .

أما سلارس (1912 – 1989) Wilfrid Sellars فإن عبارته القائلة بأن " كل وعي هو مسألة لغوية بالأساس " ، تجعل من اللغة عنصرا أساسيا في فهم العالم من منطلق سلوكي وظيفي ، و ذلك باستخدام النموذج المفتوح القائم على التفاعل مع الوجود كأفراد و أشياء ، ليصير هدف اللغة قائما في تبادل الدلالات ، كعملية محورية تعطي لفعل التوصيف اللغوي الأهمية البالغة في فهم الواقع (1).

أما بالنسبة لدونالد دافدسون (1917 – 2003) Donald Davidson – الذي يعترف رورتي صراحة بأفضلية إسهاماته في إحداث تصور مؤثر في فلسفة اللغة (2) – فقد قامت اجتهاداته بالأساس على الارتياب أثناء التواصل المعرفي مع التأسيسات المفاهمية المحددة سلفا كالقضايا و المعاني ، و ذلك بالدعوة إلى مجاوزة الحديث عن المطابقة وكذا الوضوح الديكارتي إلى التركيز على المواضعة و الاتفاق ليكون الصدق في الجمل و العبارات قائما في حدود عالـــــــــم الفرد المشكل من اللغــــــــة نفسها إضافــــــــــة إلى العادات و المعتقدات و المشاعر بالشكل الذي يجعلها مكونا أساسيا لسلوكات الأفراد (3).

II – الانتقال من الخبرة إلى اللغة : مبررات الانعطاف

إذا كان ديوي يركز على موضوع الخبرة كما توحي بذلك عناوين مؤلفاته العديدة التي تتناول موضوع الخبرة كعنصر أساسي يشكل الخلفية الجوهرية لتصوره *

---

(4) Ibid., P P 58 , 59 .
(5) Rorty Richard , **Philosophy as Cultural Politics** , P 133 .
(1) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P P 21 , 22 .

* و مثال ذلك الخبرة و الطبيعة Experience and Nature ، الفن كخبرة Art as Experience ، الخبرة والتربية Experience and Education .

البراغماتي ، من منطلق دعوته إلى تشكيل الفلسفة وفق سياق اختباري يعترف بقدرة الإنسان على صناعة الواقع و صياغته ، و كذا إعادة تشكيل الظروف بغرض البحث العملي عن أسباب تساعد على إقران الفكرة بالفعل و بالتالي تشكيل الخبرة كحالـــــــة علم و حذاقة مستقاة من ممارسة الحياة ، بالشكل الذي يمكن الإنسان من الاستفادة من خبرته في التعامل مع إشكالات الحياة و عوائقها .

إذ أن الإنسان الخبير المتمرس هو من يملك الخبرة الكافية التي يحددها رصيد التجارب في شكله التفاعلي ، مما يمكنه من اختبار الحياة و فهمها ، وبالتالي ترقية ذاته و كذا المساعدة على ترقية مجتمعه و محيطه .

و هو الأمر الذي يسمح بفهم وظيفي للخبرة في اعتمادها على الذاكرة و العادة ، ليس كبعدين مرتبطين بالماضي و إنما بتركيزهما على الحاضر والمستقبل من منطلق توظيف الخبرات التي يحوزها الإنسان في السلوك و النشاط [1].

وترتبط الخبرة في التصور البراغماتي الكلاسيكي خصوصا عند ديوي بالتعلم ، لذلك انصب اهتمامه الكبير على فلسفة التربية بإعداد الأفراد و تزويدهم بالخبرة للحياة الاجتماعيـــــــــة ، و لن يكـــــــــون ذلك إلا بالاشتغال بأعمال اجتماعيـــــــــــة ، إذ أن الحاجـــــــات و الأهداف العامة – كما يقول ديوي – " تتطلب تبادلا ناميا في الأفكار ، و وحدة نامية في الشعور الودي " [2].

و الواقع أن رورتي يشيد أكثر من مرة بالمواقف الفلسفية لديوي و يعتبره فيلسوف أمريكا الأول ، و كذا أهم مرشد و مؤثر ، بيد أن ذلك لم يمنع رورتي من محاولة

---

(1) جديدي محمد ، **فلسفة الخبرة ، جون ديوي نموذجا** ، ص 12 .

(2) ديوي جون ، **المدرسة و المجتمع** ، تر : أحمد حسن الرحيم ، دار مكتبة الحيـــــاة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2 ، د . ت ، ص 37 .

تقديم نموذج فكري متميز ، وسبب ذلك عائد بالأساس إلى المناخ الفكري المختلف ، بل أن رورتي قد عمد في مشروعه البراغماتي الجديد إلى تحيين البراغماتية من خلال ربطها بروح العصر و كذا معالجة الإشكالات الراهنة بما توفر من حمولة معرفية ساهمت الإبداعات الفلسفية المعاصرة في تنميتها و توضيبها .

و لعل الإشارة الأساسية التي لوّح في ضوئها رورتي بطابع الجدة للبراغماتية ، تعود إلى الاهتمام الكبير باللغة ، معلنا في ذلك أن الفرق الأساس تمحور في انتقال الاهتمام من الخبرة إلى اللغة [1].

فالبراغماتيون الجدد – كما يقول رورتي – ساروا لأول وهلة على خطى كارناب ، ثم ما لبث معظمهم أن أعاد بعث البراغماتيـــــــــة وفـــــــق تصور جديد يعطـــــــــي للأبعاد التاريخية و الاجتماعية أهمية كبيرة ، كما أنه لا يتنكر لفلسفة اللغة التي كانت اهتماما تحليليا صرفـــــــا و ذلك من خـــــــلال إبراز ضرورتها للمعالجة الفلسفية كوسيلة للتواصل و تحقيق التفاعل الاجتماعي .

و طالما أن اللغة في حد ذاتها خبرة ، فإن رورتي – بمحافظته على الإطار التحليلي من خلال اهتمامه باللغة – قد أقر باستعمالين أساسيين : الأول إجرائي فردي بغرض التواصل ، و الثاني إبداعي شاعري يسمح بإدخال الخورقات و الاستعارات ، مما يعني إعطاء جانب من العارضية يساهم في تقويض مسألة المقابلة بين اللغة والواقع بغرض التصوير أو التمثيل ، بمقابل الحديث عن الإبداع و الخلق .

و هو بذلك يرفض كل تصور قبلي يجعل من اللغة ملكة مستمدة من خارج الإنسان ، فاللغة في تصور رورتي صناعة بشرية ، كما أن الكلمة ليس لها أي معنى إلا

---

(3) Rorty Richard **, Philosophy and Social hope** , P 35 .

ضمن سياق الجملة ، مفرقا في ذلك بين الوجود و المعنى ، فالأشجار و النجوم و إن كان لهم وجود قبل التسمية ، إلا مضامين المعنى لا يمكن أن تتحدد إلا من خلال التسمية و كذا ضمن وجود الأشياء الأخرى [1].

بيد أن المنعطف اللغوي الذي جذب الفلاسفة بعد هجرانهم للخبرة لم يسلم من انتقادات رورتي ، محاولا تخليصه من الخلفية الابستمولوجي بمعناها المرآوي باتجاه الهيرمونوطيقا كحالة شاعرية و أمل بتبني الاستعمال المتعدد للغة وفق ما تحدده النهايات المتجددة .

و بالتالي إعادة الاهتمام بموضوع اللغة – وفق طريقة جديدة – ليس كوسيط للمعرفة فقط ، و إنما كغاية معرفيةـــــ في حد ذاتهـــــــــا ، بالشكـــــــــــل الذي أوحته الروائية إريس موردوخ I . Mordoch في تشبيهها الشهير للغة بزجاج النافذة الذي أصبح معتما بعد أن كان يسمح بالرؤيـــــــة ، و هو الأمر الذي ينسحـــــــــــب على اللغة التي كانت تبدو واضحة و شفافة ، فأصبحت على صـــــــــورة من الارتباك جعلت منها واحـــــــــــدة من أهم مشكـــــــــــــلات الفلسفة المعاصرة و أعقدها [2].

وهي الانتقادات التي توجهت أساسا إلى المحاولات الفلسفية التي أرادت أن تسلك الطريق المضمون للعلم بغرض الوصول إلى نتائـــــج دقيقة كما يتجلى في الرياضيات مثلا ، ليتماهى مع الطـــــــــــرح المنجز أي محاولة الابتعاد عن طابع التمثيل و المطابقـــــــــــة و ربط ذلك باللغـــــــــة في تحـــــــررها عن طريـــــــــق تفعيـــــل دور المحادثـــــــة بشكلهـــــــا الحـــــر و المفتوح .

---

(1) Rorty Richard , **L'espoir au lieu du Savoir** , P 77 .

(1) رشوان محمد مهران ، **دراسات في فلسفة اللغة** ، دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع ، الكويت ، 1998 ، ص 102 .

و بذلك يكون رورتي قد أوجد للبراغماتية مناخا ثقافيا جديدا يتجه نحو التجديد اللامتناهي للاستعارات و التطبيقات ، و هو بذلك يتبنى رؤية داروينية – كما قال – تعطي للوسط أهميـــــــــــــة بالغة بإسقاط تصورها العام على مواضيع المعرفة مثلما دعا ديوي إلى ذلك ، من خـــــــــــلال تناول اللغة وفق سياق طبيعي و مرن لا يعرف الانقضاء [1].

ثانيا : اللغة و سمات التداول

I – الإنجاز الاجتماعي و تقويض اللغة المثالية

قام بعض الفلاسفة ببناء نظري لمشاريع فكرية عمدوا من خلالها إلى محاولة تجسيد الصرامة العلمية ، و التعبير عن ذلك من خلال منهج دقيق و نتائج يقينية ، بغرض الوصول إلى لغة مثالية في نهاية المطاف ، و على سبيل المثال فقد اعتبر روني ديكارت R . Descartes أن السعي لتأسيس لغة مثالية نتجاوز من خلالها مثالب اللغة العادية يعد أمرا مثيرا للإعجاب [2].

كما أعلن فيلسوف الوضعية المنطقية رودولف كارناب R . Carnap عن هدفه الأساس من الفلسفة و القاضي بتجسيد لغة صحيحة منطقيا تمتح من العلم صرامته ،

---

(2) Rorty Richard , **Essais sur Heidegger et autre écrits** , P 06.

(1) Pages Robert , **Le Langage** , Edition Classique Hachette , Paris , 1959 , P 83 .

و ذلك باستئصال القضايا الزائفة عن طريق معرفة الشروط العامة التي يكون فيها اللفظ حاملا للمعنى (1).

و هي الغاية التي اتجه إليها كثير من فلاسفـــــــــة التحليـــــــل على شاكلة فريجـــــــــــه ، رســــــــل و فتغنشتاين المبكر حينما أقروا بأن الغرض الأساس للتحليل الفلسفي هو الوصول للغة اصطناعية تتأسس على الرمز و تتجه نحو الدقة بتفاديها لأخطاء لغة الاستعمال (2).

غير أن هذا التصور لم ينسجـــــــــم مع الطروحات المعرفية الواردة في نيوبراغماتية رورتي ، و كذا في تصوره للغة الوظيفية التي تستجيب للممارسة و ضرورات الحياة ، من منطلق أن نشأة الإشكالات في فلسفة اللغة مرتبط بالدعوة إلى انصراف اللغة عن الفعل (3).

و سبب ذلك عائد بالأساس إلى طبيعة اللغة نفسها ، و ذلك بعدم إمكانية تحققها الواقعي في حالتها الانفرادية ، إذ أن صمويل غوتمبلان Samuel Guttemplan يشترط معرفة معمقة باللغة الاجتماعية التي يتداولها الناس في حياتهم اليومية كحلقة أولى ، ثم بعد ذلك يمكن الحديث عن لغة مثالية تعد نتاجا لأمثلة و معطيات لغة الاستعمال (4).

---

(2) Voix Louis , **L'empirisme Logique** , P.U.F , Paris , 1970 , P 46 .

(3) زيدان محمود فهمي ، **في فلسفة اللغة** ، ص 30 .

(1) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 29 .

(2) Guttemplan Samuel , **The Language of Logic** , Black Well Publishers , UK , Second Edition , 2002 , P 37 .

كما أن الفلسفة لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تصيغ نتائجها و قضاياها بطريقة رياضية منطقية صرفة ، لأن ذلك يمس خصوصيتها ، كما أن مختلف المشاريع الفكرية التي عمدت إلى تقليد الصرامة العلمية في الفلسفة ، نالت النقد الشديد من منطلق حاجة الفلسفة لبعديها التاريخي و الاجتماعي .

إن تبني رورتي لأهمية اللغة مرده إلى السياق البراغماتي الذي يعطي للبعد التداولي أهمية بالغة ، فإذا كان هدف اللغة المثالية هو محاولة إنهاء الخلافات الفلسفية كما يرى فيليب ديكا Philipe Ducat [1] ، فإن رورتي على العكس من ذلك يسعى إلى

ترشيد هذه الخلافات بواسطة إحياء المحادثة الفلسفية و كذا العمل على تطويرها و مدها بسبل تجاوز العوائق ، و هي الإمكانية التي يمكن أن تبدع لغة جديدة و متجددة ذات طابع تشاركي .

لم يعمد رورتي إلى نفي الطابـــــــع المجرد من اللغـــــــــة ، نظرا لأهميته البالغة في الوصف و إعادته ، فحينما نتكلم إننا نستعمل المنطوقات للدلالات على الأشياء ، كما أن لغة الاستعمـــــــال تتسم بخاصية التجريـــــــــــــد حيث أن اكتسابها رهين بالقدرة على استعمال الدال و فهمـــــــه في إيحاءاته للمدلول ، و أكثر من ذلك ضرورة لغة التجريد لكل تقدم معرفي .

إن اجتهاد رورتي المعرفي يسعى لتقويض الطرح التحليلي للغة في تبنيه لمشروع اللغة المثالية ، دون أن يعني ذلك نفيا لأهمية الطابع المجرد للغة ، و دون أن يعني ذلك أيضا اكتفاء بلغة الاستعمال خصوصا تلك التي يستعملها الناس في معاملاتهم اليومية .

---

(3) Ducat Philippe , **Le Langage** , Edition Ellipses , Paris , 1995 , P 55 .

بل سعيا لتجديـــــــــد اللغة و لتجاوز مختلـــــف الأنمــــــــــاط اللصيقة عبر تاريخ الفلسفة خصوصا ، و التي جعلت منها نسخة مكرورة ثابتة للتمثيل و إعلاء التصورات ، في حين أن وظيفتها الأساسية – كما يقول رورتي – مرتبطة أساسا بالخلق و الإبداع ، بالشكل الذي يجعل منطلق البحث داخل هذا السيـــــــاق في مدى مناسبتها للأهداف المتوخاة [1].

و بالتالي فإن رورتي لا ينظر إلى اللغة كموضوع منفصل عن حياة الإنسان ، و إنما في قدرتها على الإيحاء و الدلالة ، أي من خلال وظيفتها الأساسية المرتبطة خصوصا بالاستعمال داخل السياق الاجتماعي ، و كذا كحالة تطوير لما يحصل في المحادثة تماشيا مع المساقات الإنسانية المتعددة ، و هو في هذا الإطار يتأثر بديوي في مسألة اعتبارها سلوكا له صلة بالبيولوجيا كحالة تطور ، و كذا في البعد التداولي الذي نجد له حضورا في فلسفة اللغة عند فتغنشتاين المتأخر .

لقد نظر رورتي إلى اللغة كواسطة تتجاوز البعد المادي إلى الإطار الرمزي باعتبارها ملمحا أساسيا لحالة الثقافة في زمن ما بعد الفلسفة ، و ذلك بالدعوة إلى تجاوز حصار الثنائية الديكارتية المعبر عنه في إما / أو ، و كذا في مختلف التصورات المتمركزة حول نظرية المعرفة بمنطلقاتها المرآوية للفكر ، لصالح لغة تقترب من الشعر أكثر ، بتبنيها لمسار الأفق المتجدد ، عن طريق اختراق الحدود و هتك الحجب .

(1) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 22 .

II – ملامح الكتابة الفلسفية

ينتقد رورتي التصور الشائـــــــــع عن الكتابـــــة الفلسفية التي عادة ما تربط بين التعقيد و العمق ، و التي ترى بالمقابل تناسبا طرديا بين الوضوح من جهة و الضحالة والسطحية من جانب آخر .

فالفلاسفة – في نظر رورتي – يعتقدون في الكتابة وسيلة تمثيل الوقائع ، بالمعنى الذي يجعل منها أكثر كتابية ، و أقل وضوحا و أكثر تمثيلا و إشكالا في علاقاتها مع الكتابات الأخرى [1].

بيد أن هذا التصور الأحادي يجعل من الكتابة الفلسفية وظيفة لغايات محددة سلفا تأثرا بالمجال الرياضي في محاولة وصف العالم بطريقة حسابية دقيقة ، و هو الأمر الذي دفع أفلاطون – حسب رورتي – إلى تعرية إدعاءات الساسة و الشعراء عن طريق التأكيد على صرامة الحجة الرياضية ، و جعلها نموذج التقويم .

لقد شكل التصور السابق الانعطاف الذي مثلـــــــه كانط و القاضي بالربط التمثيلي بين الدال و المدلول ، بالشكل الذي أوجد نظريتين لمسألة الكتابة الفلسفية : تحيل الأولى إلى تصور علمي يرنو نحو الدقة ، و الثانية تأخذ العـــــلم كمجال ثقافي و بالتالي تتجه نحو نظرة تاريخية [2].

و الواقع أن رورتي يشيد بفاعلية التصور الثاني في تشكيل ملامح الكتابة الفلسفية ، مدعما في ذلك تصوره عن المحادثة كسبيل متجدد لتشكيل الوعي ، و مؤكدا على طريقة فهمه للفلسفة كشكل من الأشكال الأدبية .

---

(1) Ibid , P 201 .
(1) Ibid., P 197 .

الأمر لا يتعلق بالتأثير الذي حصل من جراء تقلده لمنصب الأستاذية في الأدب المقارن فقط ، بل يعود أساسا إلى المناخ المعرفي الذي انتشر مع فلسفات ما بعد الحداثة و كذا مع الفلاسفة الجدد ، في البحث عن لغة اليوتوبيا المتفردة التي تملك القدرة على التجدد المستمر و المجاوزة الدائمة لأرتاج الخلود في الكل أو اللاشيء .

و هو بذلك يتفق مع بول ريكور Paul Ricœur في تقويض لغة الإديولوجيا التي ترتكز على الماضي في سعيها للتبرير و الإدعاء لصالح البحث عن لغة جديدة و متجددة ترى في المستقبل بعدها الزمني الأنسب .

متأثرا في ذلك بالفلاسفة " النصوصيين " و هي التسمية التي قدمها رورتي لثلة الفلاسفة الذين يكتبون و كأنه لا يوجد في العالم غير النصوص ، ويرتبط هؤلاء بالاتجاه الجديد في النقد الأدبي المتمثـل في هارولـد بلوم Harold Bloom جيفري هارتمان Geoffrey Hartman ، ميشال فوكو Michel Foucault ، جاك دريـدا Jacques Derrida و آخرين ، و الذين يرون عدم أحقية العلم الطبيعي في أن يكون النموذج الأوحد لتمثيل المعرفة [1].

و هـي الطـروحات التـي احتفـت بهـا المقـولات المعرفيـة لجـاك دريـدا (1930 – 2004) في محاولاته – حسب رورتي – للخروج عن التقليد الكانطي القاضي بربط الحقيقة مع التمثيل الصحيح و المناسب بين الدال و المدلول بمقابل ترك الفلسفة في سياق

(1) Ibid., P 267 .

غير خالص مع إعطائها بعدا هاويا ، غرائبيا يتجه نحو الدلالات الفاتنـــــــة و الإغواء المتعدد و كذا اللعب بالكلمات .

فالموضوع مع دريدا لم يعد هو العالم و إنما النصوص أساسا ، ليتجه العمل الفلسفي في أساسه إلى الكتابة كمقصـــــــد إرادي و كضرورة تفرضها الفلسفة لتلامس في ذلك التوضيح و الإشارة و كذا التنوير .

فبالنسبة لرورتي يمثل دريدا طرحا فلسفيا طلائعيا ، بإعادته الانتباه لتصور سلارس بأن " كل وعي هو مسألة لغوية بالأساس " ، و كذا من زاوية بحثه في اللغة عن لغة معبرة ، خارجة عن الزعم بامتلاك القدرة على التمثيل النهائي ، و هو بذلك يقسم الكتابة الفكرية في عمومها – محاولا في ذلك الابتعاد عن التجنيس – إلى جيدة ورديئة .

فالجيدة تتمظهر بطبيعتها و بأمشاجهـــــــا الناتجة عن إلهـــام سرمدي حاصل في العقـــــــل و القلب و الروح ، في حين تعرف الرديئة بضحالتها و سطحيتها و تقنيتها الزائدة التي تبقيها منفية خارج إطار الجسم [1].

بيد أن اهتمام رورتي بالكتابة سواء على مستوى التنظير أو على مستوى الكم حسب ما يوحي به إنتاجه المعرفي ، يعود بالأساس إلى فعل القراءة .

فأن تكون كاتبا يعني أن تقرأ كثيرا لتنتج نصا نوعيا ، و هي السمة المتفردة التي توحي بالخصوبة المعرفية التي حازها رورتي و التي تعبر عن سعة ثقافته ، إذ أن قراره المبكر ليكون كاتبا هو في الوقت نفسه قرارا ليكون قارئا .

(1) Ibid., P 201 .

لقد أعلن رورتي الخروج من شرنقة ملامح الكتابات الفلسفية السابقة ، خصوصا تلك المتأثرة بالعلم في معناها الدقيق لصالح كتابة أخرى تجعل منها مغامرة بنائية لتصفيف المفردات و تحويلها إلى كائنات مفاهيمية ، و في الوقت نفسه تفكيك البناء لصالح فهومات متجددة تروم حل المعادلة الصعبة بين التنظير و الممارسة ، ليكون الهدف في نهاية المطاف صادرا عن الحياة بمعناها الملموس و عائدا إليها [(1)].

إن محاولة رورتي لجعل الكتابة الفلسفية خارج نمطية التقليد الألماني المؤسس على الصرامة العلمية لصالح التوجه نحو الأدب ، هو اعتراف بخصوصية الواقع و تشكيلاته المتنوعة و كذا بالطبيعة التي أبرز علاقته معها أثناء حديثه عن زهر الأوركيد ، و كذا احتفائه بالمناظر الخلابة التي تخلق لديه صفاء ذهنيا فريدا يساعده

على الكتابة عن الكلمات و الأشياء ،عن المستحيل ، البعيد و الغائب ...الذي لا يمكن اقتناصه بسهولـــــــــة و هو بذلك يقترب من التصور النيتشوي المعبر عنه في نصوص نيتشه التي لازالت تطرح تلك الغواية و ذلك الإغراء الذي لا يمكن الفكاك عنه ، و الذي يجعل الكتابة فعل تحرر باتجاه الخلاص و الحلم [(2)].

و بمواقفه السابقة يكون رورتي قد أعلن نهاية نمط الكتابة المؤسس على الصرامة المنطقية لصالح مقاربة جديدة تقوض الأبعاد الثنائية لتصورات فلسفية سابقة لصالح سياقات سردية و شاعرية ، تعطي للبلاغة و التورية أهمية بالغة دون أن يعني ذلك

---

(2) Shusterman Richard , **Practicing Philosophy : Pragmatism and the Philosophical Life** , Routledje Edition , New York and London , First Edition , 1979 , P 02 .

(1) طاهر علاء ، **الخوف من الكتابة : الحياة و التجربة الكتابية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 2003 ، ص ص 205 ، 206 .

الارتداد على المستوى اللفظي الذي تكون فيه الغلبة للدال على حساب المدلول ، الأمر الذي سيؤدي للوصول إلى مثلبة اللفظية Verbalism و التي تعني عدم الانسجام بين المعنى و اللفظ ، أي اقتران ضآلة الأفكار بقوة اللغة [1].

إن مقاربة رورتي في الكتابة تحيل إلى تصور جديد يسعى لاختراق الحدود و هتك الحجب بين المعرفة و الأنماط اللغوية المبرزة لها في سياق تهكمي مجازي يمتحن فيه الكاتب قدراته على تشكيل الخطاب الجديد بعد عملية القراءة و الإنصات وفق ما تمليه شروط المحادثة كعملية مستمرة .

علما أن تشكيل الخطاب الجديد يعد مهارة فنية بالأساس ، بالنظر إلى العائق الأبرز الذي اعتبره رورتي عائقا جديا يشكل عقبة كأداء أمام التصريف اللغوي المأمول ، على الرغم من إعترافه باستحالة تمكن الإنسان التام من اللغة و هو الأمر الذي تظهره تقنيته في الكتابة الفلسفية المرتبطة أساسا بالوصف و إعادته .

لقد تجسد هذا العائق – حسب رورتي – في محالة البراغماتيين البحث عن حجج مناقضة للفلسفة بلغة غير فلسفية ، إذ أنهم لو استعملوا لغة غير فلسفية باتجاهها نحو الأدب فإنهم سيتهمون بتغيير الموضوع ، في حين أن استعمالهم للغة أكثر فلسفية

---

(2) جعفـــــــــر عبد الوهاب ، **الفلسفـــــــة و اللغة** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، مصر ، ط 2 ، 2004 ، ص 11 .

سينمي الإدعاءات الأفلاطونية غير المتوائمة مع الموضوعية التي يسعى البراغماتيون إلى بلوغها [1].

وهو الهدف الذي سعى رورتي إلى تجسيده داخل إطار مشروعه النيوبراغماتي خصوصا على مستوى التنظير و الكتابة و الكلام .

الفصل الرابـــــــع

(1) Rorty Richard , **Conséquences du Pragmatisme** , P 15 .

<u>الفصل الرابع:</u> الدين والسياسة في البراغماتية الجديدة

<u>المبحث الأول:</u> فلسفة الدين عند رورتي

الدين في شكله العام علاقة بين الزمني و الأبدي ، العارضي و المطلق . و عادة ما يعرف بوصفه ارتباطا روحيا بين الإنسان و سلطة مفارقة له ، يعترف بقدرتها و

يقر بإمكاناتها في تشكيل حياته و تحديد مصيره ، مما يجعلها قمينة عنده بالولاء و الطاعة .

بيد أن العلاقة بين الفلسفة والدين شديدة التعقيد من منطلق نسبة التحديد ، بمعنى سيطرة إحداهما على الآخر حينما نتناول الفلسفة برؤية دينية أو الدين بمنظور فلسفي .

لذلك لم يستطع رورتي إغفال دور الدين و سلطته ، إن على مستوى الخطاب المعرفي بغية تفكيك آلياته أو على مستوى الممارسة بالشكل الذي يتحول معه – حسب رورتي – إلى عائق أمام المحادثة الفلسفية .

لقد عالج رورتي سؤال الدين من خلال إرث الحضارة الغربية مستفيدا في ذلك من إسهامات جيفرسون ، جيمس ، ديوي و وايتمان بغرض إنشاء التصور الديني الأنسب لمشروعه الفلسفي المتمثل في البراغماتية الجديدة .

لقد اتجه رورتي نحو علمنة الثقافة و بالتالي إلى إزالة كل نمط من التفكير يسعى نحو التأسيس ، حجته الأساسية في ذلك " أن البحث عن الحقيقة المطلقة يجب أن يهجر في عالم مؤقت " .

أولا : مفهوم الدين عند رورتي

I – البعد الإنساني للدين

لا يفهم رورتي الدين الحقيقي إلا بوصفه إيمانا بقدرة الإنسان على التغيير و كذا نضالا لصالح سعادة الإنسانية ، ساعـــــده في ذلك طبيــــعة الجو الأسري الذي عاش فيه ، و الذي أمده بنمط معين من الإيمان ، فقد كانت البداية – كما يقول في سيرته الذاتية – بالاعتقاد بأن الشخص اللبق لابد و أن يكون اشتراكيا محاربا للظلم الاجتماعي .

وهو الأمل الذي عبر عنه رورتي برغبته أن يكون صديقا للإنسانية ، مما جعله يساند الديمقراطية كحالة اعتقاد ، زيادة على رفضه للستالينية و النازية.

كما وجد رورتي من الأوركيد البري – أو زهر الملوك كما يسمى – النموذج الأنسب للطهارة و الصفاء كحالة مفارقة تتجه نحو التعالي .

و على الرغم من اعتراف رورتي بالطبيعة الاجتماعية للدين بوصفه تقليدا و ممارسة للتعاليم و الطقوس من طرف جماعة إيمانية [(1)]، إلا أنه في الوقت نفسه يرفض التصور الاجتماعي كمبرر للانغلاق ، بحجة تحول الدين داخل هذا السياق إلى ممارسة عنصرية لا تؤدي الغرض من الدين المرتكز على البعد الإنساني و الذي لا يتباعد كما يقول رورتي عن البحث عن الانسجام مع الآخرين تماشيا مع تصور هابرمارس للعقل التواصلي [(2)].

يرى رروتي أن الضرورة الفلسفية تقتضي السعي الدائم لفهم الديانات القائمة على أساس إثني أو عنصري ، الأمر الذي يدخل في إطار غاية فهم العالم القائم أساسا على تفكيك البنى المقوضة للتصورات الديمقراطية الليبرالية المتجددة كلحظات مناسبة لما ينبغي أن يكون عليه التقدم .

---

(1) Richard Rorty **, Philosophy and Social hope** , P 169 .
(2) Ibid , P 149 .

و هو في ذلك يعيد بعث التصورات الإنسانية التي انبثقت خصوصا مع القدرة الإحيائية كمحاولة لتخليص الإنسان من التحديدات الجبرية التي تحدد سلفا معطاه الإيماني لصالح نظرة تعتمد على الفعل و ترتكز على الحـــــــــرية و الإبـــــــــــداع متـــــخذة الإنسان نقطة البدء و المنتهى [1].

و الواقع أن رورتي يركز في فلسفته للدين على الإيمان بقدرة الإنسان على الفعل ، وهو يقتفي في ذلك آثار وليم بارد فورد (1657 – 1590) William Bradford الذي كان يدعو على ظهر سفينة زهرة ماي May Flowers و في بدايات الإستيطان الأمريكي إلى تمجيد الفعل باعتباره أساس الكينونة و الوجود .

كما يقيم رورتي الإيمان على المحبة و الأمل و التضامن وفق سياق براغماتي يعطي للديمقراطية الليبرالية أهمية بالغة ، و هو بذلك لا يفصل الدين عن السياق القائم على الحرية ، في إطار رومانسي علماني يحتفي بمقولة جيفرسون عن التعدد الديني بالشكل الذي يشعر أفراد المجتمع بالتنوع المؤدي إلى قوة التسامح القائمة على نسبية المعرفة .

و من ثمة فإن البعد الإنساني للدين عند رورتي هو اتجاه لتقويض كل محاولة لجعله وسيلة لتحقيق غايات فردية إجرائية ، إذ أن المقصد ليس حالة ثيوقراطية ، بل هو أمر لا ينفصل عن الرغبة في علمنة الحياة الاجتماعية كما تحدث رورتي ، في إشارة منه إلى وجه الاتفاق مع هابرماس ليكون الهدف هو جعل المواطنين أقل تعلقا بالتقاليد و بالتالي أكثر رغبة في التعامل الفعلي مع الأفكار و المؤسسات الجديدة [2].

و هو الهدف الذي ينسجم مع طبيعة التصور المعرفي الذي جاءت به براغماتية رورتي الجديدة سواء في منطلقاتها النظرية أو مجالاتها للتطبيق ، خصوصا و أن التشكيل

---

(1) Lamot Corliss , **The philosophy of Humanism** , Eright Edition , Humanist press , Amhrest , New York , 1997 , P P 13 , 14 .
(2) Richard Rorty **, Philosophy and Social hope** , P 168 .

المفتوح الذي يتعامل من خلاله مع المفاهيم و الإشكالات لن يستقيم حضوره إلا في ظل نزوع نحو التجدد و درء التأبيد .

إن تفصيل رورتي في البعد الإنساني للدين لا يتشكل بعيدا عن فهمه لنمط و خصائص المجتمع الديمقراطي الذي يعلي من شأن جانبه المدني و بالتالي جملة الحقوق و الواجبات التي يحوزها المواطن بصفة انتمائه للدولة المدنية بغض النظر عن تقفيه و إيمانه بصيغة حياة لدين معين ، و بالتالي فهو يركز على البـــــعد الإنســـاني المتماهي مع قبول الآخرين و الإيمان الفعلي بمبادئ الحرية و المساواة و كذا احترام مشاعر و معتقدات الآخرين ليس كفضيلة النية فقط و إنما لضرورة مطلبية العيش المشترك و كذا القوانين المدنية المنظمة لحياة المجتمع .

إن البعد الإنساني للدين في نظر رورتي لا يحيل إلى رفض الخصوصيات الدينية ، بل هو تأكيد عل العلاقة بين فلسفة الدين التي هي شديدة التعقيد من منطلق الاختلاف المنهجي بين التفكير الفلسفي القائم على النقد و الاستدلال بمقابل معطى الإيمان في التفكير الديني ليصبح دور الفلسفة معمقا للتجربة الدينية كحالة فردية لا تتجه نحو فرض معتقداتها على الآخرين ، خصوصا و أن رورتي لا يفصل التدين عن الوعي المنفتح ، إذ أن المثقف الحقيقي – كما يقول – هو الذي ينظر إلى الدين حسب تصور وايتهايد على أنه " ما نقوم به في عزلتنا أكثر مما نقوم به مع غيرنا " [(1)].

و بالتالي فإن الفهـــــــــــــم الفلسفي للـــــــدين كحـــالة شاعرية باعثـــــــــــة على القـــــدرة على الأمل و الإيمان و الحب هو في الوقت نفسه محـــــــــــاولة لإحداث المـــــــــــــــواءمة بين الرومانسية و العلمانية بالشكل الذي لا يعطي أية فرصة لمبرر التمييز على أساس ديني ، ومن ثمة محاولة تحجيم دوره عن طريق عدم

(1) Ibid , P 169 .

الاعتراف بأي شكل من أشكال المقايسة بين الخطاب البراغماتي و الديني و هو الأمر الذي يتماهى مع الإطار العام لمشروع رورتي البراغماتي الذي يندد بكل فلسفة ماهوية تعالج الفكر كهبة إلهية [1].

و الواقع أن رورتي لا يعتبر التدين مشكلة إذ ما بقي في حدود اعتباره حقا فرديا يسمح للفرد بتفسير علاقته مع قوة أو قوى مفارقة ، وبذلك يرفض كل حكم ثيوقراطي يدعو إلى الاستغراق المفرط في الميتافيزيقا و إبراز ذلك في التعاملات مع الآخرين .

و هو في ذلك يتجاوز موقف وليم جيمس في إقرار هذا الأخير بحيادية البراغماتية على المستوى الديني من خلال عدم تقديم توصيف محدد لدين معين [2].

هذا لا يعني أن رورتي يرفض الأشكـــــــــــال الدينيـــــــــــــــة التي يبرزها الأفراد عبر الطقوس و الشعائر بل أنه يعتبر التدين حق من حقوق الإنســــــان مادام في إطاره الداعي إلى التفتح و التسامح و كذا تمجيد الحرية .

إنه في ذلك يقدم توصيفا لنمط الدين الأنسب لمشروعه البراغماتي ، في شكله المدني الرومانسي كحالة علاج بالمعنى الفتغنشتايني ، و كوسيلة لمحاربة العزلة بغرض تحقيق التضامن .

و هو في ذلك يقتفي طريـــــــــــــق والت وايتمان و جون ديوي في حديثهما عن الدين المدني و كذا دين الديمقراطية أو " الرومانسية المتعددة الأوجه " المؤدية في شكلها العام إلى العدالة الاجتماعية .

---

(1) Hottoi Gilbert , **De la Renaissance a la Postmodernité : Une Histoire de la Philosophie Moderne et Contemporaine** , P 477 .
(2) Hardwich Richard and Donald Crosky , **Pragmatism , Neo – Pragmatism and Religion ,** P 87 .

و هو الطريق الذي ساعده على ربط الدين المدني كما تصوره بالتاريخ الأمريكي و كذا الأمل الليبرالي و بالمؤسسات الديمقراطية من زاوية الإيمان بالاختبارات المستقبلية كحالة إبداع و ليس مجرد التأمل في السرمدية ، الأمر الذي عبر عنه رورتي بالقول بأن " أمريكا ستعوض دين الخوف بدين الحب " [1].

إن التصور الفلسفي للدين عند رورتي قائم أساسا على مركزية الإنسان ، بمعنى خدمة هذا الدين المدني للمشاريع الحياتية التي يبني عليها الإنسان وجوده ، و بالتالي فإن معاني الأشياء في نظر رورتي لا تنتج أساسا من بني فوقية سرمدية ، بل من خلال فعل التكيف المتعلق أساسا بارتباط الحياة و الواقع [2].

لذلك لا ينف رورتي الإيمان ، غير أنه يشترط سمة الإنسانية ، فضرورته تكمن في تنظيم أفعال الإنسان ، و كذا مده بالأمصال التي تساعده على استمراريته في الحياة ، فقبولنا أو رفضنا لطبيعة اعتقاد ما – يقول رورتي – عائد أساســـــا إلى فكرة ما يستحـــــــــق التضحية لأجله [3].

و إذا كان الدين حق من حقوق الإنسان عند رورتي إلا أن الأمر لا يشير بأي شكل من الأشكال إلى تمجيد الجمود و الانغلاق أو اعتباره أساسا للعنف ، بل أن مسألة الحق متعلقة بالاقتناع بالتنوع المتأتي من إدراك أن ما هو مناسب لشخص أو جماعة من حيث الاعتقاد يختلف مع ما هو مناسب للآخرين [4].

كما يشير رورتي إلى تحسن العالم الغربي في المسألة الدينية ، ففي العصور السابقة كان تصور الأشياء في معظم الأحوال سلبيا من منطلق تناولها بالاكتفاء بالكلام إضافة

---

(1) Rorty Richard , **Achieving Our Contry ,** P 17 .
(2) Rorty Richard , **Contingency , Irony and Solidarity ,** P 45 .
(3) Ibid , P 189 .
(4) Richard Rorty **, Philosophy and Social hope** , P 149 .

إلى تناول هذه القضايا استنادا إلى قوى خارجية بعيدة كل البعد عن القدرات الفردية ، زيادة على ذلك فقد تحصل الجسد على الأحقية في التناول كعامل له حضوره في مختلف المقاربات المعرفية وقد عادت نتيجة هذا التغيير إلى زعزعة الاعتقاد الديني السابق الذي كان يعطي للروح النصيب الأوفر [1].

إن اعتبار الدين حقا من حقوق الإنسان في نظر رورتي هو سعي لتعميق التجربة الإنسانية و اعتـــــراف بدوره كمحرك قوي للحياة في أشكالـــــــها السياسيــــــة و الاقتصادية و الثقافية .

و إدراكا بأن ثمة أنماطا مختلفة من الحياة تفرضها الأديان ، زيادة على تكريس فكرة اللامفكر فيه (الطابو) Taboo كفضاء معرفي خارج عن دائرة التفكير و الوصف .

بيد أن براغماتية رورتي الجديدة و إن كانت تعطي للفرد أحقية الانتماء لأي دين شاء ، فإنها بالمقابل لا تمنع من مناقشـــــــة المسلمات الدينية ، بالشكل الذي يدرء منطق التسليم و القبول و التصديق في إدراك و امتلاك الحقيقة الواحدة و المطلقة .

و هو التصور الذي ينسجم مع الطروحات الديمقراطية و مبادئ حقوق الإنسان العالمية التي تعارض التميز على أساس ديني و تدعو إلى الإيمان بالاختلاف بالشكل الذي يسمح قبول سلوكات الآخرين و احترام مشاعرهم في جو مفعم بالمحبـــــة و القدرة على التجربة و تجسيد الأشياء و التي هي عينها القدرة على الأمل [2].

II – الدين عند رورتي : بين أمداء الرومانسية و آفاق الأمل الاجتماعي

(1) Ibid P P 162 , 168 .
(2) Ibid , P 161 .

يحتفي رورتي بالشعر ليس فقط كاقتناص للحظة الهاربة و التعبير عنها لغويا و إنما كحالة وجودية تبحث عن الأنسب ، وتتخطى مختلف الأمداء المتعارف عليها بإعادة التشكيل وجودا ولغة .

فالشعر في نظر رورتي سيستمر في لعب دور بالغ الأهمية ، لأنه يشكل اللغة التي نتكلم بها و الأسئلة التي نطرحها و كذلك الإشكالات التي نفكر فيها و التي تستحـــــــق الحــــــــــــل ، و على المستوى الأنطولولجي إنه مجلب العزاء للأرواح المتدنية ، و بشكل عام يرى رورتي أن الشعر هو البديل الحقيقي للدين بمعناه التقليدي [1].

فالشاعرية – أو ما بعد الميتافيزيقا أو الرومانسية – في نظر رورتي هي محاولة للبحث عن أرضية مشتركة للتفكير ، كثقافة تساعد الإنسان على إيجاد حياته الخاصة و إعادة تشكيليها بنفسه ولنفسه داخل السيـــــــــــاق الاجتماعي أكثر من اعتباره مسؤولا أمام قوة مفارقة [2].

فالإنسان في نظر رورتي هو مشروع أكثر من اعتباره ماهية بحكم إرادة التوجه نحو المستقبل ، و بالتالي إبراز قيمة الأصل خصوصا في شقه الاجتماعي ، و على الرغم من أن رورتي يوافق غودمان (Nelson Goodman) في أن هناك عدة طرق للوصول إلى الأصل الإنساني و بالتالي إلى السعادة ، إلا أن احتفاءه بالأمركة كمرادف للأصل بدا واضحا من خلال الأساس الفلسفي القائم على المستقبل الذي تأسست عليه أمريكا ، فأمركة الفلسفة في نظر ديوي و جيمس هو تحويل المعرفة إلى الأصل ، في حين يشير وايتمان إلى أن أمريكا تبرر وجودها بوضعها الثقة في المستقبل [3].

---

(1) Ibid, P 170.
(2) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 46 .
(3) Rorty Richard , **L'espoir au Lieu du Savoir : Introduction au Pragmatisme** , P 32 .

و هو النمط الإرشادي الذي يجعل من إحياء الرومانسية مسألة ضرورية من منطلق اعتبارها بديلا للميتافيزيقا المؤسسة كحالة ماهوية عبر البحث عن الحقيقة المطلقة .

يقر رورتي بأن المثقفين لا يمكنهم العيش بلا رومانسية أو بتعبير الفيلسوف الأمريكي المعاصر توماس ناغل (Thomas Nagel) " الطموح باتجاه الترستندالية " [1].

دون أن يعني ذلك تأسيسا لماهية أخرى . وهو الأمر الذي يجعل من هذا الفهم سعيا لتأصيل الدين بمعناه الإنساني من منطلق قابلية الإبداع ، فالحالة الرومانسية في شكلها العام احتفالية بالارتباط بين الحياة الإنسانية و العالم الطبيعي .

و في الوقت نفسه محاربة للعزلة و بناء للجو العام و العلاقات الإنسانية في إطار المحبة و التسامح ، كما يرى رورتي بالشكل الذي يؤدي إلى تحقيق العلاج من منغصات الحياة بالمعنى الفتغنشتايني ، الليبرالي الساخري [2].

إن هذا الموقف الذي تبناه رورتي هو إقرار بالدور الذي تلعبه الأحاسيس و المشاعر أثناء البحث عن المعرفة بغرض تحقيق ضرورة تشكيل العالم ، و دخولنا في التأويل – بشكل أو بأشكال – أو إعادة اعتبار للغة من حيث تنويعاتها في فهم المسألة الدينية بالشكل الذي يصير معه الدين إيمانا بإمكانات الأخلاق الإنسانية ، بالصورة التي لا يمكن فهمها خارج إطار المحبة و كذا الأمل لصالح الجماعة الإنسانية [3].

و هو الأمل الذي استقاه رورتي من ديوي من خلال دعوة هذا الأخير إلى علمنة الثقافة ، وفق هذا السياق يقول رورتي : " ما وجدته متميزا عند ديوي هو نقده للأفلاطونية ،

---

(1) Rorty Richard, **Philosophy as cultural politics** , P 135 .
(2) Hardwich Richard and Donald Crosky , **Pragmatism , Neo – Pragmatism and Religion ,** P 199 .
(3) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 160 .

للديكارتية و الكانطية و كل أنماط التقاليد الميتافيزيقية التي يعارضها دريدا و هيدغر ، نقده ينبع من بعد اجتماعي يحوز على التفاؤل من منطلق أنه لم ير بأن نهاية الميتافيزيقا

هي مسألة يأس أو عدمية ، لقد فكر بهدوء و أكد بأن نهاية الميتافيزيقا هي بداية الانتهاء من اللاهوت .ديوي كان يرى أن تحرير الثقافة من الاعتبارات اللاهوتية و من التناقضات الميتافيزيقية هي فكرة جيدة ، و كان واعيا بأن الأمر سيأخذ وقتا طويلا لإنهاء علمنة الثقافة " [1].

ثانيا : حدود الممارسة الدينية

I – الدين باعتباره تقويضا للمحادثة

عمد رورتي إلى تخليص الجانب الثيولوجي من سلاحه المتعلق أساسا بالتأكيد على الحقيقة المطلقة ، فمن خلال مشروعه البراغماتي الجديد يحاول أن يلخص الفكر الغربي تحديدا من مختلف المعطيات و التأسيسات اللاتاريخية ، وذلك بالدعوة إلى لبرلة وعلمنة الفكر الغربي ، و هو الأمر الذي يوضحه قوله " بأننا نحاول أن نصل إلى النقطة التي لا نتعامل فيها مع الأشياء بالسرمدية الظاهرة ، حيث نعامل كل الأشياء : لغتنا، وعينا ، جماعتنا من حيث اعتبارها منتجات للصداقة و الحظ " [2].

(1) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 34 .
(2) Rorty Richard , **Contingency , Irony and Solidarity ,** P 22 .

فحسب رورتي يحاول الدين أن يفرض نفسه كمبرر قبلي تأسيسي في الفلسفة ، و هو الأمر الذي يتناقض مع التوجه نحو علمنة الدين بالشكل الذي لا يجوز معه الحديث عن مقايسة بين الخطاب البراغماتي و الثيولوجي ، بمقابل دعوة صريحة إلى التركيز على الإبداع الإنساني أكثر من النظر إلى قوى خارقة لأجل إنقادنا – كما يقول رورتي – أو لأجل إعطاء الشرعية لإبداعنا [1].

و في هذا السياق يوافق رورتي هيدغر بالقول بأن الخوف من القوى الخارقة قد سيطر على الثقافة الغربية منذ عهد أفلاطون بالشكل الذي جعل عددا من التفسيرات تخضع لمعطيات مفارقة ، في حين يبقى الحل – كما يشير رورتي – إلى إبقاء تطبيق الليبرالية أمرا غضا زيادة على العمل الإبداعي المتجدد بغرض عدم توقيف المحادثة [2].

و يعتبر الفعل المحادثاتي عند رورتي – كما الفعل التواصلي عند هابرماس و الفعل الحواري عند غادامار – حجر الزاوية في فلسفته من منطلق اعتباره ركنا أساسيا يتعامل – بضم الياء – من خلاله مع الأفكار و الأشياء ، فالمحادثة عند رورتي هي الوسيلة المثلى لتشكيل الخطاب الجديد ، الذي لا يمكن لأي معرفة فيه أن تدعي سيطرتها على بقية المعارف إلا في حدود ما توفره المحادثة في شكلها النموذجي .

و من ثمة فقد أبعد رورتي مسألة الأخذ بالتجربة الدينية في إطار تقديم المعاني و تشكيل المحادثة بحجة أنها تعطي الأهمية للإيمان على الفعل ، كما أنها لا تستوفي الشروط التي تطلبها المحادثة من خلال التأكيد على الإبداع الإنساني و على المساواة بين

---

(1) Hardwich Richard and Donald Crosky , **Pragmatism , Neo – Pragmatism and Religion ,** P 76 .
(2) Grippe Edward , **Richard Rorty's New pragmatism** : **Neither liberal nor Free** , P 75 .

المعارف بعيدا عن حيازة بعضها لتفضيلات قبلية تجعل من حضورها المعرفي تأسيسا لخطاب شمولي و هو الأمر الذي يستعجل توقيف المحادثة [1].

في هذا الإطار يرى رورتي أن الميتافيزيقا كانت سببا في الادعاء بإمكانية الوصول للمنطلق فيما يتعلق بقضايا الفكر الديني الغربي بشكل خاص بحجة تحقيـــــق العلم الأكمل و المعرفة الأسمى ، و هو الأمر الذي لا يتماشى مع تصور رورتي الذي يندد بكل فلسفة ماهوية ، تعالج الفكر كهبة إلهية .

إن السياق النهائي الذي يتجه إليه الخطاب الديني بحسب رورتي لا يتماشى مع طبيعة اللغة كمجال للتداول المفتوح ، كمـــــــــــــا اقترحه فتغنشتاين – مثـــلا – في ألعاب اللغة [2]، و ذلك بالنظر إلى المبدأ و المقصدية و صدورهما من منطلق الاعتقاد ، و هو الأمر الذي يقوض المحادثة و يعمـــــد لإفشالها ، حينما يكون نمط التبرير أمرا مرتبطا – حسب رورتي – بقوى مفارقة تعوض الإبداع الإنساني .

إن ثقافة ما بعد الفلسفة التي تحدث عنها رورتي – و التي دعا فيها على إنشاء فلسفة جديدة لا تعترف بالماهية المؤبدة و التأسيس الدائم ، شريطة أن تقوم في الوقت نفسه على المحادثة عبر إرساء دعائمها و شروط إنجاحها – تعد في نظره أنسب سياق لقيام ثقافة حقيقية ، كبديل مقترح للدين بمعناه الدوغمائي ، حيث يجد فيها المثقف الوسيلة المثلى لكي يتجه بشكل متجدد نحو العمق بالشكل الذي يبرر فيه عمله و يعطي معنى للحياة [3].

---

(3) Richard Rorty , **Philosophy and Social hope** , P 171 .
(1) Hardwich Richard and Donald Crosky , **Pragmatism , Neo – Pragmatism and Religion ,** P 258 .
(2) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P 14 .

و لن يكون ذلك بعيدا عن الشعر و لغته ، فالشعر في نظر رورتي سيكون البديل الأساس للدين ، و سيستمر الشعراء في لعب دور قوي في المجتمعات المعاصرة ، لأنهم سيساهمون بثقافتهم في تشكيل اللغة التي نتحدث و نكتب بها و كذا الإشكالات المعرفية التي نعمد لحلها .

II - علاقة الدين بالسياسة

يبدو أن لريتشارد رورتي موقفا صريحا فيما يتعلق بعلاقة السياسة بالدين و ذلك من خلال دعوته إلى إبقاء الدين خارج السياسة و الدعوة على عدم انفتاح السياسة على الدين إلا في حالة الحاجة إليه لذكر المصادر الدينية أثناء التبرير [1].

إن جلب الدين في المحادثة العامة و المناقشات السياسية سيؤدي في نظر رورتي إلى تحطيم المناقشات الديمقراطية ، و هو الأمر الذي لا ينسجم مع إطار ثقافة ما بعد الفلسفة حينما يشعر الفرد بحريته و إنعتاقه .

و يقترح في هذه المسألة حين عدم استطاعتنا لدرء القناعات الدينية في التأثير في المواقف و الاستنتاجات السياسية ، علينا بتقوية الاقتراح الجيفرسوني بضرورة الأخذ بالحرية لصالح الحرية بمعنى فصل بين ما هو سياسي و ما هو ديني من منطلق اعتبار الدين مسالة شخصية ، وذلك من اجل ضمان إنسانية الثقافة و الحرية [2].

إن نتائج البراغماتية عند رورتي هي إنهاء للدين بمعناه الدوغمائي ، فالأمر في نظر رورتي لا يتوقف في حدود مشروعه الفلسفي فقط ، و إنما يتعداه إلى السمة الغالبة من

---

(1) Richard Rorty , **Philosophy and Social hope** , P P 171 , 172 .
(2) Grippe Edward , **Richard Rorty's New pragmatism** : **neither liberal nor Free** , P 75 .

الفلسفات التي تشهدها أمريكا في القرن الحالي و التي تختلف و تنفصل عن الدين في شكله المجسد تحديدا مع ثبات العقيدة المسيحية [1].

و علــى الرغم من اعتقـــــاد رورتي بأن علمنة الثقافــــــة كانت أمرا مرتقبا نتيجة تطور العلم [2] ، إلا أن تحقق ذلك في نظره ليس أمرا يسيرا ، لعدة منطلقات لعل أهمها أن الدين يمكن اعتباره أقدم منبع للتفكير الإنساني من منطلق أن التجارب الدينية تأسست على أزمات و حالات وجوديـــــة كالموت مثـــــــــلا و كـــــــــذا الطابــــع الاحتفالي في الميلاد و الزواج [3].

لذلك فإن مسألة اعتباره حرية شخصية قد تتمازج عند الكثيرين بالرغبة في توظيفه السياسي خصوصا ، و هو الأمر الذي لا يتماشى مع براغماتية رورتي الجديدة التي تحذر من شمولية الطرح التأسيسي في تضييقه على الحالة الإبداعية في العمل الإنساني المبني على الحرية ، و كذا إلى تنميط السياسة في إلغاء البعد التاريخي الذي يجعل منها معرفة متجددة.

إن توجه المتدين إلى إبقاء تفكيره ضمن إطار الاعتقاد بالشكل الذي يورث فيه أشكالا معرفية محددة سلفا – في نظر رورتي – هو هروب من منطق التاريخ القائم على الصيرورة و التجدد و بالتالي إقرار بسيطرة الماضي على حساب المستقبل .

---

(3) Richard Rorty , **Conséquences du Pragmatisme** , P 396 .
(1) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P 15 .
(2) Nisbet Robert , **The social philosopher** , Washington Square press publication , New York , 1983 , P P 69 , 70 .

و هو الأمر الذي سيؤدي إلى سيطرة المنطق الثيوقراطي الذي يحتفي بالاعتقاد بعدم جدوى عناء التفكير بالنسبة للمساقات المعرفية الأخرى طالما أن الحقيقة محددة سلفا عبر أوصاف مأمولة تحدد طبيعـــــــة الإنسان و المجتمع من خلال إحداث المماهاة بين السياسة و الدين ، بالشكل الذي يضر وفق تصور رورتي بالسياسة و الدين على حد سواء ، إذ

لا عمق في الدين – بحسب رورتي – إلا في فرديته و لا نجاح السياسة إلا في إطار العلمانية ، هذه الأخيرة التي لا يمكن أن تتحقق دفعة واحدة ، بل هي نتيجة جهود شاقـــــــة و عسيرة ، و هو الأمر الذي يوضحه رورتي بقوله : " إن كتابا واحدا لا يكفي لإزالة اللاهوت كجزء مرتبط بالحياة الثقافية الغربية ، و لا إنسانا واحدا ، و لا حتى جيلا ، و لا حتى قرونا " [1].

(1) Richard Rorty , **Conséquences du Pragmatisme** , P 112 .

<u>المبحث الثاني : السياسة في فلسفة رورتي</u>

غالبا ما تحيل السياسة كعلم و تطبيق لمرتبة الريادة بين العلوم من حيث حيازتها للسلطة ، إذ أنه و في ظل سياسة معينة يمكن رسم و إعادة رسم خارطة العلوم المهمة ، من خلال مدى قربها و بعدها من المنظومة السياسية السائدة في عصر معين .

زيادة على ذلك تبدو المسألة السياسية بالغة التعقيد من حيث إثارتها لجملة لا نهائية من الإشكالات التي تتطلب مواقف قد تصل أحيانا درجة التناقض .

و على سبيل المثال علاقة السياسة بالدين أو سقف الحرية التي ينبغي ضمانه و كذا طبيعة و نمط الخطة الاقتصادية و الثقافية التي ينبغي تقفيها .

لذلك اتجه بعض الفلاسفة إلى فرض شروط قاسية على المعرفة السياسية خصوصا من زاوية تطبيقها ، إذ أن أي خطأ أو انحراف يمكن أن تكون عواقبه وخيمة بالشكل الذي يهدد الأمن و السلم أولا .

و الملاحظ أن اهتمام رورتي بالسياسة واتجاهه نحو المسائل الأخلاقية و الاجتماعية بدأ يظهر خصوصا في أعماله المتأخرة ، و سبب عائد إلى تحوله المعرفي و كذا إلى جملة التغيرات التي كان يشهدها العالم ، و هو الأمر الذي جعل من البراغماتية الجديدة مشروعا سياسيا أيضا .

أولا : الجوانب الليبرالية في فلسفته

I – البعد الديمقراطي لليبرالية رورتي

من زاوية الاشتقاق تحيل الليبرالية إلى الحرية ، أما على الصعيد الفعلي فهي كتوجه سياسي يتمثل مطالبا تتعلق أساسا بالحق في الحرية و تحطيم مختلف العوائق التي كانت تقف حائلا أمام الأفراد في تحقيق الحقوق و تحصيل الانعتاق .

و هو الأمر الذي رغب في تحقيقه فلاسفة الليبرالية من خلال العمل على ترويج الأسلوب العلمي و الانفتاح الفكري إضافة إلى التأكيد على الحق في المســـــاواة و العدالة و الملكية و التفكير و المعرفة بالقانون (1).

لقد عمدت الليبرالية إلى الاستفادة من تجارب الماضي ، وفق حركية تعمد إلى تقليص و إبعاد جملة الصعوبات و المسدات التي كبلت الإنسان اعتمادا على منطلقين أساسيين حيث تم استيعاب النزعــــــــة الفردية كأساس فلسفي في حين اعتبرت الحرية جوهر الليبرالية (2).

و إذا كانت الليبرالية تمثل ردا على ما حيق بالإنسان الأوروبي من اضطهاد فإنها قد تتحـــــــــــول إلى إيديولوجيا مغلقة حينما تبقى رهينة للأفراد الذين يحددون مجال تطبيقاتها .

لقد تجسد الاتجاه الليبرالي عند رورتي منذ قناعاته الأولى بضرورة الديمقراطية فيما اعتبره تجسيدا للموت على حساب أن يكون نازيا (3).

إن الليبرالية عند رورتي هي الشكل الأنسب لتجسيد الديمقراطية بل أن مشروعه البراغماتي الجديد هو إحالة إلى الديمقراطية اللبرالية باعتبارها الأثفية الأساسية لكل معرفة و تقدم .

---

(1) أبو جابر فايز صالــــح ، **الفكر السياسي الحديث** ، دار الجيل بيروت ، مكتبة المحتسب ، عمان ، 1985 ، ص 55 .

(2) قنصوة ياسر ، **الليبرالية – إشكالية مفهوم** ، دار قباء للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2004 ، ص 09 .

(1) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P 08 .

كما يقارب رورتي بين الديمقراطية الليبرالية و البراغماتية من جهة و كذا أمريكا من جانب آخر ، ففي نظر رورتي إن ديوي لم يكن مخطئا حينما وصف البراغماتية بأنها فلسفة ديمقراطية [1] ، زيادة على محاولاته لفهم تاريخ أمريكا في علاقاته مع معنى الحياة الإنسانية ، فالديمقراطية الحقيقية في نظر ديوي – كما يقول رورتي – لا يمكن أن تعني سوى أمريكا المكتملة [2].

و هذا الاحتفاء الذي يظهره رورتي للبراغماتية و أمريكا في إيجاد الديمقراطية بمعناها الليبرالي لا يتباعد عن مضمون العقلية التطبيقية التي تعطي للأمل في الحياة السياسية أهمية بالغة – على حساب المعرفـــــــــة في أحيان كثيـــــــــرة – للوصول إلى تحقيق السعادة و الرخاء ، و هو الفهم الذي جعل رورتي يعطي أهمية بالغة للمحافظة على المؤسسات الليبرالية كضمان للديمقراطية ، وذلك بتجنب وقوعها تحت طائلة طروحات شمولية تسبب الألم للإنسان ، إذ أنه لا مجال لفهم العمل الليبرالي إلا من خلال حضور الدافع التحرري و التأكيد على استقلال الإنسان ، و من ثمـــــة فـــــــإن تحقق البعــــــــــــد الديمقراطي

لليبرالية – بحسب رورتي – لا يكون إلا من خلال توفر شرط العلمانية بفصل السياسة عن الدين و كذا بالتركيز على الطبيعة الإنسانية لليبرالية وهنا يبرز دور الدولة الليبرالية المضاعف في إنقاص المعانــــــــــــــاة بمعنى توفيــــــــر جملة

(2) Rorty Richard , **L'espoir au Lieu du Savoir : Introduction au Pragmatisme** , P 13 .
(3) Rorty Richard , **Achieving our country ,** P 17 .

المستلزمات التي يحتاجها الإنسان و التي تحقق لــــــه كرامته ، إضافة إلى ضمانها للحرية التعاقدية بالشكل الذي يكفل حقوق الأفراد و يتيح تطبيق القانون .

لقد جعلت الليبرالية بحسب تصور رورتي من الإنسان محور عملها الأول و هي في ذلك تستفيد من مختلف التجارب الماضية بالشكل الذي يجعل سكان الدولة الليبرالية – كما يرى جيلبرت أوتوا – محظوظين من حيث غياب التشكيلات التوتاليتارية التي رسمت العناوين السياسية في التنظيمات السابقة كالقوى المفارقة و التاريخ و العقل ، لتحل المغامرة و الاستفادة من التجربة كبديل ضروري لمثالب حقب زمنية متعددة (1).

وفي السياق نفسه يرى رورتي بأنه يستحيل علينا كأفراد أن نخرج من أجسادنا و نغادر تربتنا في إشارته للحالة الليبرالية كفعل و نتاج للتقدم و ليس استغراقا في التنظير و اكتفاء بالتأمل .

و بالتالي فالضرورة تقتضي بحسبه أن نحتفي دائما بالأشخاص ليس لأنهم يحوزون على سر ، و إنما لأعمالهم الجليلة في فائدة الصالح العام و كذا لاتسامهم بصفات إنسانية معبرة (2).

و طالما أن الإيديولوجية الليبرالية – في نظر رورتي – قد أرست تقاليد في الحياة الأمريكية ، فإنه ينبغي ممارسة الصيرورة العقلانية بمفهوم هابرماس من أجل مراقبة

---

(1) Hottoi Gilbert , **De la Renaissance a la Postmodernité : Une Histoire de la Philosophie Moderne et Contemporaine** , P 482 .
(2) Rorty Richard, **Conséquences du Pragmatisme** , P 56 .

الصرح الليبرالي و الحفاظ عليه بتطوير آليات ممارسته ، مع الدعوة لليقظة بالمحافظة على حقوق المحرومين و الضعفاء .

دون أن يعني ذلك دخولا في منطق الاستبداد ، فرورتي يرى أنه من التناقض أن نفرض الديمقراطية على الرجل و المرأة ، بل ينبغي دفعهما إلى مجال أرحب من الحرية عبر الإقناع و المحادثة [1].

إن الليبرالية التي يدعو إليها رورتي لا تجعل من الفيلسوف حاكما كما اتجهت إلى ذلك بعض الفلسفات السياسية ، و إنمـــــا تؤهله ليكون مستشارا أو شارحا ضمن تشكيلة المحادثة ،و هو الأمر الذي ينسجم مع التصور العام في أولوية الديمقراطية على الفلسفة .

II - أولوية الديمقراطي على الفلسفي

حجة رورتي الأساسية في قضية أسبقية الديمقراطية على الفلسفة تتمثل في أنه لا يمكن الحديث عن الفلسفة في ظل غياب الديمقراطية .

و الواقع أن هذا التصور يعود إلى ذلك الافتراق الذي عادة ما يذكره بعض مؤرخي الفلسفة بين الفلسفة اليونانية التي تطورت في ظل توفر حرية التفكير و التعبير ، بمقابل تعذر ذلك في مصر القديمة .

---

(1) rman j , Seatkamp jr , **Rorty and pragmatism** , P P 204, 205 .

إن ثقافة ما بعد الفلسفة في تصور رورتي تستند أساسا إلى الأجواء الديمقراطية المتوفرة و التي تسمح للأفراد بالتعبير عن تمثلاتهم دون إكراه أو تحفظات قبلية ، مما يمكن المحادثة من تطويـــــــر آلياتها بالشكل الذي يسمح للفاعلين الاجتماعيين من اختيار أنجح الحلول .

و مع ارتباط الديمقراطية الحقيقية بالمؤسسات فإن ذلك سيضمن للأفراد درء الخوف بشكل مؤسس طالما أن ثمة مؤسسات تحافظ على بقائها رغم أفول الأجيال ، و هي الضامن الوحيد لشعور الإنسان الغربي – كما يرى رورتي – بحريته و استقلاليته .

و لفهم تبرير أولوية الديمقراطية على الفلسفة ينبغي العودة أساسا إلى تصور رورتي للفلسفة من جهة و علاقتها بالسياسة من جانب آخر .

إن الشكل الجديد للفلسفة الذي تحدث عنه رورتي يجعل منها صنفا معرفيا أكثر قربا من الآداب و الفنون ، حيث تساهم الفلسفة في حل مشاكل الإنسان و فهم طبيعته دون أن يعني ذلك الادعاء بالتفرد عن بقية المساقات المعرفية الأخرى ، فالفلسفة في نظر رورتي لا تختلف عن أنماط المعرفة الأخرى بتفضيلات قبلية دون أن يعني ذلك نهايتها ، بل يرتبط الأمر أساسا بإبعاد الهالة التأليهية و الحالة الكهنوتية عن الأشخاص الذين يتعاطون الفلسفة ، لأجل إقصاء شعورهم بالنخوة و الفخر و بالتالي توفير أجواء متعادلة للمساقات المشاركة في المحادثة (1).

(1) Rorty Richard , **L'homme spéculaire** , P 430 .

للإشـــــــارة فـــإن رورتي في موقـــــــفه هذا لا يختلـــــــف عن مواطنه جون راولس (1921 – 2002) John Rawls في إقرار هذا الأخير بوضع الديمقراطية السياسية أولا و الفلسفة ثانيا ، و هو الاحتفاء الظاهر في مقال يحمل الموقف صراحة و المتمثل في أسبقية الديمقراطية على الفلسفة The Priority of Democracy to Philosophy ، حيث أشار رورتي إلى أن هذه الأسبقية التي يتقاطع فيها مع راولس مسألة واقعية ، بالنظر لأهمية الديمقراطية في معناها الليبرالي و دورها في توفير الشروط الملائمة لإحداث التقدم بما في ذلك تقدم الفلسفة .

بيد أن الديمقراطية في تصور رورتي لا تعني إخراجها عن السياق ، و ترك الحرية للأفراد في انغلاقهم على هوياتهم و التعصب لها ، بل العكس من ذلك فالديمقراطية الليبرالية في نظر رورتي تساعد على الابتعاد عن الانغلاق في شرنقة الهويات دون أن يعني ذلك نفي الاعتراف بالاختلاف و الإقرار بالتنوع .

فحسب رورتي إن الاستغراق في مضامين الهوية بالشكل الذي يحيل الأفراد إلى التطرف و الإحساس الفعلي بالسمو أمر يهدد الديمقراطية ، الحرية و العدالة [1].

و يبقى دور الفلسفة هو المساعدة على التغيير من خلال إبداع الذات و هو نمط المعرفة الذي ينادي به رورتي تحت عنوان " السلوكية المعرفية " مستفيدا في ذلك من تمثلات ديوي حول الفلسفة التي يرى أن وظيفتها تكمن في اعتبارها خارطة لسلوك يهدف إلى التغيير .

---

(1) Rorty Richard , **Objectivity , Relativism and Truth** , P 183 .

و لن يكون هذا التغيير بعيدا عن الأجواء القبلية المتوفرة بنشر الديمقراطية كثقافة فاعلة مما يساهم في نزع الصورة التقديسية للفيلسوف بالشكل الذي يتمكن – بضم الياء – فيه من تحطيم النرجسية و التخلص من الوصاية .

إن التصور السياسي في نظر رورتي يغلب عليه طابع الفعل أكثر ، مما يجعل الحاجة إلى التصور الفلسفي في الفعل السياسي مسألة عرضية ، و هو الرأي الذي ذهب إليه ألان مالاتشوفسكي Alan Malachowski في إشارته إلى أن الديمقراطية الليبرالية عند رورتي يمكن أن تتفعل دون الحاجة إلى فرضيات فلسفية مسبقة (1).

إن توفر أجواء الديمقراطية الليبرالية في تصور رورتي يعني في الوقت عينه درء لكل محاولة نزوع نحو التأسيس تقوم بها النظريات السياسية ذات المنشأ الفلسفي ، و بالتالي هي محاولة لدفع العمل السياسي المؤسس على التمثلات الإيديولوجية إلى المعالجة ضمن قاعدة مفاهيمية نقدية – على الشاكلة نفسها التي تحدث فيها هابرماس عن الصيرورة العقلانية – تعطي أهميـــــــة بالغة للعمل الدلالي التداولي على حساب التصورات الثابتــــــــــة و المؤبدة .

و لأجل الخروج من هذا المسد المتمثل في التوجه نحو التأسيس تحدث رورتي عن الساخرية كحالة تجاوز للجدية و الصرامـــــــــــة غير المبررة و المؤديــــــــــة غالبا إلى الفجاجة و الإرهاق .

(1) Malachowski Alan , **Richard Rorty** , P 129 .

حيث ما يميز الليبرالي الساخري في نظر رورتي هو طابع التجدد الذي يبقيه خادما للديمقراطية كأولوية ، زيادة على عدم امتلاكه و عدم رغبته في حيازة قاموس لغوي نهائي و محدد من منطلق رفضه لكل نزوع يتجه نحو التأسيس [1].

إن إقرار أسبقية الديمقراطية على الفلسفة في نظر رورتي هو اعتراف بأهمية الطرح التاريخي و الإسمي في علاج التراكمات التأسيسية المستمدة من العصور السابقة ، و في الوقت نفسه ضمانا لبقاء الديمقراطية و تطورها بحجة أن غياب الديمقراطية يعني بالضرورة غياب الفلسفة .

ثانيا : إطلالة على فكره السياسي

I – نقده لليسار

لقد عاش رورتي تجربة اليسار على مستوى العائلة أولا ، فقد خضع لتنشئة اجتماعية دفعته إلى الاعتقاد بأن الشخص اللائق الظريف إما أن يكون تروتسكيا أو اشتراكيا على الأقل .

و في سن الثانية عشر عرف أنه ما يجعله إنسانه هو أن يخصص حياته للنضال من أجل العدالة الإنسانية ، و هو الأمر الذي جعله يندفع – كما يعترف في سيرة حياته – إلى تعاطي فلسفات تقوم على مبدأ العدالة الاجتماعية ، تقريبا – كما قال – بالشكل الذي أراده ماركس في تغيير العالم * .

---

(2) Rorty Richard , **Contingency , Irony and Solidarity** , P XV.

* يمكن العودة إلى سيرة رورتي الحياتية في Philosophy and Social hop**e** و Achieving our country .

لقد اتضح ميل رورتي للثقافة اليسارية عبر أفكاره و طموحاته المعرفية أثناء تطلعه إلى الدولة الليبرالية الغنية بايجابيات اليسار .

بالمقابل يعترف رورتي في كتابه تحقيق بلدنا Achieving our country أن اليسار منذ مطلع الستينات بدأ يغرق في السلبية و ذلك حينما أعطى الأهمية البالغة للتنظيرات الثقافية و الفلسفية على حساب إنجاز السياسات .

و مرد فشل اليسار – في إنجاز مشروع عملي يؤرخ لبداية مرحلة جديدة في التعامل مع وقائع مغايرة و مفهومات مختلفة – إلى الافتراق الحاصل باعتلاء رأس المال و الرغبة في الربح على المستوى الفردي إلى سدة الاهتمام و ترويج ذلك من خلال وسائل إعلام ثقيلة .

بيد أن رورتي لا يستسلم إلى واقع اليسار بل يدعو أفراده إلى تجديد أطره و تحيين مفاهيمه ، و ذلك من خلال تمثل و استلهام أفكار جون ديوي و والت وايتمان و بالتالي إعطاء البعد العملي الاجتماعي أهمية بالغة عوض الاستغراق في تحليلات لسياسات ثقافية ، تصل إلى حد الترف الفكري الذي يعيق معالجة المشكلات السياسية بلغة الفعل .

و بالتالي فإن هذا الموقف ينسجم مع أطروحة رورتي في أسبقية الفعل السياسي على التأمل الفلسفي .

كما يقر رورتي بأن اليسار الثقافي ليس له أي مشروع يقدمه لأمريكا ، و ذلك بتفضيله البقاء موقف المتفـــــــــــرج عبر تنظيرات لا نهائيـــــــــــة عوض الانخـــــــــــراط في الفعل السياسي و المساهمة في حل المشاكل الفعلية .

و يرى رورتي أن فشل اليسار الأمريكي بإعطائه لأولوية المعرفة على حساب الأمل ، يعني بالضرورة عودة الإيديولوجيات الشمولية و التصورات التوتاليتارية القائمة على جعل السلطة مكانا للربح و تحقيق المآرب [1].

و هو الأمر الذي دفع الروائي البريطاني جورج أورويل (1903 – 1950) George Orwell إلى قرع أجراس الخطر عبر روايته القصيرة مزرعة الحيوانات Animal Farm* التي ألفها عام 1943 .

و الواقع أن رورتي يحتفي كثيرا بهذه الرواية ، و يعتبرها عملا سياسيا راقيا ساعد المثقفين على إدراك ذواتهم [2]، و ذلك من خلال إدانة الحكم الشمولي و العطالة السياسية عبر التغني النظري بالتقدم و العدالة الاجتماعية .

هذا لا يعني أن رورتي يقف موقفا عدائيا من اليسار في شكل العام ، أو تحديدا اليسار الديمقراطي الذي بلغ أوجه مع ديوي و وايتمان ، بل إنه على العكس من ذلك تماما حيث يراه المشروع السياسي الواعد الذي كان ينبغي أن يغتني بإعادة إنتاج مفهوماته و طروحاته محافظا في ذلك على نقطة البدء الأساسية باعتباره حزب الأمل الذي يقر بأن أمريكا لم تكتمل بعد .

---

(1) Rorty Richard , **Achieving our country**, P P 15 , 37 .

* الرواية – حسب عدد من القراءات بما في ذلك قراءة رورتي – تتحدث رمزيا على فترة الحكم الشيوعي في روسيا بعد الانقلاب على نيكولا الثاني ، غير أنها تجري على ألسنة الحيوانات ، حيث يستولي الخنزير نابليون على الحكم في المزرعة إثر حركة انقلابية على السيد جونز الذي يمثل البشر ، و ذلك استجابة و تأثرا بوصايا الخنزير العجوز " ماجور " ، الذي اكد على العدالة والمحبة قبل وفاته .
بيد أن نابليون يعود إلى السياسات الأولى للمزرعة نتيجة الرغبة في الاستئثار بالسلطة ، مستعينا في ذلك بمجموعة من الجراء دربها لتصبح قوية قادرة على الدفاع على أمن المزرعة ...

(1) Rorty Richard , **Contingency , Irony and Solidarity** , P 171 .

و الواقع أن رورتي يتقاطع مع رؤية ترى أن اليسار الأمريكي انكفأ على نفسه من خلال رؤيتين أساسيتين : رؤية أولى تكتفي بممارســـــة النقد و التفصيل المعرفي دون فعــــــل شيء ، و رؤية ثانية تعمل على تخريب الديمقراطية باسم الديمقراطية من خلال العمل على تشجيع الإجهاض دون أسباب موضوعية و تشريع المخدرات .

و بالتالي يخلص رورتي إلى أن اليسار مادام قد فضل أن يبقى استبطانيا و استعراضيا فإنه توقف أن يكون يسارا [1].

II - رفضه للاستبدادات التكنوعلمية

على الرغم من انفتاح البراغماتية الجديدة على المستقبل ، إلا أن رورتي لا يتقبل سيطرة تكنوعلمية على المشهد الاجتماعي بالشكل الذي يقصي إنسانية الإنسان .

فبراغماتية رورتي لا تؤكد على استبدادية العلمي وواحديته في التعامل مع الأفكار و الأشيــــــــــاء ، و ذلك من خلال التأثر بمنجزات ما بعد الحداثة في تقويض منطق الهوية و ترك الفرصة للمغيب و المغاير و الهامشي و كذا المفاجئ .

إن حالة الاستبداد التكنوعلمي التي يحذر منها رورتي لا تعني رفض العلم ومنجزاته بقدر انتقاد المآل المادي الصرف الذي يتحول معه المنتج العلمي إلى خطر على الإنسان يهدد كيانه و يعجــــــــــل بنهايته ، و هو الأمر الـــــــــذي أقر رورتي بوضـــــــوح أثناء قولــــــه بأن " البراغماتية لا يمكنها أن تعيد الاعتبار للطابع المطلق للحقيقة " [2].

---

(1) Rorty Richard , **Achieving our country**, P 14 .
(2) Rorty Richard , **L'espoir au Lieu du Savoir : Introduction au Pragmatisme** , P 35 .

إن إمكانية تحول العلم إلى دين دوغمائي عائد حسب رورتي إلى الاعتقاد الأول بفائدته المتأتية من النجاحات المادية المبهرة ، و كذا إلى إيجابياتـــــــــــه المتعددة في تقديم الرخاء للمواطنين و تسهيل حياتهــــــــم ، بيد أن هذا النجاح المؤقت سرعان ما قد يتحـــــــــــول إلى إغواء و رغبة خطيرة تتشكل كمنبع للمعاناة .

و بالتالي فهو لا يريد للمجتمع أن يسير تحت رحمة التكنوقراطيين حيث تتحول التعاملات إلى حساب الربح و الخسارة ، محافظا بذلك على آماله و تمثلاته السابقة – كما اعترف في سيرته الذاتية – في أن يرى المجتمع التكنولوجي الديمقراطي في إطار عمل دؤوب لزيادة العدالة و إنقاص المعاناة .

و يعود رفض رورتي للاستبدادات التكنوعلمية ، ليس لأنه يقف موقفا عدائيا ضد التطبيقات العلمية ، بل يقصد حالتها الميكانيكية القصوى حينما يركن التطبيق العلمي إلى طرح ماهوي تأسيسي و يتشكل كعائق أمام تحقيق التضامن و المحبة ، و ذلك بنشر الخوف و الخراب ، و هي الحالة المدمرة للطوباويـــــــــة الرورتيـــــــــة ، هذه الأخيـــــــرة التي و بحسب قراءة جلبرت أوتوا Gilbert Hottoi قد تحققت بشكل من الأشكال في إيجابيتها داخل المجتمعات الديمقراطية الليبرالية التي تتسم بالرخاء الاقتصادي و التعددية الثقافية[1].

إن الارتياب الحاصل عند رورتي من السطوة التي يمكن لمنجزات العلم أن تحدثها – حينما تلغي روحانية الإنسان و تهدد كيانه زيادة على تدميرها للطبيعة – مردها إلى الحرص على عدم خروج العلم عن تاريخيته .

---

(1) Hottoi Gilbert , **De la Renaissance a la Postmodernité : Une Histoire de la Philosophie Moderne et Contemporaine** , P 482 .

إنه بالتالي لا يقصد مختلف منجزات العلم المؤدية إلى الرخاء الاقتصادي ، و بالتالي إلى سعادة الإنسان كمبتغى نهائي و متجدد في مشروعه البراغماتي الجديد ، بل إن الأمر مقتصر على حالة الاستبداد و الإزالة ، أي اعتقاد بالفاعلية الأحادية و إزالة لمختلف أنماط المعرفة الأخرى بحجة عدم جدواها .

كما يرى رورتي بأن الصراع ضد الشك الذي ظهر في البواكير الأولى للثقافة الغربية أدى في العصر المعاصر إلى التوجه نحو إطار الثقة الذي لم يكن سوى العلوم الإمبريقية و منجزاتها المادية ، بالشكل الذي أبعد عنها حالة الشك و جعلها تتمظهر على شاكلة نموذج إرشادي في الثقافة التأسيسية (1).

إضافة إلى ذلك يرى رورتي أن تطور الرأسمالية الصناعية جعل من الفردية البلاغية الأمريكية في القرن الجديد مهملة (2) ، بمعنى أن المنجزات المادية للعلم في شكلها المسهب قد قلصت من سلطة الكلمة كإنتاج بلاغي على مستوى القراءة و الكتابة بحكم عدم ارتباطها بالربح كمقياس مادي ، و كذا الإمكانات التعويضية التي تقترحها هذه المنجزات من خلال وسائل الإعلام المرئية خصوصا إضافة إلى الألعاب الالكترونية .

فالحالة النهائية للعالم التكنوعلمي في شكله المستبد تدفع بالمعرفة إلى الاتجاه داخل رواق محدد يهدف أساسا إلى تلبية مصالح المؤسسات الصناعية بالطريقة التي يعطى فيها للربح أهمية بالغة على حساب مستويات إنسانية متعددة ، و هو الأمر لا ينسجم مع تصور رورتي للمعرفة التي تتلخص في وصفهـــــــــــا وظيفة عملية و أداء مستمر للإنتاج و التغيير و التصويب في إطـــــــــــار نمط ديمقراطي ليبرالي يعطي للتضامن أهمية بالغة ، و يجعل من الأمل دافع الحركة و النشاط بغرض إبداع عالم يخضع دائما للصيرورة في التكوين و التشكيل .

---

(1) Grippe Edward , **Richard Rorty's New pragmatism** : **Neither liberal nor Free** , P 22.
(2) Rorty Richard , **Achieving Our Country ,** P 08 .

المبحث الثالث : حقوق الإنسان و العدالة عند رورتي

يتفرد الخطاب الفلسفي في مسألتي العدالة و حقوق الإنسان بتغليب الجانب التساؤلي على الجانب التقريري ، من منطلق أن الحراك الاجتماعي و الإرادات الفردية تجعل من عملية تحسين الأداء في مسألتي تحقيق العدالة و تطوير حقوق الإنسان مسارا لا يعرف الانقضاء فكون الإنسان فردا ينتمي إلى مجتمع منظم سياسيا يعني بالضرورة أنه لا يستطيع أن يعيش منعزلا أو أن يحقق ما يريد دون مساعدة الغير ، زيادة إلى تأكيد ذلك على وجود قانون منظم لحياته في علاقاته مع غيره و بالتالي موضح لجملة الحقوق و الواجبات .

بيد أن هذا الوضوح قد يصطدم لأول وهلة بعوائق واختراقات تجعل من تطبيق العدالة وتحقيق مبدأ حقوق الإنسان مسألة عسيرة لاعتبارات عديدة أهمها الإنسان نفسه .

لا يمكن لحقوق الإنسان بما في ذلك حق الإنسان في العدالة أن تكتسب كاملة ، دون أن يعني ذلك اعتبار الأمر ذريعة لما يسمى بضرورات الواقع ..

و هو الأمر الذي أكد عليه رورتي من خلال الدعوة إلى تعميم ثقافة حقوق الإنسان .

<u>أولا</u> : ثقافة حقوق الإنسان : الفهم و الممارسة

I – حقوق الإنسان عند رورتي : منطلقات التصور و الفعل

رافق التصور الليبرالـــــي سعي إيديولوجي متزايد لتحقيـــق حيـــــاة تضمن الحماية و الاحترام للكرامة الإنسانية .

حيث ينطلق الفهم الأول من الحدود الجغرافية للدولة الليبرالية ، ثم سرعان ما يعطى أبعادا كونية غالبا ما تستند إلى أسس فلسفية و أخلاقية .

و الواقع أن الإنسان يحوز على حقوق لفضيلة كونه إنسانا ، ثم يحوز على حقوق أخرى مستمدة من القانون الذي يبني فاعليته و قوته من خلال الصرامة القضائية [(1)].

و عن طريقة فهمه لحقوق الإنسان يأخذ ريتشارد رورتي التنوع كواقع يجسد الاختلاف على الصعيدين المورفولوجي و الإيديولوجي من دون اعتماد مبدأ المفاضلة قبليا على مستـــــوى الثقافة و الطائفة ، بل أن تبرير ذلك خاضع لأفعال معزولة يقوم بها بعض الأفراد ، في حين أن مسألة الاستهجان مرتبطة بتهديد الديمقراطية بمعناها الليبرالي [(2)].

و حينما يعود رورتي للواقع ، تحديدا من خلال وعي الأفراد و تجسيداتهم العملية يقوم أولا بالعودة إلى تاريخ الفلسفة ، و إسقاط مدلولاتها على العينات الأساسية التي يمارس وفقها الأفراد فهمهم لحقوق الإنسان ، وفق نظريتين اثنتين : تتجه الأولى إلى تقدير الإنسان باعتباره كائنا نوعيا راقيا قمينا بالاحترام و نيل الحقوق ، و هو توجه مثالي

---

(1) Francioni Crancesco , **Access to Justice as Human Right** , Oxford University Press , New York , 2007 , P 01 .
(2) Rorty Richard, **Objectivity Relativism and truth,** P 183.

يسعى إلى تحقيق الصورة النموذجية للإنسان في أرض الواقع ، كما يعكس من خلاله الفيلسوف تصوره للإنسان و الحياة .

في حين تتجه الثانية للدعوة إلى السيطرة على الإنسان ، نظرا لحيازته على رغبة متأصلة في فعل الشر ، الأمر الذي يجعل نيله للحقوق استعدادا ثابتا للتعدي على الآخرين من منطلق اعتباره النموذج الأمثل لأخبث و أخطر أنواع الحيوانات [(1)].

إن التصور الأخير الذي يمكن إدراكه في الإطار العام لفلسفات القوة التي تمجد الصراع و الحرب ، حيث يتمكن أصحاب السيطرة و ملاك الجسارة أن يفرضوا تصورهم للحياة في أجواء النزاعات و القلاقل .

و هي التفسيرات التي نجدها عند فريدريك نيتشه و تصورها المحوري للإنسان الأعلى الذي يفرض قيمه و إرادته بالقوة ، غير آبه بحقوق الغير و ذلك باستعداده لمحق الجميع في سبيل نشوة الانتصار .

مثلما نجدها عند توماس هوبز و ذلك بدعوته لدرء الشفقة مخافة تحقيق العاطفية ، الأمر الذي يشكل عائقا أمام الطبيعة التي يفرضها فعل العيش ، فبحسب هوبز " إن الذي لا نستطيع تعليمه الطيران ، علينا أن نعلمه كيف يسرع في السقوط " .

و هي التصورات التي تتلامس و تتقاطع مع تصور تشارلز داروين و هربرت سبنسر في نظرية الصراع من أجل البقاء الذي ينتهي ببقاء الأقوى .

بالمقابل يقتفي الطرح الأول لحقوق الإنسان بعدا إنسانيا يستفيد منه رورتي بإسهامات جون راولس في الدعوة إلى عودة الإنسانية إلى أصولها الأولى مستفيدة في ذلك من

(3) Ibid , P 169 .

أخطائها و أزماتها ضمن إطار التعاقد الاجتماعي في بعده الأخلاقي ، و هو في ذلك ينتقد الفلسفة النفعية التي لا تبالي بالضعفاء و تعساء الحظ .

إن سياق التعاون في إطار المحادثة الذي تحدث عنه رورتي يهدف أساسا إلى تنمية ثقافة حقوق الإنسان ، و ذلك باجتناب كل الأسباب المؤدية إلى انتهاك هذه الثقافة على مستوى التصور و الفعل ، خصوصا في حالات العنصرية ، الحرب و الإبادة .

و هو الأمر الذي يجسده المثقف في سياق المحادثة عند رورتي ، كمحكم معرفي بتعبير كانط عن طريق تخليص التأثيرات الحاصلة من الحدوس الثقافية التي يمارس الأفراد من خلالها الحق في مجالات الحياة المختلفة ، ثم السعي لإيجاد المظان التي تنطلق منها هذه الحدوس [1].

بمعنى أن كل سلوك يتخذه الإنسان يعبر به عن وعي معين ، و حينما يرتبط الأمر بحقوق الإنسان إما من زاوية الاحترام كسلوك حضاري أو نفيه ، فإن الغاية ستكون ملحة في البحث عن المصادر المعرفية ، و المبررات الفكرية التي ينطلق منها هؤلاء الأفراد في ممارستهم .

إن سلوك النازيين مثلا أو الصرب كان مرتبطا بحمولة معرفية يمكن تشبيهها بكرة سيزيف ، أحدثت تراكمات بفعل الانزواء و العدوانية لتجد تعبيرا عنها باستغلال الفرصة للدلالة عن الحقد الذي يصل أوجه باستعمال العنف غير المبرر و المشروع .

II - التسامح ثقافة إنسانية

(1) Ibid , P 171 .

لازال مفهوم التسامح – كحالة إنصاف و رفق و عفو – في إطار التشكل بالرغم من امتداده إلى عصور ماضية ، فالحراك المعرفي الذي يزامنه يدفعنا في كل مرة إلى التساؤل عن فحواه و أشكال ممارسته بالطريقة التي نستوعب وفقها أسبابه و أنماطه .

للإشارة فإن التصور الفلسفي الأخلاقي – في شكله العام – للتسامح يعبر عنه بوصفه قيمة إنسانية متعالية و ثقافة سياسية ضرورية للاجتماع الإنساني .

و بالنسبة للفلاسفة المشتغلين بالطبيعة الإنسانية ، فقد اتجه بعضهم إلى التأكيد على عدوانية الإنسان و ميله للرغبة في الانتقام ، لتبقى الحلول في نظر هؤلاء عقابا يعيد الصفاء الأخلاقي للقيم أو تسامحا يشكل جزاء و فعلا مدنيا مفاده أن ضرورة العيش المشترك تقتضي التنازل كما جاء في بحث جون لوك 1407– 1632(John Locke) المعنون برسالة في التسامح A letter Concerning Toleration الذي كتبه باللاتينية أثناء نفيه إلى هولندا .

ففي مسألة التسامح لم يكن لوك مؤمنا بالحرية المطلقة بمقابل اعتقاده بضرورة المعرفة المطلقة [1] ، بمعنى أن نسبية المعرفة في نظره لا يمكن اعتبارها عائقا أمام البحث عن الحلول المناسبة للمشاكل التي تعيشها البشرية ، علما بأنه قد عاش في فترة تاريخية اتسمت بالصراع الاجتماعي بما في ذلك الصراع على السلطة ، لذلك رأى أن مسؤولية السلطة و سبب وجودها يتوقف أساسا على تحقيق مصلحة رعاياها و إنشاء مجتمع فاضل وسعيد مع التأكيد على الحرية في الفكر و الدين .

و الواقع أن تاريخ الإنسانية المليء بالكوارث و الحروب و المآسي قد عزز ضرورة التسامح كوضع لتصفية الذات الإنسانية من ترسبات الماضي بغرض التعامل مع الحاضر بشكل سليم ، و ضرورة ذلك في التوجه نحو المستقبل .

---

(1) Thomson David , **Political Ideas** , Penguin Books , UK , 1985 , P 79 .

و هو الأمر الذي لن يحصل بحسب رورتي بعيدا عن تعميم ثقافة حقوق الإنسان المسهلة لإنتاج الجماعة الكوكبية Planetary Community [1].

للإشارة فإن الجماعة الكوكبية في نظر رورتي هي تتمة لتحقيق المجتمع المدني داخل المجتمعات الديمقراطية الليبرالية ، بالشكل الذي يكون فيه التعامل قائما على مبدأ المواطنة بغض النظر عن الجنس و اللون .

فالناس في نظر رورتي يولدون أحرارا ، و تعمد الأجهزة الليبرالية إلى تأكيد هذه الحرية عبر إغنائهـــــــا في المجـــــــــالات الاجتماعية المختلفة عن طريق الإلحاح على الامتيازات و الحقوق إضافة إلى إبراز الواجبات .

بيد أن مسألة الصراع واردة في حياة الناس سواء على مستوى الأفراد أو الدول مما يتطلب إقرارا بضرورة التسامـــــــــــح على الصعيد الفـــــــــردي و ذلك بإبراز طبيعة الاختلاف و تشجيع الروح النقدية .

كما أن تأصيل التسامح على الصعيد العام يتطلب توفيرا للشروط المناسبة لتحقيقه ، النابعة أصلا من نشر ثقافته المرتبطة بالحق في الاختلاف .

كما تشترط المحادثة – في نظر رورتي – كلحظة تشاركية إطارا مشجعا من أجواء التسامح و الاحترام المتبادل بالطريقة التي تضمن لأطراف الحوار حقهم في التعبير عن تصوراتهم .

إن إنتاج أجيال التسامح ، الأمن و الاحترام المتبادل بالنسبة لرورتي هي المطلب الحقيقي للحداثة ، و لن يكون ذلك إلا بالعمل على تفسير و تحقيق مشروع الطوباوية المتنورة [1].

---

(2) Rorty Richard , **Truth and progress** , P 178 .

و إذا كان التسامح يقابل العدوانية ، العنصرية و العنف فإنه لا يعني بحسب رورتي تجاهل أفعال المخربين و الصفح على المذنبين ، فكما أن التعصب و ضيق الأفق خطر على التسامح كذلك اللاعقاب يشكل تحديا آخر لمفهوم التسامح الذي لا يعني في نهاية المطاف سوى إيمانا بالتنوع و استبدالا لثقافة الحرب بالسلم .

بقي أن نتساءل : هل ينبغي للمجتمع القائم على التسامح أن يسمح بالتعصب ؟ .

يجيب رورتي بأن ذلك رهين بقائمة الحقوق التي توفرها المجتمعات الديمقراطية الليبرالية ، بما في ذلك الحق في التعبير . و إذا كانت الديمقراطية ثقافة تسامح فإن ذلك لا يعني استغلال الديمقراطية مع عدم الاعتراف بأهميتها لهدم ما توصلت إليه المجتمعات الديمقراطية الليبرالية نتيجة محاولات و جهود عسيرة في تصحيح الأخطاء و المثالب .

و بالتالي فإن أنسب حل – بحسب رورتي – هو الوصول إلى الأنسنة الفعلية عبر تنشئة مناسبة تقوم على نشر الثقافة بما في ذلك ثقافة حقوق الإنسان و ربطها بوعي الفرد [2].

ثانيا : العدالة بين الشاعرية و التحقق

I – معضلة العدالة عند رورتي

يشير مصطلح العدالة إلى خاصية ما هو صحيح من حيث المعنى ، حيثما نتحدث خصوصا عن الإنصاف و المساواة من خـــــلال الموقـــــــف الذي يعطـــــــــي للعدل تجسيدا و فاعلية [1].

---

(1) Ibid , P 159 .

(1) Ibid , P 171 .

و بالتاي فهي لا تتعلق بالنية فقط و إنما تشير إلى الفعل أيضا وفق هذا السياق يمكن الإشارة إلى معنيين للعدالة : الأول ارتباطها بالقانون المنظم للحياة الاجتماعية ، وفق قاعدة " إعطاء كل ذي حق حقه " ، على المستوى السياسي بفتح الطريق أمام الأفراد للدخول إلى عالم السياسة و تسهيل الوصول إلى الحكم عبر تحقيق التداول كإنصاف ، واجتماعيا بالتأكيد على العدالة في شقها الاجتماعي من خلال تكافؤ الفرص و منع الاستغلال ، و قانونيا بالتنظيم العادل لعلاقات الفرد مع غيره و تحقيق المساواة أثناء الحديث عن المظالم و النزاعات (2).

و على صعيد ثان إنها تحيل إلى فهم أخلاقـــــي بغض النظر عن وجود قوة خارجية للتجسيد ، في أن يكون الفرد عادلا مع نفسه ، مقتنعا بأحقية الإنصاف بعيدا عن كل ضغط خارجي .

و على الرغم من الوضوح النسبي ينبغياتيا حينما نتحدث عن العدالة كمفهوم أولي يقترن بـــ " إعطاء كل ذي حق حقـــــــــه " إلا أن هذا الوضوح سرعان ما يستحيل إلى تقدير غائم و مبهم حينما يتعلق الأمر بالفهم و تعقيدات الممارسة خصوصا .

و يعود الفضل إلى تجلية هذا الإشكال إلى الفيلسوف الأمريكي جون راولس 1921- 2002 (John Rawls) الذي قام باستقصاء و دراسة معمقة لنتائج الطروحات النفعية و نتائجها على المجتمع الأمريكي تحديدا ، و ذلك بالنظر إلى خصوصيته المتمثلة أساسا في التعددية العرقية و الثقافية .

---

(2) Lalande André , **Vocabulaire technique et critique de la philosophie** , P 551 .

(3) العشماوي محمد سعيد ، **روح العدالة** ، دار اقرأ ، بيروت ، ط 3 ، 1986 ، ص ص 15 ، 16 .

لقد عمد راولس في عرض نظريته اعتمادا على تصور نموذج بشري أساسه حرية الاختيار كتمثل ليبرالي اجتماعي بغية الانطلاق من نقطة البدء و ذلك لإعادة توزيع المكاسب و التكاليف [1].

و الواقع أن رورتي يحتفي كثيرا بأفكار جـــــون راولس خصوصا في المسائـــــل الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية و يعتبره واحدا من الفلاسفة الكبار بإحالته الفلاسفة المعاصرين إلى قضية بالغة الأهمية من خلال كتابه المتميز نظرية العدالة A Theory of justice الذي ألفه سنة 1971 .

و عموما فإن معالجة رورتي لمسألة العدالة غالبا ما تتم من خلال استدعاء فلسفة راولس الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية كحالة بنائية للعدالة تنقد التصور الماركسي في تبنيه لطروحات راديكالية ، كما تنقد التصور الرأسمالي في الدعوة إلى تغليب الملكية الخاصة ، فالإنسان العادل في تصور راولس يحقق العدل خارج ذاته لأنه يحمله كقناعة أخلاقية في المقام الأول .

كما يركز راولس على السعــــــي الفعلي لتطبيـــق العدالة أكثر من الدخول في التوصيفات لا نهائية و ذلك بإيمان الأغلبية بضرورة العدالة بوجود التعاقد الاجتماعي ، مع إحداث

نقطة بدء جديدة بإرجاع العدالة إلى لحظة صفائها الأول ، إلى مرحلة قبلية خارج إطار التشوهات و التطبيقـــــــات السلبية التي تعرضت لها عبـــــر التاريخ شريطة

(1) Rawls John , **Théorie de la justice** , traduit par Catherine Audard , Edition du Seuil , France , 19993 , P 33 .

التسامح الديني و إعطاء المسؤوليات للذين يحسنون التصرف مع ضرورة الاهتمام باللامحظوظين في الحقوق و الثروة [1].

و تجدر الإشارة إلى وجود توافق بين رورتي و راولس من زاوية الاعتراف بالتنوع الاثني لضمان الحريات شريطة الابتعاد عن المفاضلة بين شكل ثقافي و آخر ، أو ممارسة العداء تجاه لون طائفي ، ليرتبط العقاب – في حالة وجوده – كما يقول رورتي بالأفراد الذين يتصرفون بشكل عدواني متطرف يهدد السلم الاجتماعي و يقوض أركان الديمقراطية بمعناها الليبرالي .

كما يرى رورتي بأن طرح مسألة العدالة بهذه الحدة في الفلسفة المعاصرة عائد أساسا إلى استفحال المد الرأسمالي في جمـــــــــع الثـــــــــروة و تراكمهـــــا مما ولد مشكلة في التوزيع و إحساسا بالحرمان من طرف الفئة التي ترى نفسها واقعة تحت الحيف و الظلم .

هذا زيادة على تطور العلم التجريبي عبر منجزات دفعت الناس إلى التفكير في اقتنائها لما تجلبه من دعة و رفاهية ، إضافة إلى ظهور مفهوم السيادة الشعبية من خلال ما أقرته فلسفات التنوير و كذا الإسهامات السياسية بغرض تحسين الأداء الديمقراطي الذي يهدف

أساسا إلى السعي لإحداث الانسجام بين التمثلات و الواقع ، و بالتالي السعي العملي لإيجاد حلول للأزمات الاجتماعية المرتبطة أساسا بالظلم و انعدام العدالة .

---

(1) Rawls John , **A Kantian Conception of Equality** , in , Rychman John and Cornel West , **Post – Analytic Philosophy** , P 207 .

يدرك رورتي أن تطبيق العدالة ليس أمرا سهلا فالمساواة المطلقة مثلا لا تجد حضورها السهل إلا في مجال الرياضيات ، كما أن عوائق تطبيق القانون لا يمكنها أن تنفي لأسباب موضوعية و ذاتية .

على الرغم من أن العدالة تستلزم تطبيق القانون ، زيادة على أن الأفراد يختلفون من حيث الذكاء و المقدرات الجسدية و الفكرية .

إن بروز مفهوم العدالة ، واعتبارها من بين أكثر المفاهيم الفلسفية أهمية و تعقيدا عائد بالأساس إلى الاعتراف الصحيح أو الخاطئ بوقوع الظلم ، إذ أن معظم الصراعات الدائرة في العالم يحيلها المراقبون إلى فهم السلوك العادل و بالتالي الإحساس الفعلي بالظلم . مثلما حدث – حسب الأمثلة التي قدمها رورتي – بين المسيحيين و المسلمين في بعض مدن بوسنيا ، و بين السود و البيض في بعض مدن ألباما الأمريكية أو بين الشواذ و الطبيعيين عند جماعة كاثوليكية في الكبك ، و بحسب رورتي فإن حل هذه النزاعات رهين بإرادة الأفراد في العودة إلى العقل بمعناه الكانطي [1].

و على الرغم من إقراره بالعوائق الموضوعية في إحداث العدالة بالنسبة لقضية المرأة بسبب الترسبات التاريخية و الترسبات السلوكية إلا أن المنجزات المعرفية و الجهود المبذولة من طرف الفاعلين الاجتماعيين خصوصا عمل المنظمات النسوية بالشكل الذي يمكن اعتباره – حسب رورتي – محاولة جادة لتحقيق اليوتوبيا السارة المتمثلة في إحداث المساواة [2].

II – شروط تحقيق العدالة

(1) Richard Rorty , **Philosophy and Social hope** , P 87.
(2) Ibid , P 235 .

يبدو أن رورتي يدين في أفكاره حول مسألة حقوق الإنسان للفيلسوف توماس جيفرسون (Thomas Jefferson) باعتباره فيلسوفا و حاكما إذ يعد ثالث رئيس اعتلى سدة الحكم في أمريكا .

فرورتي لا يرى فكاكا من احتفائه بمقالة جيفرسون أثناء تقدمه لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1800 ، و التي عاهد فيها الأمريكيين بأنه سيكون عدوا للطغيان في شتى صوره خصوصا ذلك النوع الذي يستبد بعقل الإنسان .

كما يحتفي أيضا بفهمه للعدالة في التعامل ، من خلال التسامح الديني و الإقرار بالمواطنة فمن حق جاري – و الرأي لجيفرسون في مقدمة مقال رورتي – أن يقر بوجود إله أو أكثر ، أو أن يعبد حجرا المهم ألا يرشق الآخرين [1].

و الملاحظ أن جيفرسون في فلسفته العامة يركز كثيرا على حقوق الإنسان من خلال التنبيه إلى الحالات التي تنتفي فيها هذه الحقوق ، وكذا محاولة التأليف الفلسفي بين السعي لإيجاد نظرة واحدة للسلوك العادل باعتباره فاضلا في كل المجتمعات [2] ، و بين معارضته لنظريـــــــــة التتابـــــــــع التي نادى بها ادموند بيرك (1729 – 1797) Edmund Burke من خلال الدعوة لارتباط الأجيال المقبلة بأفعال الأجيال السابقة ، مع

(1) Rorty Richard, **Objectivity Relativism and truth,** P 175.

(2) ديوي جون ، **جيفرسون** ، تر : عبد الحميد يونس ، دار الفكر العربي ، د . ط 1961 ، ص 104 .

وجوب القول بحسب جيفرسون أنه من غير العدالة أن نفرض على المقبلين طريقتنا في الحياة [(1)].

لكن تعامل رورتي مع حقوق الإنسان كمدخل للعدالة لا يحيل إلى التطابق التام بينه و بين جيفرسون ، من خلال سعيه للانطلاق في تحليله لهذه القضية من الوقائع بهدف الوصول إلى التنظير إما بالمواءمة أو التعديل و التجاوز .

و هذا ما يتضح من خلال مقاله حقوق الإنسان ، العقلانية و العاطفية . Human Rights Rationality and Sentimentality إذ يشير فيه بوضوح إلى إشكالية العدالة من خلال تقارير دافيد رياف David Rieff المعنونة برسالة من بوسنيا (Letter from Bosnia).

فهو يعرض لحالة مفرطة من اللاعدالة حدثت بين الصرب و المسلمين في بداية التسعينيات .

فالصرب لم يعتبروا المسلمين كائنات تنتمي إلى فئة البشر و ذلك من خلال المعاملات البالغة في السوء التي كان يتلقاها السجين المسلم .

و كان أولئك الذين يقتلون و يعذبون و يغتصبون و يمارسون السحل ، التجويع ، الإخصاء و الوأد لا يرون غضاضة في تصرفاتهم ، و لم يعتبروها مساسا بحقوق الإنسان ، بل على النقيض من ذلك تماما كانت تبدو لهم أنها ممارسات جيدة تهدف إلى إحداث التطهير لعرق الإنسان تماشيا مع تصوراتهم التي يعمدون وفقها إلى التمييز العادل و الفعلي بين الإنسان الحقيقي الذي يستأهل الحياة و بين الآخر المزيف الذي

(1) Bleau L . Joseph , **Men and Movements in American Philosophy ,** P 50 .

عليه إما أن يرحل إلى بقعة مجهولة في أطراف بعيدة من هذا العالم ، وإما أن يموت [(1)].

داخل هذا السياق يرى رورتي أن الديمقراطية بمعناها المتعالي الخصب تنظر على هذه المسألة من خلال إحساس الجلادين و المغتصبين الصرب و نظرتهم إلى الضحايا المسلمين بالسلوك المفرط في اللاعدل الذي يتماهى مع الشراسة التي تمتلكها أكثر الحيوانات ضراوة و فتكا ، مما دفع رورتي إلى تشبيه الصرب في تصرفهم هذا بالنازيين الذين كانوا يروحون عن أنفسهم بسلوكاتهم السادية أثناء تعذيبهم لليهود سنة 1930 [(2)].

و يعمق رورتي مناقشته لمسألة حقوق الإنسان كمدخل للعدالة ، باستدعاء نظريتين شهيرتين ، الأولى من خلال نظرة أفلاطون للإنسان في عمومه باعتباره كائنا قمينا بالاحترام و التثقيف .

و يتضح ذلك جليا من خلال اعتبار أفلاطون للإنسان محركا محوريا في فلسفته ، التي يتطلع فيها إلى العالم الأفضل بنظرة روحية تتأسس على الثقة بمقدرة عقل الإنسان في الوصول إلى الحقيقة المطلقة (Absolute Truth) – بعيدا عن فكرة السفسطائيين التي تقر بأن الإنسان مقياس كل شيء – التي و إن تعددت فهي تشير إلى مفهوم عام يسعى الإنسان إلى الوصول إلى تحقيقه بمحبة و نشاط من خلال تأسيس فعله على الفضيلة بهدف تحقيق السعادة .

أما النظرية الثانية فهي لفريدريك نتشيه (Friedrich Nietzshe) ، و تقع على النقيض من أفلاطونية إذ ترى أن توقف الإنسان عن القتل و الاغتصاب و الاخصاء مسألة آيلة

---

(2) Rorty Richard , **Truth and progress** , P 167 .
(1) Ibid , P 168 .

للفشل ، ولا تحقق كينونته التي ينبغي أن يكون وفقها ، لأن الإنسان في نظر نيتشه يعد أخطر أنواع الحيوانات و أشرسها .

و المعلـــــــــــوم أن نيتشـــــــــــه قد بشـــــــــــر في فلسفتـــــــــــه بظهور الإنسان الأعلى المتسم بإرادة القوة (The will to power) بهدف إحداث السيادة و السيطرة ، لأن الحياة في التصور النيتشوي تقوم على الصراع من أجل البقاء .

و يفرض الإنسان الأعلى قيمه و إرادته بالقوة ، وهو على استعداد لكي يمحق الناس بأخمص قدميه كما يفعل مع الحشرات الضارة ، بل مستعد للتضحية بالجميع بلا تردد في سبيل تفوقه .

و هو المحدد للخير و الشر الخالق للقيم ، المتمرد القوي على قيم أخرى سائدة تستمرئ الضعف و تكدح الانكسار .

و بعد هذا العرض يتساءل رورتي : من في الحقيقة نحن ؟ و ما طبيعتنا ؟ أتؤهلنا لحمل الخير أم للشر ؟ و ماذا يمكن أن نصنع بأنفسنا ؟ .

المسألة بحسب رورتي تدعو إلى كثير من التأمل و الاستقصاء ، وحلها يكمن في تعميم ثقافة حقوق الإنسان و بالمعالجة الفلسفية المتجددة ، لأن البشرية كثيرا ما تتعرض لأزمات تستدعي تعميم ثقافة حقوق الإنسان فعلا و ممارسة ، و لكن عن أي حقوق نتحدث ؟

يجيب رورتي أنها تلك التي تنظر إلى الإنسان بوصفه غاية ، و فلسفيا إنها تحمل انتصارا للنظرة الأفلاطونية في عمقها و معناها العام * و التي تصبو نحو تحقيق المثال الأعلى للأشياء و المفاهيم بهدف الوصول إلى سعادة الإنسان [1].

أما الطرح النيتشوي – في نظر رورتي – فإنه يحيل بلا شك إلى الظلم و الاستبداد إذ أن فكرته عن الإنسان الأعلى ما هي إلا تأليه للفرد المتعجرف الذي لا يخطئ و لا يملك استعداد لمحاسبة نفسه ، و هي نظرة تحيل بالضرورة إلى العنصرية يتم تقسيم الناس فيها إلى سادة و عبيد ، كما أن تقديسه للقوة يؤدي لا محالة إلى تقديس الحرب و الفوضى بدل الاحتكام إلى القانون و السعي لتحقيق العدل .

---

* يركز الطرح على نظرة أفلاطون إلى مفهوم الإنسان و خصوصيته ذلك تاريخيا من جراء الأسبقية الفكرية لهذا التصور و ليس في نظرته إلى النساء و العبيد .

(1) Ibid , P 169 .

الفصل الخامـــــــس

<u>الفصل الخامس:</u> البراغماتية الجديدة : رهانات الحاضر و أسئلة المستقبل

<u>المبحث الأول:</u> استقصاءات فلسفية لمضامين معرفية

إن إقرار رورتي في براغماتيته الجديدة بممارسة خاصة للفلسفة تتماهى في تشكيلاتها المفتوحة مع الشعر ، و تشارك في المحادثة الفلسفية في إطار ثقافة ما بعد الفلسفة أعدمت القول ببطلان الحاجة إليها .

بيد أن هذه المسألة تحتاج إلى تدقيق و توضيح ، بالشكل الذي يجعل موقفه النقدي للفلسفة خاضعا بدوره للنقد ، و هو الأمر الذي يتطلب جهدا عقليا يصب في محاولة البحث في أصول المواقف و مدى ارتباطها بحقائق الواقع و ينبغيات المعرفة .

إن الموقف الفلسفي لا يخضع للاعتقاد في صورته العاطفية المتزمتة ، بل يحتاج إلى نشاط نقدي يتجاوز الإدانة و التسرع في الحكم إلى تبني طرح يرنو إلى الأكاديمية عبر

استدلالات متأتية من قضايا برهانية ونصوص موازية ، خصوصا و أن صيرورة الموقف الفلسفي رهينة بالقدرة على المزاوجة بين استعاب الواقع بكل تمظهراته و تجلياته من جهة و المعايشة اليومية لمختلف المذاهب و التيارات الفكرية من جانب آخر .

<u>أولا</u> : عن الفلسفة

I – إشكالية موت الفلسفة

هل يعني الحديث عن أفول الفلسفة اعترافا بواقع مزر ترزح تحته من خلال عدم قدرتها على التحول و التجدد ؟ أم يحيل ذلك إلى إشكال فلسفي مرتبط أساسا بالحرية التي تستند إليها الفلسفـــــــة ، و بالتالي استمراريـــــة للخطابات القياميـــــة المعلنـــــة لموت المـــــــــــؤلف و الإنسان ؟ .

و على الرغم من التعليقات المعرفية التي أشار إليها بعض نقاد رورتي مثل فانسون ديسكومب Vincent Descombe الذي عرض تأويلا اقترب فيه أكثر من فكرة الإقرار بنهاية الفلسفة عند رورتي ، كانبعاث جديد لماضي رورتي التحليلي الذي عاش من خلاله جدلا بين تصور تحليلي خاضع لفكرة التحقق يدعو إلى نهايـــــة الفلسفة باعتبارها مرادفة للميتافيزيقا ، و في الوقت نفسه رفضا لبقاء الفلسفة كنسخة جديدة للامتدادات الفلسفة التحليلية التي استغرقت في الصرامة و التقنية .

إن تلميح ديسكومب لفكرة موت الفلسفة عند رورتي جاء من خلال خروجها عن المركزية في التفكير ، بمعنى أن مشروع رورتي الفكري لم يكن فلسفيا صرفا بالشكل الذي نجده في التقليد المعبر عنه في الأصول الفلسفية ، بل ارتبط في عمومه بأهداف

مدنية متعلقة أساسا بكيفية اكتساب و الاحتفـــــاظ بالحقــوق المدنية في الإطار الإصلاحي أو الديمقراطي الاجتماعي [1].

و الواقع أن موقف ديسكومب الذي عبر عنه بشكل مقارباتي يجد صداه – بشكل جلي هذه المرة – عند أنصار التقليد الفلسفـــــي التأسيسي ، الذي يتماهى مع التصور الأرسطي المعلن – في شكله الأولي – بأن رفض الفلسفة يحتاج إلى فلسفة .

فالفلسفة كمحاولة للفهم و النقد و التصرف لا يمكن أن تدرك في عمقها و امتداداتها إلا ضمن إطار التنوع الفلسفي الذي تبرزه التيارات و الأنماط الفكرية المختلفة ، و هو التنوع الذي تفرضه طبيعة المسائل المطروحة على جدول أعمال الفلسفـــــــــة ، و التي تتميز بالتعدد و التشابك و التعقد ، بالشكل الذي يستحيل معه على أي فيلسوف أو مذهب فلسفي أن يزعم حلها بشكل نهائي .

كما أن طبيعة المشاكل المطروحة تتوقف أساسا على المفهوم الذي يحوزه الفيلسوف عن الفلسفة ، و الذي من خلاله يحدد سعة فضائها و طبيعة إشكالاتها زيادة على سبل تمظهرها على مستوى الفكر و اللغة .

و على الرغم من أن رورتي لم يشر صراحة إلى موت الفلسفـــــــــة في عموميتها ، خصوصا و أن عزاءه و تأبينـــــــه كان موجها لنمـــــط الاشتغال الفلسفــــــــــي الذي أبان عن استنفاد مسائله و تجاوز صلاحيته لاستغراقه في التنظير و عدم قدرته على التحول و التجدد .

---

(1) Descomdes Vincent , **Something Diffrent , Remarques sur le pragmatisme de Richard Rorty** , In , **Lire Rorty** , P P 57 , 58 .

إن الفعل الفلسفي في إطاره العام يستمد إستمراريته من مقدرته على التعامل مع التحولات في ضوء البحث الدائم عن أدلة جديدة لتبرير مشروعية الوجود من خلال اشتغالات معرفية تعود بالفائدة على الإنسان باعتباره المنطلق و المقصد .

كما أن تطوير الفهم الفلسفي يتجاوز علاقة الفلسفة بذاتها إلى البحث في مختلف العلاقات الهادفة بغية توطيد أو فك أزماتها ، وفق إطار علاج موضعي يتخذ على عاتقه تجديد الأطر كلما دعت الضرورة .

و إن كانت الأزمة الأساسية متعلقة أساسا ببطء الفلسفة و بعدم قدرتها على مجاراة السرعة الحاصلة في العلوم الأمبريقية خصوصا ، وكذا في الإيغال في التنظير بالشكل الذي يجعلها متجاوزة و بعيدة عن الواقع .

إلا أن تحليلات معينة ترى في مجاراة الفلسفـــــــة للعلم في سرعته و منجزاته أمر مستحيل ، و ذلك بالنظـــــر إلى طبيعـــــــة التفكير الفلسفي نفسه الذي يستند في أهم معطياته إلى الميتافيزيقا ، خصوصا و أن التعصب في إنكار الميتافيزيقا و قضاياها قد يتحول إلى تأسيس ميتافيزيقا جديدة ، إذ أن التركيز على التحليل الوضعي قد يضفي بعدا إيديولوجيا يدفع الفيلسوف إلى الذاتية و الانحياز [1] .

و على العموم فإن إسهام رورتي وموقفه من الفلسفة يدخل في إطار مشروع فكري يهدف أساســـــا حسب روبر براندوم Robert Brandom إلى السعـــــــــي لإقنــــــــاع الجمهور و الق ـــــــــــــــــــــــراء بالإيجابيـــــــــــــــــــــــة التي ستحدث حينما يتحقق التناسب العكسي بين الخطاب الموضـــــــــوعي الصرف و

(1) الفندي محمد ثابت ، **مع الفيلسوف** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980 ، ص 11.

التخلي عن المفـــــــــردات الفجة في إطار التعاملات القابعة خارج إطـــــــــــار الصرامة العلمية ، و بين الحصول على الأمل الاجتماعي و التضامن الإنساني (1) .

إن إسهام رورتي الذي دفع بالكثير حسب قراءة جون بيار كوميتي Jean Pierre Comtti إلى إعادة تأمل مواقفهم الفلسفية من خلال وضع الفلسفة – ضمن إطار نسخته البراغماتية – في ثورة لا نهائية مست بطبيعة الفلسفة ذاتها ، يدخل في سياق التعامل مع سؤال الفلسفة ضمن إطار حديث النهايات ، وكذا سعيا لهتك الحجب و اختراق الحدود بين المعارف ، إذ في الوقت الذي كانت المعرفة تتجه نحو الصرامة بالمعنى الاحترافي الذي أعطي لها ، توجه رورتي إلى الثقافة و إلى مجالات مثل الأدب ، القانون ، التاريخ ، الاجتماع و علم النفس ، الأمر الذي جعل منه فيلسوف الجدل و الإثارة ، فقد اعتبرته أطراف نقدية معينة فاتحا لإمكانات جديدة للفكر في حين وصفته أطراف نقدية أخرى بالمرقع الثقافي الذي ساهمت أعماله في إنقاص مجالات الاستقصاء (2) .

II – اللغة الفلسفية بين الصرامة و الشاعرية

لم تعد اللغة مع الإسهامات الفلسفية الجديدة مجرد تمثل الأشياء و التعبير عنها في محدوديتها و تمامها ، لقد شكلت فتحا جديدا في إمكانات المعرفة ، من منطلق المماهاة

---

(2) Brandom Robert , **Rorty and his Critic** , Black Wall publisher , UK , 2001 , P XI .
(3) Cuignon Charles , **Richard Rorty**, Cambridge University press , First published , 2003 , P 01.

الحاصلة بين اللغة و التفكيـــــر ، إذ الذي لا يستعمل اللغة سواء بطريقة جهورية أو صامتـــــة لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يفكر .

الأمر الذي جعل من اللغة فضاء آخر للبحث الفلسفي ، فبعد أن كانت اللغة الوسيلة التي نتعلم و نكتب بها المعرفة الفلسفية ، أصبح التفلسف قائما في اللغة نفسها ، و صار من العسر الشديد أن نبحث في الخطاب الفلسفي بدون أن نتفحص مضامينه اللغوية و كذا طبيعة اللغة الفلسفية التي يستند إليها .

إذ لا يعقل أن ننبري في عمليتي البحث و الاستقصاء في إطار ما هو ثقافي من دون أن نستعمل تصورات و مفاهيم يعود للغة الدور الأبرز في إنتاجها ، بل أن وظيفة الفلسفة في تصور جيل دولوز (Deleuze) و جيل غاستون غرانجر (Granger) ترتبط أساسا بإنتاج المفاهيم .

و الواقع أن التطورات المعرفية التي حصلت في القرون الأخيرة ، زيادة على الحوادث التاريخية التي تناسلت و تتناسل بشكل رهيب جعلت الفلسفة في موضع تساؤل فيما يتعلق بقيمتها و وظيفتها ، خصوصا وأن المواضيع التي ارتبطت تقليديا بالفلسفة أصبحت مخترقة من قبل أنشطة معرفية أخرى ، الأمر الذي دفع ببعض المتفلسفة إلى توجيه اهتماماتهم نحو البؤر المعرفية الساخنة بالشكل الذي يظهر فيه تمردهم على الروح الفلسفية التقليدية التي كثيرا ما اتسمت بالإيغال في الماهية و التأسيس .

و هو الأمر الذي جعل الاشتغال الفلسفي المعبر عنه في اللغة الفلسفية ينقسم إلى قسمين أساسيين : قسم يمثله رورتي و غادامار يرى أن الفلسفة لم تصل إلى عافيتها إلا حينما اقترب الفلاسفة التاريخيون – أمثال نيتشه – من اللغة الشعرية .

و قسم ثان مثله فريجـــــه و فتغنشتايـــــــن الأول ، أظهـــــــر أن بقاء الفلسفــــــــــــــــة رهين بالدقـــــــــــــة و الصرامة .

يعتقد أنصار الطرح الأول أن اللغة الفلسفية التقليدية و منطلقاتها المعرفية قد أبانت على محدوديتها ، بحكم أن العمل الفلسفي في نهاية المطاف هو تعبير عن تجربة شخصية فريدة لا يمكن تعميمـــها بأي حـــــــال من الأحـــــــوال ، كما أن الفيلســــــــوف ليس عقلا فقط ، و العمل الفلسفي لا يستحيل إلى علاقات رياضية و ثوابت منطقية صرفة ، إنه نتاج العلاقة التي تجمع بين الفيلسوف و محيطه التي هي لغوية بالأساس .

كما أن محاولة التحويل الفعل الفلسفي إلى أشكال منطقية و حسابات رياضية ، هو في الوقت عينه إنهاء لهذا الفعل طالما أن الأمر متعذر لاعتبارات عديدة أهمها طبيعة الفعل الفلسفي نفسه .

فاللغة – وفق هذا الأساس – تجاوزت اعتبارها ممثلة للكائنات و الأشياء ، من منطلق عدم الاكتفاء بالعلاقة التي كانت تحدها المماهاة بين الدال و المدلول ، بمقابل الاتجاه نحو آفاق أخرى تتمثل أساسا في ابتكار المفاهيم و إبداع الأفكار .

بل أن حديث النهاية و الأفول جعل من بعض الفلاسفة يقرون بأن الأمر الذي تبقى للفلسفة هو لغتها ، و مادام النص الفلسفي هو نتاج التجربة المعرفية التي يحوزها الفيلسوف الذي لا يمكنه أن يكون عقلا فقط طالمــــــــــا أن تمثلاتـــــــه لا يمكنها أن تخلـــــــــــو بأي شكل من الأشكـــــــــال من تجليـــــــات عاطفيـــــــــة ، كان لابـــــــــد من إعــــــــادة التـــــــــــأمل و الوصف بغرض

تحيين مختلف البديهيات و المسلمات التي ارتبطت بطبيعة الكتابة الفلسفية ، بغرض جعلهـــــا كتابــــــة متعددة الأشكـــــــال دون أن يعني ذلك – كما يقـــــر غادامار – التلاعب و الإباحية .

لقد انفتح رورتي من خلال براغماتيته الجديدة على الأدب باعتباره تشكيلا لغويا و فنيا للتجربة الإنسانية ، كما أنه يساهم في إعطاء الفلسفة بعدا معرفيا أكثر عمقا و إيغالا في الطبيعة البشرية دون أن يعني ذلك تماهيا أو تطابقا بين الفلسفة و الأدب .

إن التركيـــز على البعــــــد الجمالي و الدلالي في صيغته التداولية شكل هاجسا معرفيا لرورتي ، سعى من خلالــــه إلى إخراج الفلسفــــــة من قمقمها الابستمولـــــوجي و الأنطولوجي و الاكسيولوجي – في صيغته التقليدية – الذي طالما ثوت فيه إلى محايثة واقع الإنسان بغرض حل مشاكله و معالجة أزماته .

و هو الأمر الذي يفرض على الإشكالات الفلسفية أن تنفتح وتتقاطع مع مساقات معرفية متعددة ، على مستوى اللغة التي تأخذ طابعا تشاركيا عند رورتي ، و كذا على مستوى المواضيع المطروقة و المعلومات المستخدمة .

و على سبيل المثال لم ير رورتي غضاضـــــــة في معالجة بعض المواضيع التي كان ينظر لها إلى وقت قريب أنهـــــــا خارج إطـــــــــار الفلسفـــــــية مثل : الموضــــة ، أزمات المراهقين و المثليين ...

بيد أن تحليــــــــلا وفق هذا الإطــــار سيفقد الصفائييـــــــن الذين تحدث عنهم جيدون كالدر (Gideon Calder) خصوصية فهمهم للغة الفلسفية ، من منطلق أن الفلسفة مثل أي معرفة أخرى لها مفاتيحها و أساليبهـــــا الخاصة ، و من الواجب على طالب الفلسفــــــــة أن

يكون ملما بمعاني المصطلحات الفلسفية بالشكل الذي يؤهله لفك معانيها أثناء القراءة كمنطلق أول .

و إذا كانت اللغة الفلسفية في إطار معين هي نتاج للتجربة الإنسانية ، و بالتالي إمكانية إقحام الحالة الشعورية ، كما تتجلى في بعض كتابات بارمنيدس التي عبر عنها شعرا ، أو كحال لوكريتس الذي قدم معظم أبجديات الأبيقورية في إطار كلام فني جذاب ، زيادة على ما يمكن ملاحظته عند هوميروس ، هزيود ، اكزينوفان ، غوته و نيتشه [1] ، فإن رعيلا آخر من الفلاسفة رأى أن أنسب طرح يعطي للفلسفة مشروعيتها و وجودها هو قابليتها للتحقق العلمي ، و بالتالي العمل على تحويل التعبير الفلسفي من كونه كيفيا يعطي أهمية بالغة للشعور و الأحاسيس إلى اعتباره كميا متسما بالصرامة و التجريد .

و هو الأمر الذي يمكن اقتباسه من لغة العلم أو تمثله بشكل دقيق من الرياضيات بوصفها لغة موضوعية لا تعترف بالأهواء و الأحاسيس .

الغاية التي اتجه إليها غوتلوب فريجه (Gottlob Frege) من خلال تعبيراته الفلسفية التي أعلن عن خصوصيتها من خلال اعتبارها موجهة لجمهور الفلاسفة الذين لديهم إلمام بالرياضيات [2].

إن البحث عن لغة فلسفية تتسم بالدقة و الصرامة – و هو الأمر الذي لا ينسجم مع توجهات براغماتية رورتي الجديدة – كان و لازال هاجسا فلسفيا يتطلع إليه الكثير ، طالما أن التمرس على الدقة و مطلب الصرامة في التعبير الفلسفي ليس أمرا معارضا

---

(1) وعزيز الطاهر ، **المناهج الفلسفية** ، مطابع المركز الثقافي العربي ، بيروت و الدار البيضاء ، ط 1 ، 1990 ، ص ص 153 ، 156 .

(2) Frege Gottlob , **Ecrits logiques et philosophiques** , Tr : Claude Imbert , édition du seuil , Paris , 1971 , P 49 .

للجمالية ، خصوصا و أن الغرض من إبـــــداع النص الفلسفـــــي لا يتباعد عن ثنائيتي الفهم و الإفهام .

ثانيا : في نظرية المعرفة

I – خطاب الحقيقة بين الواقع التأسيسي و إمكانات المحادثة

لقد ارتبطت الفلسفة – من خلال مفهومها الشائع و المكرس – بالبحث عن الحقيقة ، إذ أن محبة الحكمة لم تكن إلا وجها ثانيا للحقيقة ، فالحكمة في السياق الفلسفي لا تعني القول السديد المأثور الصادر من شخص متمرس كما تحتفي بذلك المدونة الأدبية ، بل تعبر في معطاها العام عن الصورة المستنتجة عبر استقصاء الواقع أولا ، ثم إحداث استقراء صوري لتظهر الحقيقة في نهاية المطاف تعبيرا جامدا يستنسخ الواقع ثم يرتفع عنه في معطاه المادي ، أو كقول نهائي مؤبد في إطار المعرفة النظرية .

إن فلاسفة التأسيس الذين عبروا عن نموذج أحادي للحقيقة من خلال الاهتمام الكبير بنظرية المعرفة وذلك بالسعي للتأصيل الفسلفي عن طريق استقصاء طبيعة المفهوم ، كانوا ينظرون – بحسب رورتي – إلى التفكير الفلسفي من منطلق غايته الوحيدة باعتباره بحثا و منهجا للوصول إلى معرفة الحقيقة .

فهل يعني ذلك أنه لا مجال للحديث عن الحقيقة بحجة تقويض التأسيس ؟ .

الواقع أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال وضع جانب مهم من التراث الفلسفي جانبا بحجة سمة التأسيس ، بالشكل الذي يخرجنا عن إستعاب مفصلية السياق في الإبـــــــــــداع الفلسفي ، إذ لا يعقل أن يتم نقد الأصول الفلسفية بمنطلقاتها الماهوية و التأسيسية و التمثيلية باستخدام المناهج الفلسفية الحداثية التي تعبر عن " اختراعات

فكرية " تمت في إطارها التراكمي وفق التصور البشلاردي المؤسس على تصويب المحاولة والخطأ .

إن المنهج الاستردادي في التعامل مع المسائل الفلسفية يتطلب منا إعادة فهم السياق وممارسة النقد بطريقة إحداث التفاعل بين مجالين : الأول يخص الفكرة الفلسفية زمن إبداعها و الثاني يرتبط بالسياق الذي تم فيه فعل القراءة .

و على سبيل المثال فإن إدموند هسرل (1859 – 1938) Husserl Edmund قد عمد إلى تأسيس منطلقاته الفينومينولوجيـــــــــة استجابـــــــة لهاجــــــس مركــــزي اعتمل في ذهنــــــه ، و القاضي بتحويل الفلسفة إلى علم مستقل يتميز باليقين و الوضوح ، و قد تشكل هذا الهاجس الحلـــــــم أثنـــــــاء حضوره لمحاضرات فرانز برنتانو (1838 – 1917) Franz Brentano و تمثله لمفهوم القصدية ، ليصل إلى نتيجة مفادها أن الحقيقة هي الماهية التي نصل إليها بشكل قصدي عن طريق الحدس الصافي و التجربة النقية [1].

إن بحث فلاسفـــــة الأنســــــــاق الكبرى في الأصول المنطقية التي تمكنهم من رد التمثلات و الوقائع إلى مقولات محددة تحيل إلى الحقيقة ، يعبر عن قناعة فكرية تتأسس على إمكانية المعرفة و كذا على قدرة العقل – أو الحس – في أن يتبدى كمرآة مجلوة يعكس الحقيقة دون مواربة أو مماراة .

---

(1) Lyotar Jean – François , **La Phénoménologie** , P.U.F , 1961 , P P 5, 6 .

لذلك فإن الإسهام الديكارتي على الرغم من تأسيسيته و نسقيته التي يرى فيها رورتي عائقا حقيقيا أمام الانطلاق الفلسفي ، يشكل حالة إبداع فلسفي تأسست على إمكانية معرفة

اليقين من خلال التأمل العقلي ، و هو الأمر الذي أوجد منطقا ديكارتيا واضح المعالم ، من خلال منجزاته الفلسفية المتعددة التي جسدت الانعطاف في شكله التاريخي ، بوصفها البداية الفعلية للفلسفة الغربية الحديثة كما يقر بذلك مؤرخو الفلسفة .

و لئن كان تاريخ العلم يجسد الإضافة العارضية أثناء تعاملنا مع منجزاته ، فعلى العكس من ذلك تماما لا يمكن فصل الفلسفة عن تاريخها ، إذ ليس بوسعنا التخصص في الفلسفة من دون أن نلم بدراستها ، تحديدا دراسة تاريخها ، فالفلسفة على حد تعبير نوال الصراف الصايغ " رواية متسلسلة لا تفهم حلقاتها إلا بتتابعها " [1].

و على الرغم من أن رورتي قد أقر بأن الطروحات التأسيسية فقدت المبررات الفلسفية لبقائها ، بالنظـــــر إلى الإمكانـــــات التي تقدمهـــا المحادثة من منطلق ربط الفكـــــــر بالسياق ، و كذا للجهود المستمرة و المتراكمة المؤدية إلى بلورة تصور تشاركي يعمق و يكرس التنوع الموجود في مختلف أنماط الحياة ، إلا أن ذلك لا يعني نفي الإجادة المعرفية عبر القدرة على الإبداع الفلسفي ، خصوصا و أن المنطلقات الأساسية لبراغماتية رورتي الجديدة – بشكل من الأشكال – تعد استجابة معرفية لواقع التأسيس الفلسفي .

كما تجدر الإشارة إلى أن نعت التأسيس الفلسفي وفقا للوصف الذي قدمه رورتي لا يحيل إلى الغياب التام للنقد ، فالفلسفة موقف نقـــــــدي بالأساس يحتاج إلى فضاء

---

(1) الصايغ نوال الصراف ، **المرجع في الفكر الفلسفي** ، ص 05 .

واسع من الحرية و الحكمة لكي ينمو و يتعزز ، و هو الأمر الذي استوجب على محبي الحكمة تحمل مختلف التبعات في مسيرة لا تعرف إلا الصعاب .

II – طبيعة المعرفة عند رورتي بين النسبية و النسبوية

لقد شكلت طبيعة المواقف الفلسفية التي تبناها رورتي عاملا محفزا لإثارة الجدل حول المشروعية المعرفية لهذه المواقف ، خصوصا مع تقلد رورتي لمنصب الأستاذية في الأدب المقارن و اقترابه عبر الانخـــــــراط في مسعى الفلسفة القارية من التقليـــــــــد الفرنسي الجديـــــــــد فـــــــي إطار الحـــــــراك الفلسفـــــــــي الذي أعقب البنيــــــــوية ، فهـــــو عند جون بتغرو (John Pettegrew) مرقـــــــــع ثقافي (Intellectuel bricoleur) ، في حين يراه هارولد بلوم (Harild Bloom) بأنه الفيلسوف أكثر أهمية في العصر المعاصر .

بيد أن الشهرة الإعلاميـــــــــة و الاحتفـــــاء الكبير الذي يقابل به رورتي من خـــــــــــلال ما نشـــــر و ينشر حوله عائد بالأساس إلى طبيعة إسهاماته الفلسفية و الثقافية و طبيعتها الافتراقية الجدلية ، التي دفعت ببعض النقاد إلى قراءة أفكاره باعتباره نسبويا .

و تحيل النسبوية بإضافة واو النسب إلى الاعتقاد الذي يجعل من النسبية عاملا مطلقا في فهم و تفسير مختلف الظواهر .

و هو الذي ينفي الأسباب الموضوعية و يدحض المعايير على طريقة النزعة السفسطائية التي أسست نظرياتها المعرفية على نسبوية معرفية و أخلاقية ترى في الإنسان معيارا لكل شيء .

و على الرغم من محـــــــــــاولات رورتي الدفاع عن أفكاره ضـــــد هذه " الشبهــــــــة الفلسفية " ، و ذلك بتأكيده على سمة النسبية المعرفية التي تؤكد على الطابع المقارباتي التعاقدي للحقيقة أو لصلاحية الفكرة ، إلا أن سمة النسبوية – من طرف بعض النقاد – ظلت تلاحق مشروعه البراغماتي الجديد ، كصفة ماهوية تأسيسية .

و الواقـــــــــع أن رورتي كان يعترف بأهمية هذه القراءات المختلفة في إغناء مشروعه الفلسفي ، الأمر الذي كان يدفعه إلى إعداد و تأليف كتب مشتركة حتى مع أشد المناوئين لفلسفته .

إن تأكيد رورتي على الطابع التعاقدي و التشاركي في المحادثة الفلسفية هو إقرار بالطابع النسبي للحقيقة ، و اعتراف بالتنوع و التعدد ، و تأكيد على أهمية السياق ، و دحض لمختلـــــــــف الإيديولوجيات التي كثيرا ما دأبت على تكريس الحقيقة وفق منظومتها المعرفية .

لقد أثرت التطورات العلمية و كذا الاكتشافات و الاختراعات المنهجية و التكنولوجية على الفكر الغربي الذي اتجه في أجزاء عديدة إلى تبني الطروحات النسبية ، خصوصـــــــا و أن النظريات العلمية و تحت دافع الانسجام و المعقولية داخل النسق العلمي كثيرا ما كانت تستند إلى فلسفات معرفية تستمد منها مبرراتها الوجودية [1].

إن تبرير رورتي للنسبية عائد بالأســــــاس إلى موقفه من الفلسفة التي لا يراها علما صارما ، إن على مستوى الوجود أو الإمكان ، و بالتالي ستتبدى فلسفته بوصفها اقتراحا معرفيا طالما أن إقرار الفيلسوف بالنسبية – حسب هالس ستيفن (Halles

(1) بشتة عبد القادر ، **النسبية بين العلم و الفلسفة** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت و الدار البيضاء ، ط 1 ، 2002 ، ص 101 .

(Steven أثناء نقده للسفسطائيين – يلازمه إقرار مزامن بأنة معرفته لا يمكن أن تشكل حقيقة بالمعنى الدوغمائي أو المؤبد للكلمة [1].

و هو في ذلك يعود إلى الأصول البراغماتية في جزئهـــــــا التداولي و كـــــــــذا إلى إسهامـــــــات فتغنشتاين الثاني في اعتبار المعنى حالــــــة فهم مرتبطة بالاستعمـــــــــــال ، زيادة على محاولةاستقصاء و فهم الظاهرة انطلاقا من ربطها بالتحليل العميق للظواهر البديلة و الممكن حدوثها [2].

إن مطلب " التعالي الإكلينيكي " بلغة الدكتور حسين علي هو أمر مشروع و عسير في الوقت نفسه ، حتى في العلوم الأمبريقية ، فعلى الرغم مما يبدو بأن الحقيقة العلمية تجيء مستقلة عن قائلها ؛ إذ لا يحق لعالم النبات أن يستهويه حب زهرة عن بقية الزهور أثناء دراستها أكاديميا ، بالشكل الذي يتحول معه الأمر إلى عائق .

غير أن تحقيق الانضباط المنهجي الصارم أمر متعذر يسهل تحقيقه – و الرأي للدكتور حسين علي – كنماذج مثالية في كتب مناهج البحث من منطلق أن الباحث لا يمكنه أن يزعم إمكانية استقباله للوقائع على شاشة بيضاء محايدة طالما هو نتــــــــــــاج عالم خاص من المعاني و الرموز ، زيادة على الاختلاف في مضمون مصطلح الواقع نفسه ، فهناك من الباحثين من يعتقد بوجود عالم موضوعي مستقل عن فكره ، بمقابل من يتحدث عن الارتباط ، فالحقيقة العلمية – كما يرى حسين علي – " ليست مــــــــن

---

(2) Halles Steven , **Relativism and Fondation of philosophy ,** Edition Abradford book , London , 2006 , P 99 .

(3) محمود زكي نجيب (تحت إشراف) ، **الموسوعة الفلسفية المختصرة** ، تر: فؤاد كامـــل و آخـــرون ، دار القلم ، بيروت ، ب . ت ، ص 410 .

الواقع بل ما يقرره العلماء عن هذا الواقع ، و ليس ثمة حقيقة علمية نهائية (...) و صدق القضية العلمية ، إنما هو التنبؤ بتحقق متواصل لها [1].

أما على صعيد الفلسفة ، فإن الروح الفلسفية تشترط الوعي بالنسبية كحالة ملازمة للفعل الفلسفي ، و ذلك من خلال التنوع الحاصل بالشكل الذي يسمح للفلسفات أن تعبر عن مواقفها و تمثلاتها ضمن أطرها المعرفية الخاصة ، و مرد ذلك إلى تشابك و تعقد المسائل الفلسفية التي تحتاج إلى تجسيد الهاجس التشاركي أثناء البحث والاستقصاء .

لقد نقد أرسطو أفلاطون ، دون أن يعني ذلك فناء فلسفة أفلاطون التي بقيت ضرورية لفهم الفلسفة و تاريخها ، و الحال كذلك مع ماركس و هيغل ، و هو الأمر الذي يمكن من خلاله أن نستوعب براغماتية الجديدة سواء على مستوى بنياتها المعرفية أو في علاقاتها مع التيارات و الفلسفات الأخرى ، بعيـــــدا عـــن منطــــق العدمية من خلال ثنائيتي الهدم و البناء عن طريق القدح المطلق أو التقريظ المطلق .

لقد سعى رورتي حسب قراءة بعض نقاده إلى تجاوز هذا المنطق – إذ أن النسبوية في قطبها الأول تعد تشجيعا للتوتاليتـــارية و الكلانية ، و في قطبها الثاني تعتبر تشجيعا للشذوذ و الإباحية و تبريرا للأعمال المقوضة للسلم و التضامن الاجتماعي – و ذلك عن طريق قيادة الخطوات الفلسفية بين المطلقية المتطرفة و النسبية المتطرفة [2] ، بالشكل الذي حاول من خلاله عدم السقوط في مفهوم النسبية الصريح ، و ذلك بالتأكيد

---

(1) علي حسين ، **العلم و الإيديولوجيا بين الاطلاق و النسبية** ، منشورات مؤتمر العام الخامس عشر للجمعية الفلسفية المصرية ، القاهرة ، د .ط ، 2005 ، ص 09 .

(1) Hardwich Richard and Donald Crosky , **Pragmatism , Neo – Pragmatism and Religion ,** P 256 .

على الحرية في إيجاد المواقف البديلة دون أن يعني ذلك إحداث مساواة مطلقة لمختلف الحلول في أن تكون وسائل فك أزمات لإشكالات معينة [1]

<u>المبحث الثاني:</u> البراغماتية الجديدة بين إمكانات الخطاب و عوائق الواقع

(2) Hall David , **Richard Rorty , prophet and poet of the New pragmatism ,** P 81 .

يتوفر الخطاب الفلسفي من خلال سمة التنظير على فسحة واسعة للقول و إعادته ، طالما أن الحيز الذي يشغله هذا الخطاب ممتد إلى درجة يتعذر فيها حصره من منطلق الكتابة أولا ، و التي تشترط توفر عنصر الحرية ، إضافة إلى خصوصية القراءة إذ من الصعوبة بما كان أن يتحول القارئ إلى مرآة عاكسة للتمثلات و المفاهيم التي أراد صاحب النص قصدها بحرفيتها و تمامها .

إن التعامل مع الواقع يعد معضلة فلسفية بالغة الصعوبة ، خصوصا الواقع السياسي في تعقيداته العائدة أساسا إلى عسر تأطيره فلسفيا ، طالما أن الوقف السياسي لا يحتاج دائما إلى تبريرات معرفية لانفتاحه على الممكن و المفاجئ .

الشيء نفسه ينسحب على القضايا الاجتماعية طالما أن المجتمع في حراكه يخضع لصيرورة لا تعرف الانقضاء نتيجة لبواعث عديدة .

لهذه الأسباب عمد رورتي في براغماتيتـــــــــه الجديدة إلى التركيز على إمكانات التجسيد و احتمالات الفعل ، متجاوزا في ذلك الخوض في إشكالات التأسيس و التأصيل حول طبيعة المعرفة السياسية و الاجتماعية من حيث مصادرها العقلية أو الحسية .

أولا : إطلالة على الواقع السياسي

I – السياسة و إجهاض المشروع الفلسفي

بين الفكر و الواقع علاقة تفاعل مستمر ، فالفكر عبر آلياته المعرفية يحاول فهم الواقع بالشكل الذي يسمح له من تفكيك مكوناته و معرفة أنواعه و مآلاته ، في حين يبقى الواقع فضاء خارج إطار التاريخ في حالة بقائه خارج إطار المعالجة الفكرية .

إن السعي لفهم الممارسة السياسية في إطار طرح أكاديمي يعمد إلى تحديد خارطة طريق وحيدة للفعل السياسي في إطار الديمقراطية الليبرالية مسألة غير مأمولة ، بالنظر إلى التفاعلات و التعقيدات العديدة في الفعل السياسي التي غالبا ما تجعل من السياسة أثناء التطبيق العملي أمرا مختلفا عما هي عليه في النصوص المدونة (1).

لقد جعل رورتي من الديمقراطية بمعناها الليبرالي نقطة الاتفاق الأساسية ، باعتبارها المنطلق و المقصد النهائي في تجسيد الأبعاد المعرفية و الاجتماعية و السياسية من البراغماتيـــــــة الجديدة ، لذلك فإن العمل على تعزيزها و تصويب جانب الفهم و الممارسة فيها ، مسألة ضرورية في إطار تشكيل المجتمع الحضاري عبر توفير الشروط السليمة للمحادثة .

إن الديمقراطية في معناها الليبرالي هي الصيغة النهائية حينما يمتلك الأفراد ثقافة حقوق الإنسان ، في إطار ممارسة سياسية تقر بسيادة القانون المعزز للحرية والعدالة و كذا لمبدأ الفصل بين السلطات .

لذلك أقر رورتي بإمكانية الاتفاق السياسي على مستوى الممارسة خصوصا ، على الرغم من إمكانية الاختلاف الفلسفي ، و ذلك من منطلق أسبقية الديمقراطية على الفلسفة في تصور رورتي الـــذي يـــــرى أنه لا إمكانيـــــة للحديث عن تقدم

---

(1) عناية محمد جلال ، **الفكر السياسي في أمريكا** ، مطابع مصر ، القاهرة ، ط 1 ، 2004 ، ص 09 .

اجتماعي في إطـــــــــار التنوع و التعدد بعيدا عن المواضعة الأولى ، المرتبطة أساسا بمحورية الديمقراطية الليبرالية .

بيد أن اليوتوبيا التي تحدث عنها رورتي – من خلال مفردات المحادثة ، الأمل ، التضامن و كذا الحرية الدينية – لم تجـــــــــد طريقها إلى التطبيق بالشكل الذي تم التفصيل فيه فلسفيا ، و يعود سبب ذلك بحسب رورتي إلى الخـــــــــــوف كحالة نفسيـــــــــــة تقلص مساحة التسامـــــــــــح و الطمأنينة خصوصا مع أولئك الذين يعتقد أنهم سبب الخطر ، الأمر الذي يؤدي إلى استهجان أفعالهم طالما أنها تهدد الديمقراطية الليبرالية [1].

و هي الحالة التي يعترف رورتي بأنها أصبحت ملازمة للمجتمع الأمريكي ، خصوصا بعيد حوادث الحادي عشر من سبتمبر 2001 و الاستغلال الإعلامي لها ، بالشكل الذي أوجد تراجعا مبررا في التعامل مع قضية حقوق الإنسان مما أعطى – حسب رورتي – الأسبقية لأوروبا على حساب الولايات المتحدة الأمريكية * .

و على الرغم من هذا التراجع يبقي رورتي باب الأمل مفتوحا بحكم الخصوصية المتفردة لأمريكا ، و هو تأصيل يحتفي به رورتي في إطار مركزية أمريكية تتجلى بقصدية المتطهرين الذين سكنوا أمريكا بغرض الحرية و الانعتاق ، و كذا في الفلسفة السياسية لجيفرسون القائمة على أساس المواطنة و ممارسة الحقوق المدنية المختلفة ،

---

(1) Rorty Richard , **Objectivity , Relativism and Truth** , P 183 .

* يمكن العودة إلى تصور رورتي من خـــلال حواره مع ميشـــــال قبلان بجريدة النهـــــــار اللبنانيـــة بتاريخ 19 /2004/05 .

إلى الدستور الأمريكي الذي فصل في الحقوق و الواجبات ، مرورا بنضالات مارتن لوثر كينغ ، مالكوم إكس و ستوكلي مار مايكل [1].

و الواقع أن اليوتوبيا الإنسانية التي تحدث عنها رورتي في ضوء تأكيده على قابليتها للتحقق تماشيا مع تعزيز الديمقراطية الليبرالية قد وجدت في طريقها عوائق و مسدات معرفية وواقعية رهنت تأسيسها بمواصلة الأمل .

بيد أن هذا الأمل قد يستحيل إلى حلم مفزع بالشكل الذي تستحيل معه الديمقراطية الليبرالية إلى عقيدة سياسية تغلب المصلحة و تجعل من الفلسفة المتعالية و البرامج الاقتصادية المسطرة أمرا متجاوزا لصالح أهداف نفعية تستجيب لدافع الربح وفق ما يقتضيه اقتصاد السوق [2].

و هو الأمر الذي لاحظـــــــه تشومســــــكي في حديثـــــــــــه عن وجود هوة سحيقة بين الإدعاءات و الممارسة ، ففي نظره إن خروج الولايات المتحدة الأمريكية قوية بعد الحرب العالمية الثانية دفعها إلى السعي إلى المحافظة على هذه القوة الأمر الذي ولد عندها الحاجة إلى قيادة العالم ، مما جعلها تنخرط في عملية تصريف القوة عبر محاربة " الشر المحض " المنخرط بدوره في عملية القضاء على الحلم الأمريكي عبر دعاية تتجه نحو شيطنة الأعداء و تبرير ما يحيق بهم ، الأمر الذي تواصل عبر الاستفادة من مخلفات حوادث الحادي عشر من سبتمبر لنشر جو الخوف بغرض تحقيق البرامج المفضلة .

إن نقد تشومسكي للسياسية الخارجية الأمريكية خصوصا ، يدخل في إطار التقليد الأمريكي المستند على الحرية في التعبير و النشر .

---

(2) عناية محمد جلال ، **الفكر السياسي في أمريكا** ، ص 102 .

(1) Muller Jerry , **The future of Capitalism ,** in , Dialogue Magazine , Washington , Number 85 , 1989 , P 02 .

للإشارة فإن أفكار رورتي تصطدم أيضا بتصور المحافظين الجدد الذين برزوا بقوة بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر ، عبر فلسفة استلهمت أفكار المفكر البريطاني إدموند بيرك و الألماني ليو ستراوس حول ما يتعلق بضرورة المحافظة على القوة و محاربة الأعداء .

إن وجود الباتريوت آكت Patriot Act أو قانون المواطنة الأمريكي قد أبان عن حالة التراجع التـــــي تحدث عنهـــــا رورتي ، وذلك من خلال تعديله لأكثر من خمسة عشر قانونا ، و بالتالي تأريخه لانعطاف من اليوتوبيا المعبر عنها بأرض الأحلام إلى صورة واقعية جعلت من بعض المحللين يستعيدون من خلالها صورة جديدة للمكارثية .

لقد تمثل عذر المحافظين الجدد في محاربة قوى " الشر المحض " ، الذي لا يمكن التعامل معه إلا بنقيضه الأخلاقي المتمثل في " الخير المحض " ، الأمر الذي جعل المحافظين الجدد يستندون في خطابهم المعرفي و السياسي إلى هالة أصولية دينية .

لقد شكل ريتشارد رورتي عبر خطابه المعرفي صوتا مختلفا سواء عن خطاب تشومسكي المعارض أو خطاب المحافظين الجدد المستغرق في نظرة مركزية تعطي للقوة حضورها الأوفر .

صوتا يصطدم في كل مرة بعوائق الواقع و كذا بالممارسات السياسية التي لا تعترف بالمبادئ الأخلاقيـــــة أكثـــــــر من اعترافهـــــــا و ممارستهـــــــــــا للمصلحـــــــــــــة بمختلـــــــــــف تمظهراتها و تجلياتها .

II – محنة حقوق الإنسان في أمريكا

لقد استبعد رورتي حصر الفلسفة في شقها التأملي و هو الأمر الذي دفعه إلى الابتعاد عن التقليد الفلسفي الذي يتجه نحو تأصيل الحلول النظرية للإشكال الفلسفي ، أو البحث في طبيعة المفاهيم بطريقة تفصيلية لا تنزل إلى الواقع إلا حين الانتهاء من التجريد .

لقد شكل النفور من التأصيل عند رورتي الدافع الأساس لفهم المعضلات الفلسفية بطريقة عارضية تتلاءم مع الصيرورة الاجتماعية .

بيد أن ذلك لم ينف إظهاره لقناعات فكرية أرست الملامح العامة لتصوره البراغماتي ، وفق تمثلات شكلت الواجهة المعلنة عن فلسفته .

إذ و على الرغم من معارضته للحروب و الاستعمار في أشكاله الجديدة و المختلفة ، فقد حافظ رورتي في معالجاته السياسية على الإطار العام لقناعاته سواء في إقراره بالأهمية القصوى للديمقراطية الليبرالية أو في أمله الشديد بالمستقبل السياسي و الثقافي لأمريكا على الرغم من اعترافه بإمكانية سقوطها في لحظة فاشية .

إن الهدف الأساس من الديمقراطيـــــــــة الليبراليـــــــــة في نظر رورتي يكمن في السعي الحثيث و المتجدد لإيجاد مجتمع مدني و حضاري يقوم على مفردات الحرية و القانون لأجل احترام حقوق الإنسان .

في هذا الإطار يرى رورتي أن حقوق الإنسان لا تفرض بالقوة ، و إنما هي نتاج نضال طويل يسعى لترشيد الإنسان أولا ، و كذا تحسين الأداء الخدماتي بالشكل الذي يعزز أهمية الطرح الديمقراطي الليبرالي .

بيد أن تصورا على هذه الشاكلة لا يلغي مساهمة الواقع ، إذ أن الواقع ليس فضاء حياديا أو حيزا مرحبا و مشجعا ، بل إن تشكله يخضع بشكل أساس إلى السمة الغالبة

التي يحوزها الأفراد ، و التي لا تعني على الدوام التدخل لتعزيز مكتسبات الديمقراطية الليبرالية ، خصوصا و أن هاجس المصلحـــــة قد يجعـــــل من أي تفصيـــلات نظرية مجرد " حبر مائع على ورق غير مقوى " .

إن الثقة التي يضعها رورتي في مستقبل أمريكا مسألة شعورية تعبر عن إحساس يحتاج إلى أدلة مادية ، خصوصا و أن مستقبل الأمم لا يستند إلى تنبؤات تاريخية ، و هو الأمر الذي يقره دانيال وارنر في إشارته إلى خطورة خطاب التفرد ، و كذا الميل المسبق إلى التشدد في إطار لغة خطابية قد تدفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى تجاوز قدرتها أثناء تأديتها لـــــــدور الزعامة و هو الأمر الذي أدى إلى إفـــــلاس الإمبراطوريـــــــة البريطانية سابقا [1].

إن اعتراف رورتي في سياق عام بأفضلية حقوق الإنسان في أمريكا ، يدخل في سياق منطلقات واقعية استندت أساسا إلى مناخ الحرية المتوفر عبر التاريخ بداية من غرض التأسيس الأول الذي كان دافعه الهروب من الاضطهاد ، مرورا إلى الجو المتوفر للعلماء بما في ذلك الذين هربوا من قمع النازية ..

بيد أن توصيفات النزعة السلمية كحركة فكرية اجتماعية نشأة بنيويورك في مارس 2002 تتعارض مع تفاؤل رورتي بمستقبل الديمقراطية الليبرالية .

لقد أعلن رورتي عن اختلافه مع تشومسكي – كممثل للنزعة السلمية الجديدة – في النظرة لأمريكا حيث يراها رورتي جميلة أكثر مما كان يـــــــــــراها وايتمان و ديوي في ظـــــــل انفتاح و ازدهار ديمقراطي ، في حين يراها تشومسكي – و القول

---

(1) وارنر دانيال ، **السياسة الخارجية الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة** ، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية ، أبو ظبي ، د. ط ، د . ت ، ص 48 .

لرورتي – مكتسحة بقيم الليبرالية الفردانية بانتهاجها سياسية الاغتناء بإفقار العالم الثالث .[1]

و عطفا على ما سبق فإن تشومسكي يرى أن منطق الاستعمال المفرط للقوة ، إضافة إلى سياسية الإنفاق الشديد و الإكثار من الأعداء أمر لا ينسجم مع ما ينبغي أن تكون عليه السياسة الأمريكية .

و الملاحظ أن تشومسكي لا يهادن في مؤلفاته السياسية في نقد و توصيف الجهات التي تنتهك حقوق الإنسان و ذلك من خلال الدعوة إلى تعميم ثقافة حقوق الإنسان و تعزيزها في شكلها الفردي و الاجتماعي ، مدفوعا بقناعته أن " المواطن في أي دولة مسؤول عما تقوم به ، لذلك عليه أن يكون ناقدا لها في الداخل و الخارج " [2].

للإشارة فإن الفرق بين رورتي و تشومسكي يرتبط أساسا بخصوصية المنطلقات المعرفية ، التي جعلت رورتي يصف تشومسكي بالحداثة البعدية .

علما أن تشومسكي يميـــــل إلى التوثيـــــــق بغـــــــرض البحث عن الحجـــــــج المدعمة بالأرقام و النتائج ، و هو بذلك يستعمل أسلوب التحري ، كما أنه لا يميل إلى الاستغراق في تفصيلات و استقصاءات مفاهيمية ، الأمر الذي يجعل من دراساته أقرب من التقارير الصحفية .

أما بالنسبة لرورتي فإن التفاؤل الذي أبداه بمستقبل الديمقراطية الليبرالية و بأمريكا على وجه الخصوص يعبر عن موقف سياسي أكثر منه فلسفي ، خصوصا و أن رورتي فتح مجال القناعة السياسية إلى حدود الإقرار بعدم الربط بين الموقف الفلسفي و السياسي ،

---

(2) Richard Rorty , **Philosophy and Social hope** , P 17 .

(1) تشومسكي نعوم ، **العولمة و الإرهاب : حرب أمريكا على العالم** ، ص 11 .

بمعنى أن رورتي يؤكد على إمكانية الاتفاق السياسي بالرغم من وجود اختلاف فلسفي .

خصوصا و أن الديمقراطية في معناها الليبرالي ليست سلعة جاهزة ، بل إنها تستحيل في نهاية المطاف إلى منظومة أفكار و إلى نسق من المفاهيـــــــم و المعتقدات تبقى رهينة للممارسة ، إذ تحتاج أولا إلى مواطن ديمقراطي يحوز على ثقافة مدنية تساعده على التفاهم و التعامل مع الآخرين في إطار من المدنية و الحضارة .

ثانيا : الواقع الاجتماعي و الامتحان المتكرر

I – أوصاف رومانسية لأجل مجتمع طوباوي

الأمل الاجتماعي الذي تحدث عنه رورتي مرتبط أساسا بتعزيز الديمقراطية في شقها الليبرالي ، حيث تزول الإيديولوجيات الشمولية لصالح إيديولوجية بديلة دون استبدادات تكنوعلمية ، بمقابل مكانة رفيعة للأدب في صورته النقدية و الشاعرية زيادة على الأهمية البالغة المعطاة للمحادثة كنتاج لثقافة ما بعد الفلسفة .

كما يعتقد رورتي أن المجتمعات الغربية في علمانيتها و تطورها التقني و الفلسفي قد استطاعت ملامسة منجزات الأمل الاجتماعي و هو الأمر الذي استنتجه جلبرت أوتوا Gilbert Ottois أثناء إقراره بأن اليوتوبيا الرورتية قد تجسدت في المجتمعات الديمقراطية الليبرالية ذات الرخاء الاقتصادي و الثقافي .

و أبرز نموذج لهذا التمثل في نظر رورتي يكمن في صورة الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث ينطلق من تصور عام متعلق بالاحتفاء بالوطن كحالة ضرورية ، سواء على مستوى الفرد و إخلاصه للوطن أو بالنسبة للوطن في احترامه لذاته من خلال احترام أفراده و ذلك بتوفير الظروف المناسبة للتحسينات الفردية .

لكنه – نظريا أيضا – يحذر من الافتخار الكبير بالوطن ، مخافة أن يؤدي ذلك إلى الإمبريالية و الشوفينية ، الأمر شبيه – كما يتصوره رورتي – على المستوى الفردي بالاحتفاء المبالغ فيه للذات الذي يؤدي بدوره إلى المغالومانيا و الكبر [1] .

و على الرغم من أن رورتي يعترف بأن أمريكا قد سقطت في لحظات عدوانية عبر مسارات تاريخية كان بالإمكان تجاوزها مثل العبودية ، إبادة الأصليين و حرب الفيتنام ، إلا أن الاستفادة من الأخطاء عبر السعي بعدم تكرارها مثل العزاء المعرفي المناسب ، وذلك من خلال التركيـــــــز على النظرة المستقبلية و الرغبة في تحقيق الأمل عبر التطور و تكريس اللحظة المدنية الدائمة و المتجددة التي تجعل أمريكا تفكر استثنائيا [2] .

و هو الأمر المرتبط بتحقيق اليوتوبيا الأمريكية بالشكل الذي أرساه وايتمان و ديوي ، عبر رؤية تفاؤلية تصب كلحظة متفردة في خصوصيتها في الإرث الأخلاقي للأنوار.

و لئن كان رورتي يقر بإمكانية سقوط الولايات المتحدة في لحظة فاشية ، و هو الأمر الذي حدث في سياقات تاريخية معينة ، إلا أنه بالمقابل يعترف بفخره بماضيها إضافة إلى التفاؤل الشديد بمستقبلها .

---

(1) Rorty Richard , **Achieving Our Country ,** P 03 .
(1) Ibid , P 15 .

كما يطرح رورتي تصور المعارضين في الداخل ، الذين يرون المجتمع الليبرالي آيل للانهيـــار و ذلك – كمـــا يقول رورتي – باستعمـــال الأوصـــاف التي قدمهـــا فوكو عن المجتمعـــات المتخلفـــة الممـــارســـة للسلوكـــات الفردانيـــــة المؤججـــة للعنصريـــة و الإفراط في الاستهلاك ، و هو التصـــور الـــذي ينعـــت به رورتـــي نـــوام تشـــومسكـــي Noam Chomsky الذي يصر في انتقاداته – كما يقول رورتي - على القول بأن أمريكا تسير بنخبة مرتشية هدفها اغناء نفسها بإفقار العالم القديم .

و لا يكتفي رورتي بعرض تمثلات المعارضين لطبيعة التقدم الأمريكي ، بل سرعان ما يعمد إلى بسط موقفه المساند للتوجهات الليبرالية في إشارته إلى ضرورة المجتمع التكنولوجي و الديمقراطي في المساعدة على زيادة العدالة و إنقاص المعاناة [1] .

هنا يحق لنا أن نتساءل : هل موقف رورتي مرتبط بالحالة المتعالية للوضع الديمقراطي الليبرالي في الولايات المتحدة الأمريكية ؟ أم الأمر لا يعدو كونه أوصافا رومانسية لأجل مجتمع طوباوي ؟ .

بداية تجدر بنا الإشارة إلى استقصاء مفهوم الطوباوية (اليوتوبيا) خصوصا في ضوء إحالته للامكان ، فالطوباوية تشير إلى تمثل نقدي إبداعي يقوم به المنشئ لأجل إيجاد بديل اجتماعي مساعد على تحقيق الاحتمالات المثلى للوجود ، كالذي أحدثه توماس مـــــــــــــــور Thomas More في أرض الأحلام و توماسو كامبنلا Tommaso Campanella في مدينة الشمس [2].

---

(2) Rorty Richard**, Philosophy and Social hope** , P P 04, 17 .

(1) Ted Honderich , **The Oxford Companion to Philosophy** , P 939 .

و إذا كان تحقيق الآمال على الورق ممكن ، من خلال فتـــــــــح اللغة على الدلالات الشاعرية و كذا على الغائب و المستحيل في إشارة للممكنات الكثيرة التي تحتفي بها اليوتوبيات الروائية مثلا .

إلا أن الواقع في أبعاده المختلفة يقف كــعائق أمـــــام تجسيـــــــد التمثـــــــــــل الطوباوي في عفويته و إطلاقيته ، و هو الأمر الذي أشار إليه بول ريكور Paul Ricœur أثناء قوله بأن اليوتوبيا و إن كانت تبدو أنها تقدم نوعا من الحلم الاجتماعي ، إلا أنها غالبا ما لا تكترث بالخطوات الضرورية الأولى و الواقعية للتحرك [(1)].

للإشارة فإن الأمل الاجتماعي الذي تحدث عنه رورتي بنشر ثقافة ما بعد الفلسفة و توفير الإمكانات للمحادثة السليمة ، لا يحيل بالضرورة إلى تعذر التحقق ، فإضافة إلى اعتبار تمثلاته أقل حدة من الخيالات العاطفية التي يستند إليهـــــــــا الباحث و الشاعر جيوفاني بانيني (1881 – 1956) Giovanni Papini في براغماتيته السحرية Magical Pragmatismالتي تأثر من خلالها و بشكل ثوري ببراغماتية جيمس [(2)] .

كما أن إحداث التقدم و احترام حقوق الإنسان و تأصيل العدالة أمر لا يعد بأي حال من الأحوال مستحيلا في إطار الجهد الاجتماعي المبني على الرغبة المطبقة في تجسيد ذلك .

إن إقرار رورتي بأسبقية الديمقراطية على الفلسفة يجعل من دمقرطة الواقع في شكله الليبرالي – كما تصوره رورتي المعتمد على الحرية و الفردية و التضامن – فارقا جوهريا يمكن من خلاله تمييز الديمقراطية الفعلية عن الديمقراطية الوهمية .

---

(2) ريكور بول ، **محضرات في الإيديولوجيا و اليوتوبيا** ، تحرير و تقديم جورج تايلور ، تر : فلاح رحيم ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 2002 ، ص 48 .

(3) Wiener Philip , **The Dictionary of The History of Idea** , Charles Scibver's sons publishes , New York , 1973 , P 563 .

كما أن خطورة اليوتوبيا تكمن في طبيعة الإيديولوجيا المستتر داخلها ، و التي تجعل من حجب الواقع و تزييفه هاجسهـــــــــــا الأول ، و ذلك بالانطـــــلاق من إرساء تصورات عاطفية و تسويق مأمولات تتغذى من الحرمان في معانيه المتعددة ، و هي الإحالة التي قدمها ريتشارد رورتي من خلال احتفائه بالرواية العالمية مزرعة الحيوانات Animal Farm لجورج أورويل George Orwell التي تحذر المجتمعات الإنسانية من إغواء الإيديولوجيا في تركيزها على الغائب و المفقود .

إن نمط اليوتوبيا المستحيلة لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يحجب ضرورة اليوتوبيا الممكنة ، فكثير من الوقائع المحققة نتيجة الجهد الإنساني كانت في السابق يوتوبيا مستحيلة .

بل على العكس من ذلك تماما فإن اليوتوبيا الممكنة التي تؤمن بضعف الإنسان أولا ، ثم إمكانية تحقيق ذاته تعد أنسب رد لاستبدادات اليوتوبيا المضادة ، خصوصا و أن المجتمع البشري عبر حروبه العالمية و الأهلية ، و كذا بسبـــــب انتشار العنف و الأمراض بتنوعاتها – سواء في عموميته أو في أجزائه – لازال يمر بتجارب لا إنسانية تجعل من ضرورة التوصيف و البحث عن الحلول النظرية و العملية قضية ضرورية و دائمة .

II – بين الفردية و التضامن : حدود صراع الأنا و الآخر

فلسفيا يمكن التفريق بين الفردية Individuality و الفردانية Individualism ، إذ تشير الفردية إلى الخصوصية المتعلقة بالإنسان ، و هو الأمر الذي دفع كثيرا من الفلسفات إلى اعتبار هذه الوحدة غاية أساسية في الوجود .

في حين تعبر الفردانية عن مذهب فكري و نزعة معرفية ترى أن الفـــــــرد أساس كل حقيقة وجوديــــــــة ، بالشكـــــــــل الذي يدفـــــع تفسيــــــــــر الصيرورة الحاصلة في الظواهـــــــــر الاجتماعية و التاريخية بالفاعلية الفردية (1) .

و الواقع أن الليبرالية تتأسس على فهـــــــم الإنسان بوصفه كيانا مستقلا عن الأفراد الآخرين ، خصوصا و أن مسألة الدعوة للفرد المواطن الحر شكلت شرطا و مظهرا للحضارة الغربية منذ عهد الأنوار .

لقد عمد رورتي في كثير من مواقفه الفلسفية إلى إيجاد فلسفة توازن بين سلطة الفـــــــــرد و سلطة المجتمع ، فبقاء الفردية في إطلاقيتها و شراستها تدفع الإنسان إلى إرادة السيطرة حينما يقيس الأشياء بمنطق الربح و الخسارة ، الأمر الذي – بحسب رورتي – يؤدي إلى برودة العلاقات الاجتماعية بالشكل الذي يشجـــــع على الانسحاب و الانكفاء على الـــــــــــذات ، أو الاتجاه نحو تحقيق الرغبات و حل المشكلات عن طريق العنف و الإجرام .

إن احتفاء رورتي بالمواطن الليبرالي الساخري يهدف أساسا إلى اشتراط الديمقراطية في بعدها الليبرالي ، ثم ربط ذلك بما هو ساخري بغرض تخفيف المعاناة و الخروج عن الصرامة و الجدية المبالغ فيها ، و هو الأمر الذي قد يؤدي بالفرد إلى الإحباط الشديد أثناء اصطدامه بالعوائق .

---

(1) الكحلاني حسن ، **الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر** ، مكتبة مدبولي القاهرة ، 2004 ، ص 23 .

فالفرد الليبرالي الساخري هو الوضع الفردي الأنسب لأمريكا باعتبارها – على حد وصف رورتي – الحالة الأجمل ضمن العوالم الممكنة .

إن الساخرية الليبرالية في إطارها الفردي لا تفهم في سياقها اللفظي الحرفي في إحالة إلى الاستهزاء الممكن ، بل على العكس تماما ، حيث أن سياق الساخرية لا يتباعد عن الإطار العارضي في التعامل مع المسائل ، بمعنى إلغاء التصور الشمولي ، في مختلف استبداداته لصالح توجه جمالي يعبر فيه الموقف – إضافة إلى الصورة الجمالية نفسها – عن حالة وجدانية تعطي للموقف الجمالي خصوصيته [1] .

و يظهر الارتباط بالمعطى الاجتماعي عند الفرد الليبرالي الساخري في رفض كل حالات الظلم و القهر ، ليكون البديل الدائم لبرلة دائمة و متجددة للواقع ، تعزز آلياته الديمقراطية ، وتمنع أشكال الاستبدادات من الإقامة الدائمة في السياق الاجتماعي ، فالليبرالي الساخري عند رورتي يمثل الدعامة الأساسية لليبرالية و التضامن الاجتماعي ، و ذلك بناء على قناعته الدائمة بفظاعة الجبروت داخل السياق الاجتماعي [2] .

لقد عمد رورتي في بنائه النظري على إحياء المواءمة بين الفردية و التضامن ، كحل فلسفي يدرأ من خلاله مثالب الفردية في صورتها الشرسة بالطريقة التي يتجاوز بها نكران الذات من جهة و أنماط الأنانية من جانب آخر ، إذ أن التضامـــــــــــــن يحقق فكرة المواطنـــــــة و الانتماء في إشارته للروابط المجتمعية التي تتمظهر بوصفها عاملا للحركة و الدينامكية .

(1) Sheppard Anne , **Aesthetics : An Introduction to the philosophy of art** , Oxford University press , UK , Second published , 1989 , P 18 .
(2) Rorty Richard , **Contingency , Irony and Solidarity ,** P XI.

إن الهدف الأساس بتأكيد رورتي على التضامن يكمن في إحداث الانسجام بين الدعائم الأساسية للبراغماتية الجديدة ، فالبراغماتية الجديدة مبنية على التضامن أكثر من الموضوعية ، بالشكل الذي يعيد بعث الرومانسية كمبدأ فلسفي أساسي ، خصوصا و أن أسوء أنماط الأنانية في تصور رورتي يكمن في البخل بعواطف الأمل و مشاعر التضامن اتجاه المستقبل و الآخرين .

و على الرغم من الواقع السياسي و الاجتماعي الظاهر في طغيان الفردية عبر سيطرة قيم السوق و سلطة اليومي ، و كذا انكفاء العلاقات الاجتماعية باقتصارها الشديد على المراسمية و المناسباتية ، إلا أن رورتي يظل في كل مرة مرتبط بالأمل ، بالبحث عن أرضية مشتركة للتفكير و السعي لتجسيدها بتعزيز الديمقراطية في معناها الليبرالي ، عبر تشجيع أبعادها الإنسانية و بالمقابل نقد انحيازاتها و انحرافاتها .

إن نمطية الثقافة الاستهلاكية تعبر عن تهديد صريح للتضامن الاجتماعي كنتاج لتعزيز الديمقراطية الليبرالية ، إذ أن فرض الحاجات الكمالية في الحياة اليومية عن طريق استعمال وسائل الإشهار المؤثرة ، و كذا بالاستعانة بالمشاهير في بحث عن دمقرطة موضعية للحياة الاقتصادية ، و ذلك بدفع الفقراء و اللا محظوظين بتعبير راولس إلى اقتناء هذا النمط من السلع الأمر الذي يعد تهديدا للتفاهم الاجتمـــــــاعي ، لذلك – كما يقول الباحث محمد جديدي – " لجأ ريتشارد رورتي إلى مصادر أخرى غير الفلسفة لأنه وجدها أكثر تعبيـــــــــرا عــن معانـــــــاة الكائـــــــــن البشـــــــــــري و بؤسه ، و بالتالي أكثر إبرازا و دعوة للتضامـــــــن كالقصص و الروايات ،

الشعـــــــر ، تقاريـــــــر الصحـــف ، السينمـــــــا ، التلفزيـــون (...) و باختصار كل ما تنقله وسائل الإعلام عن آلام الإنسان و ضعفه " [1]

المبحث الثالث: الموقع المعرفي للبراغماتية الجديدة

لقد استطاع رورتي باعتباره الفاعل الأبرز في مشروع البراغماتية الجديدة أن يساهم في تنشيط الحوار الفلسفي و تفعيله في أمكنة جغرافية تجاوزت حدود أمريكا المعروفة ، الأمر لا يتعلق بمواقفه الأكاديمية فقط ، بل يتعداه إلى رؤية جعلته ينخرط في مساءلات للواقع و الفكر عبر تدخلاته المعرفية في كثير من الأزمات و القضايا الساخنة التي مرت بها البشرية خصوصا في حالتها المعاصرة .

إن إطلالة رورتي المتكررة عبر الصحافة العالمية المرئية و المكتوبة ، و زياراته لكثير من بلدان العالم – بما في ذلك لبنان كبلد عربي – أهلته أن يخرج عن جاهزية القول الصادر عن التفكير النظري .

و الدليل على ذلك موقفه الصريح المعارض لاستعمال القوة العسكرية في قضايا مفتعلة الغرض منها الحصول على موارد الطاقة .

إن الجدل الذي أثاره رورتي في الساحة الفكرية العالمية لا يرتبط بخصوصية إنتاجه المعرفي وصداه في الفكر المعاصر فقط ، بل يتعداه إلى خصوصية شخصيته المعرفية من خلال محاولات موقعته بالنظر إلى طبيعة اهتماماته .

---

(1) جديدي محمد ، **تصور الآخر في البناء الاجتماعي ، رؤية الفيلسوف ريتشارد رورتي** ، مجلة أيس ، مؤسسة الأخبار للصحافة ، الجزائر ، العدد 02 ، السداسي الأول ، 2007 ، ص 51 .

أولا : التقاطعات المعرفية للبراغماتية الجديدة

I – التشابك العلائقي و سؤال الحداثة

لا يمكن استعاب الحداثة البعدية إلا من خلال استعاب الحداثة الأولى ، التي تشير بمعناها الفلسفي إلى ذاك المنجز المتعدد الأبعاد الذي حدث في عصر الأنوار من خلال الانعطـــــــــاف الديكارتي بإعلاء أهمية العقل و إبعاده عن كل معيقاته من أسطورة وشك مذهبي .

كما تشير أيضا إلى إسهام إمانويل كانط في فلسفته النقدية من خلال نقد ابستمولوجيا الأخلاق و كذا الحكم الجمالي [1] .

و الواقع أن الحداثة في معطاها العام تتجه صوب تكريس الكونية العقلانية ، من منطلق التصور الديكارتي القاضي بأن العقل أعدل القسمة بين الناس ، فهي تقدم جملة من الامتيازات الفكرية و الإيديولوجية بحجة الاستفادة من الأخطاء التاريخية الماضية التي أنهكت المجتمعات الغربية ، لصالح الانطلاق في حياة جديدة تعلي من شأن العقل كما تستثمر الطبيعة الإنسانية و الفيزيقية ، بالشكل الذي يطور المعرفة خصوصا في شقها الأمبريقي بغية تسهيل الحياة .

(1) Ted Horderich , **The Oxford Companion to Philosophy**, P 617 .

بيد أن الحراك الفلسفي جعل مسألة تحنيط الحداثة أمرا متجاوزا ، و الحجة الأساسية في ذلك استبعاد العقل كمصدر وحيد للمعرفة ، لتكتشف " بربرية اللوح الأسود " بتعبير مطـــــاع صفدي ، الذي يمثل العقل في صنميته و ثباته حينما تحال الكتابة أثناء المسح للعدم ، لأن اللوح الأسود يظل بعدها دائما ، لأنه يظل قبلها دائما [1] .

لقد أرست الحداثة البعدية تعاليمها من خلال نقد الحداثة الأولى و تجاوز سلبياتها ، في الإشارة إلى تكريس التعددية المعرفية و إعطاء الأهمية البالغة للثقافات المهمشة ، زيادة على وضع القطيعة مع الإيديولوجيات الكبـــــرى و كذا تكريس النقد و الابتعاد عن المطلقية .

و تجدر الإشارة إلى أن عنصر الغموض و تعدد المعنى من زاوية المضامين المعطـــــــاة و طريقة التوظيف ، يتجلى أكثر في مجال ما بعد الحداثة الذي غالبا ما تتغير دلالاته المعرفية و السياقية انطلاقا من المحمولات المعطاة من طرف المستعملين ، علما أن توظيفه الأول بـــــــــدأ في مجال الهندســــــــــة المعمارية مع المهنـــــــدس الأمريكي شارل جنكس Charles Jencks في سبعينيات القرن المنصرم [2] .

و انطلاقا من تحليل المضامين السابقة فإن رورتي يتماهى أكثر مع طروحات الحداثة البعدية ، و هو الأمر الذي يتجه إليه معظم نقاده في إشارة إلى تقاطعاته المعرفية مع أبرز فلاسفة ما بعد الحداثة كالفرنسيين فرانسوا ليوطار Francois Lyotard و ميشال سرس Michel Serres ، إضافة إلى الايطالي جياني فاتيمو Gianni Vattino ، رغم

---

(2) صفدي مطـــــاع ، **نقد العقل الغربي ، الحداثة ما بعد الحداثة** ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، 1990 ، ص 225 .

(1) Ted Horderich , **The Oxford Companion to Philosophy**, P 464 .

أن رورتي في أغلب الأحايين يصف نفسه ليبراليا ساخرا ، معارضا للماهوية أو بشكل دقيق براغماتيا جديدا [1] .

و الواقع أن مسألة التقارب بين ريتشارد رورتي و فرانسوا ليوطار تبدو واضحة من خلال مضامين معرفيـــــــة عديـــــــــــدة – دون أن يعني ذلك تماهيا بينهما – سواء ما تعلـــــــــق بالاهتمام بالهامشي أو بالميتا فلسفة و كذا الأدب و الشعر ، زيادة على إبداء المعارضة للاستبدادات التكنوعلمية في تقويضها دعائم الشعر و الرومانسية ، و بشكل عام في التقاطع حول مسألة إخفاق الحداثة في تحقيق وعودها خصوصا ما تعلـــق بالتصور المـــــــــــرآوي في إشارة للعقل و علاقته الانعكاسية [2] .

كما أنهما يشتركان في الاختلاف مع مشروع هابرماس حول مسألة الفعل التواصلي ، الذي يتحدث فيه عن صيرورة عقلانية تفي بالغرض من خلال الحراك المعرفي الذي يجعل من الحداثة مشروعا لا يعرف الانقضاء .

غير أن ليوطار يمارس نقدا جديدا لمشروع هابرماس القاضي بديمومة الحداثة طالما أنها مشروع ناقص ، معلنا بشكل صريح أن مشروع الحداثة قد انتهى في ضوء عجزه عن مسايرة التحولات و الأحداث .

بالمقابل ، فقد شكلت المقاربات التي وضعها عدد كبير من المشتغلين بالفلسفة الغربية المعاصرة بين رورتي و هابرماس حلقة إغناء شديدة ، و هو الأمر الذي تم بالفعل في إطار حوارات أكاديمية نادرة تجاوزت السقوط في حيثيات القدح و التشهير .

و على الرغم من التقارب المعرفي بينهما سواء في التأكيد على أهمية الحوار في بعده الاجتماعي كفعل محادثاتي عند رورتي و تواصلي عند هابرماس أو في منطق اللغة

---

(2) Rorty Richard , **L'espoir au lieu du Savoir** , P P 43 , 68 .

(1) جديدي محمد ، **الحداثة و ما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي** ، ص 162 .

داخل التشكيل المفتوح المرتبط أساسا بتوظيف السرد فلسفيا ، و كذا في حديثهما عن مفصلية المعرفة الجمالية في إحداث الانتقال و إنقاص المعاناة ، إلا أن اختلافهما الفلسفي يكمن أساسا في الموقف من الحداثة عبر أقانيمها المؤسسة ، إذ عمد هابرماس إلى الدفاع عن الحداثـــــــــــة من زاويـــــــــــة الربط بين الجانب الجمالي و التوظيف العقلي خارج سياقـــــــه المركزي المحنط ، كفاعلية تخدم أساسا صيغته في إحداث التواصل المستمر [1] .

و على الرغم من احتفاء رورتي بانتمائه للبراغماتية الجديدة إلا أن تقاطعاته الفلسفية مع الحداثة البعدية تبدو جلية حسب جلبرت أوتوا ، و هو التقاطع الملاحظ أساسا من الاستشهادات التي يستند إليها رورتي عبر نصوص تابعة لفلاسفة الاختلاف و النتشويين الجدد على حسب تعبير هابرماس .

و إذا كان رورتي ينعت هابرماس بوصفه ميتافيزيقا ليبراليا بسبب استعماله " مفردات نهائية " و سعيه الحثيث لتأسيس " عقل عالمي " ، و بالتالي إعادة بعث المنطلقات الأساسيــــــة للفلسفات الماهوية التي أحدثت الأزمة الشديدة للإنسان و الفلسفة بحسب رورتي ، فإن هابرمـــــــاس يراه سياقيا نسبويا من خلال رفضه لقيم الحداثة بمعناها التأسيسي [2] .

و تنبغي الإشارة إلى أن حوار الحداثة و ما بعدها شكل فرصة إغناء لأبجديات الفلسفة الغربية ، و ذلك من خلال نقد و تقييم الأسس المعرفية التي قام عليها عصر الأنوار في الدعوة إلى العقلانية و الحرية و الفردانية .

---

(2) Shusterman Richard , **Practicing Philosophy : pragmatism the philosophical life** , P 114 .

(1) Bernstein Richard , **Faire la part de ce qui sépare Rorty et Habermas et se situer Dans L'entre – Deux** , In , **La Modernité en question de Richard Rorty à Yurgen Habermas** , Les Editions du Cerf , Paris , 2006 , P 13 .

خصوصا و أن هذه المبادئ السامية – كما يقول المقيمون – أسيئ استعمالها بالشكل الذي ولد أخطاء عديدة لعل أهمها الديكتاتوريات ، الحروب و الاستعمار .

II – البراغماتية الجديدة بمقابل المجتمع التداولي

لا يعني اعتبار الفلسفة إنتاجا إنسانيـــــــــا صرفا نفي السياقات الاجتماعية المساعـــــــــــدة و المثبطة للاشتغال الفلسفي أو تقويض الحديث عن ظروف موضوعية تعطي للإنتاج الفلسفي مشروعيته و أهميته ، و من ثمة يبدو أنه من الضروري أن نتساءل عن طبيعة الحضور الفلسفي لمشروع براغماتية رورتي الجديدة ضمن إطار الفلسفة المكتوبة باللغة العربية.

بمعنى آخر البحث سواء على صعيد الأفكار أو الأشخاص في تجليات البراغماتية الجديدة عبر تقاطعات معرفية على شاكلة تناصات مختلفة الأشكال و الأنواع .

و هو الاستقصاء الذي يتطلب منا مقاربة معرفية بين أفكار رورتي و أفكار فلسفية أخرى تحمل كثيرا من المضامين الفكرية و المنهجية للبراغماتية الجديدة شريطة أنها تخاطب سياقنا الاجتماعي .

مدفوعيـــــــن في ذلـــــك بالأهـــــــــداف المعلنـــــــــــة التـــــــــــي تقدمهـــــــــا الفلسفة المقارنة (Comparative philosophy) كرافد معرفي يرنو أساسا

إلى فهم و تفهم السياقات الاجتماعية و كذا الاختلاف بين المجتمعات من خلال الإنتاجات المعرفية .

إننا لا نود هنا أن نبحث في وضع مقاربة لإنتاج فلسفة ثالثة ، و إنما البحث بغرض تجلية تقاطعات أساسية ، بغض النظر عن التفحص في افتراقات جوهرية و تفصيلية ، و هي الإمكانيـــــــة التـــــــي قدمها أرشـــــي باهم (Archie Bahm) أثناء عرضه لمفهوم الفلسفة المقارنة (1).

و الواقع أن التمثلات الفلسفية للمفكر اللبناني على حرب تشكل المبرر الأنسب لمقاربته مع رورتي * ، تحديدا من خلال الإطار العام الذي يجمع بين تصور " المجتمع التداولي " عند علي حرب ، و " البراغماتية الجديدة " عند ريتشارد رورتي .

و على الرغم من الاختلاف في السياق التباين في خصوصيات الإشكالات و الأزمات المطروحة باعتبار الثاني – أقصد علي حرب – ينتمي كما يشير هو بنفسه إلى عالم ناطـــــق بالعربيـــــــــة يعاني أزمات متراكمــــــة متعلقة بقضايا التنميـــــة ، التحديث ، المعرفة و الحرية .

إلا أن التقاطعـــات الأساسية بين البراغماتيـــــــــة الجديدة – في جانبها المحادثاتي خصوصا – و المجتمع التداولي تظهر بشكل بارز من خلال مفهوم الفلسفة و الحقيقة ، و كذا وظيفة الفيلسوف إضافة إلى اللغة الفلسفة من منظور ما يسمى بالسرد الفلسفي الجديد .

---

(1) Bahm Archie , **Comparative philosophy** , World book , Las Lonas , USA , 2 Edition , 1995 , P 08 .

* و هو ما ذهب إليه الباحث الزين محمد شوقي في مقاربته بين رورتي و حرب من خلال مهنة الفلسفة (**تأويلات و تفكيكات** ، ص 178) .

فالفلسفة عند رورتي إبداع إنساني يقتـــــرب أكثر من سمات الشعر ، و الحقيقة مسألة سياقية لا ماهوية ترتبط أساسا بالتعاقد الاجتماعي و لا تعترف بمعيار عالمي أو قاعدة صارمة ينبغي إتباعها (1).

في حين يرى علي حرب أن " الفلسفة كالشعر أو الفن تجربة فريدة يعبر بواسطتها المرء المسمى فيلسوفا عن شكل اهتمامه بذاته أو عن طريقة تعامله مع الحقيقة " (2).

كما أن علي حرب يدحض المنطق الماهوي التأسيسي الذي ينظر إلى الحقيقة كجوهر ثابت سابق على التجربة و خارج عن إطار الممارسة ، و بالمقابل يرى الحل في إقامة المجتمع التداولي بالشكل الذي يقترب من فكرة المحادثة عند رورتي .

إن فكـــــــــــــرة التداول تتأسس على الحوار و تدعو إلى سياســـــــــات جديــــــدة للتعامـــــــل مع الهويات و المفاهيــــــــم ،عن طريق تبني قيم الشراكة المعرفية بين جميع الحقول و القطاعات .

و هو الفهم الذي يجعل من الفلسفة وجودا تاريخيا يعترف بالتغير المستمر و بالصيرورة الدائمة ، و يجعل من اللغة الفلسفية عملا إبداعيا خارج إطار اللغة التوتاليتارية ، من خلال انفتاحها و اعتبارها في حد ذاتها إمكانا للوجـــــــود و المعرفــــــــة و ليس تمثيلا مرآويا للأشياء و المفاهيم ، بالشكل الذي يعطيها طابع الجدة من خلال جمعها بين جمالية الأسلوب و متانة المفهوم أو منطق البحث و متعة النص .

و فيما يتعلق بدور الفيلسوف ، فقد سعى رورتي إلى تقويض الصورة الأقنومية التقديسية التي طالما رسمت للفيلسوف كباحث عن الحقيقة و مكتشف لها ، من خلال

---

(1) Rorty Richard, **Conséquences du Pragmatisme** , P 63 .

(2) حرب علي ، **الممنوع و الممتنع : نقد الذات المفكرة** ، المركز الثقافي العربي ، بيــروت و الدار البيضاء ، ط 4 ، 2005 ، ص 44 .

الحديث عن نهاية الفيلسوف بالمعنى الذي يجعله خارج إطار التاريخ ، لصالح صورة مرتبطة أساسا بالفاعلية و الجدارة ، و ذلك بالانخراط في المحادثة و المشاركة في حل الأزمات و المعضلات في إطار التعاون الحاصل بين الممثلين للأنماط المعرفية المختلفة .

و هو الذي ينسجم في مجمله مع تصور علي حرب الذي اتجه إلى نقد دور الفيلسوف داعيا إياه إلى مراجعة أفكاره و مواقفه و التخلي عن عاداته الذهنية و تقاليده الفكرية ، من منطلق أنه لم يعد محتكرا للحقيقة ، بل أن وظيفته لا تعدو كونه مثقفا صاحب مهنة كسائر الناس ، عليه أن يثبت فاعليته و جدواه و ذلك بإتقان عمله .

فالفيلسوف – أو المثقف في شكله العام – عند علي حرب لم يعد المثبت الوحيد للحقائق ، و لا القاضي المتفرد الذي يحكم بين الصدق و الكذب ، و لا العامل الوحيد الذي تتوقف عنده حياة المجتمعات أو فنائها ، و ذلك للتغير الحاصل في طبيعة الصيرورة الاجتماعية ، و هو الأمر الذي يوضحه علي حرب بقوله بأن " العالم لا يصنعه اليوم المثقفون بنظرياتهم و إيديولوجياتهم ، بقدر ما يصنعه الفاعلون الاجتماعيون (...) الذين هم بشكل خاص رجال الأعمال ، و مصممي الأزياء ، و نجوم الغناء ، و أبطال الشاشة ، و لاعبي الكرة ، و مهندسي الحواسيب ، و أباطرة المؤسسات الإعلامية " [1].

ثانيا: البراغماتية الجديدة : سؤال الهوية و إجابة الحضور المعرفي

I – سؤال الهوية وجدل الواقع و المتخيل

(1) حرب علي ، **أوهام النخبة أو نقد المثقف** ، ص 96 .

يحتاج العمل الفلسفي إلى وقت وجهد من أجل أن يتبلور في صورة متقنة ، إذ لا مندوحة عن البحث و الاستقصاء في إطار مغامرة لا تعرف الانقضاء عن التفصيلات الضامنة للجودة .

إن السعي للإجادة الفلسفية قد فرض في لحظات تاريخية الاتجاه نحو المطابقة ، بالشكل الذي صار معه العقل وسيلة المعرفة المثلى ، إلى درجة حيازة الانفعال بغرض الوصول إلى العقل المطلق كصورة نهائية للاستعمال ، مما أوجد الرغبة في تجاوز استبداداته بعد أن استنفد كل طاقاته ، الأمر الذي أدى إلى السعي نحو التجريـــــــب ، عبر إعطاء الحيــــــــاة

حضورها الأوفر خارج إطار العقل ، و ذلك بالاتجاه نحو تخفيف الصرامة و تجديد الآفاق عبر خطاب اللامعقول ، باستدعاء الهامشي ، المفاجئ و المغيب و كذا الأسطورة و الفن .

و الواقع أن البراغماتية الجديدة عبر إسهامات ممثلها الأبرز ريتشارد رورتي قد عمدت إلى إحداث التفاعل الكيفي عبر معادلتين اثنتين .

ترتبط الأولى بالجدة التي لم تهمل القديم ، و ذلك من خلال استدعاء نصوص معرفية تاريخية كان لديوي فيها النصيب الأكبر .

في حين تتعلق الثانية بقضية التفاعل المستمر و المتجدد بين الواقع و المتخيل أو تحديدا بين الفلسفة كممارسة صارمة و بين الشاعرية .

و رغم التوصيف السابق إلا أن سؤال التجنيس أي إعادة الخطاب المعرفي إلى أصوله الأولى قضية لم تعد سهلة في كل الأحوال ، و هو الأمر الذي يزيده التفاعل المستمر بين المعارف تعقيدا .

و هي الصعوبة التي تحدث عنها دافيد هال أثناء تعامله مع نصوص رورتي بين اعتباره شاعرا أو فيلسوفا بالشكل الذي تتحدد معه الإجابة حينما يتعلق الأمر بالطبيعة المعرفية للبراغماتية الجديدة .

خصوصا و أن المنطلق الأول في ميـــــــــل رورتي إلى الاحتفاء بالشعر منطلق عائلي بالأساس ، فأبوه ذي الأصول الإرلندية كما يقول نيل غروس Neil Gross كان شاعرا .

زيادة على طبيعة تنشئته النفسية و المعرفية سواء في قناعاته حول ضرورة النضال السياسي أو التعلق بالطبيعة عبر الوله بالأوركيد البري .

لقد عمـــــــــدت البراغماتية الجديدة إلى الانطلاق من الواقع في استقصائها للحالة الأمريكية أولا ، على مستوى الراهن و التاريخ ، بالتأكيد على مفصلية اللغة خصوصا و أن الواقع الفعلي للإنسان لا يمكنه أن يستوعب خارج أطرها .

كما أن تنديدها بالاستبدادات التكنوعلمية لا يعني رفضا للمعرفة العلمية المطبقة ، بقدر ما يمكن اعتباره تنديدا بالنتائج الوخيمة حينما تستعمل نتائج العلم لإبادة الإنسان .

فالبشرية بحسب رورتي ينبغي أن تستفيد من أخطائها بالعمل على البحث في أسباب هذه الأخطاء بغية عدم تكرارها .

بيد أن رورتي لم يعمد إلى معالجة هذه الوقائع انطلاقا من تصور مرآوي كالذي فرضته الوضعية المنطقية عبر عنصر التحقق ، بل اتجه نحو مساءلة الواقع و اقتراح المحادثة لتكون الحل الأنسب عبر ما تثيره من أسئلة و ما تقدمه من إجابات .

كما أن احتفاء رورتي بالرواية جاء في سياق التأكيد على إمكانية التعامل بين الخطاب الفلسفي و الأدب ، إذ تقدم الرواية عبر سردها للأفعال اللغوية و التبادلات الاجتماعية المثال الأنسب لاحتمالات المتخيل الإنساني في إطار الوقائع الفنية المقدمة .

إن القول بحضور المتخيل في التصور الرورتوي يحيل بالأساس إلى الآفاق المفتوحة التي تحوزها البراغماتية الجديدة ، فبحسب دافيد هال ليس ثمة شيئا في إبداع رورتي المعرفي يدفعنا إلى التمييز بين اعتباره شاعرا أو فيلسوفا ، من منطلق غياب المحاذير التي تمنع الفيلسوف من مساءلة الخطاب الشعري ، و بالتالي من تقديم خطابه المعرفي بصورة يتقاطع من خلالها ما هو واقعي بما هو محتمل [1].

لتحضر الشاعرية عبر تركيزها على الأثر ، أي الانطباع الذي يتركه الإبداع ، دون أن يعني ذلك الاكتفاء بآليات التخليـــــــق الشعري على حساب الفعـــــــــل و الممارسة ، خصوصا و أن الأمر يستحيل إلى عودة للتزود من معنى الشاعرية في حريتها و تلقائيتها و تدفقها لكي تتجدد الرؤية و يلتقي الفهم بالشعور [2].

إن إحداث التفاعل بين الواقع و المتخيل أثناء السعي لتحقيق يوتوبيا إنسانية كحالة متأخرة بعد توفير شروطها المتمثلة في تعزيز الوضع الديمقراطي الليبرالي ، هو إقرار

---

(1) Hall David , **Richard Rorty , prophet and poet of the New pragmatism ,** P 196 .

(1) إبراهيم وفاء ، **الفلسفـــــــة و الشعـــــر ، الوعي : بين المفهوم و الصـــــورة** ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، د ت ، ص 33.

بالجانب الإبداعي لمفاهيمها بعدم إغفالها للمنظومة الخيالية و الرمزية وفق ما يتطلبه السياق .

خصوصا و أن المتخيل لا يعـــــدو كونـــــــه واقعا متوقعــــــا ، دون أن يحيـــــــــل إلى التهويـــــم أو التخمين المرتبط بإطلاقية الآراء الشائعة و الأحكام المتسرعة .

إن البراغماتية الجديدة حسب النسخة التي قدمها رورتي تتأسس على السعي لاستعاب الواقع عبر استعمال اللغة ، و على الرغم من إمكانية الحديث عن سلطة اللغة وفق توصيفات بورديو و ميشال فوكو ، إلا أن القرارات الأساسية المرتبطة بالشأن العام ليست رهينة لمواقف الفلاسفة و لا لتحليلاتهم ، بل هي نتاج يحضر في " المطبخ السياسي " الذي يتأسس وجوده على القوة المطبقة .

II – رهان الحضور في الفلسفة المعاصرة

يرى المراقبون للشأن الفكري الأمريكي المعاصر ، أن الفلسفة الأمريكية شهدت تطورا كبيرا بالنظر إلى أسباب عديدة تكمن أساسا في الإمكانات الهائلة المتاحة لها .

فحسب تيد هورنيش Ted Honderich فإن التطور الهائل للفلسفات التطبيقية في أمريكا عائد أساسا إلى الانعكاس الحاصل في العلم ، القانون ، الأعمال و استعمال الكمبيوتر ،

بمقابل تطور آخر في الفلسفة الاجتماعية ارتبط بالمناقشات حول مسائل العدالة الاقتصادية ، الثروة الاجتماعية ، الإجهاض ، الدفاع العسكري ... [1].

لذلك أصبح من المتعذر معرفة الفلسفة الأمريكية من زاوية واحدة ، بحكم التنوع المستفيض في الرؤى الفلسفية حتى داخل الاتجاه الفلسفي الواحد .

و هو القول الذي ينسحب على البراغماتية الجديدة ، كاتجاه فلسفي أعاد الحضور للتقليد البراغماتي عبر تحيين مستمر يأخذ بعين الاعتبار ما استجد من الوقائع و الإشكالات .

لقد تبدت البراغماتية في صيغتها الرورتية في إطار فلسفة اجتماعية ، تغير معها البحث عن ماهية الإنسان من مجرد معالجة أنطولوجيـــــــــة إلى محاولة لمعرفة المقاصد بصيغة ما يمكن و ينبغي قوله و فعله .

فرورتي بحسب جيفري ستوت Jeffrey Stout عبر إشتغالاته البراغماتية قد أمد الفلسفة الأمريكية خصوصا و الغربية عموما بعنصر المحادثة كفضاء لتفعيل الحلول ، كما استطاع أيضا أن يساهم في إخراج الفلسفة الأمريكية من سمة الضحالة التي طالما ألصقت بها على مستوى الإبداع الفلسفي .

لقد أمدت البراغماتية الجديدة الفلسفة بمصطلحات و صياغات ، أعطتها مرتبة الريادة أثناء محاولتها تقديم الجديد ، لدرجة تأكيد ريتشارد ريمانا Richard Rumana بإعطاء الأولوية لقراءة أسلوبها طالما أنها فلسفة تحتفي بالتضامن على حساب المعرفة [2].

لقد جسد رورتي التحول حينما سحب النقاش الذي دار حديثـــــا في فلسفة العلم لصالح الأدب و النقد باحثا في ذلك عن أوصاف و تعاملات جديدة ، و هو الأمر الذي

---

(1) Ted Honderich , **The Oxford Companion to Philosophy** , P 26 .

(1) Rumana Richard, **Richard Rorty : An Annotated Bibliography of Secondary Literature ,** Value Inquery Book Series , Amsterdam and New York , 2002 .P XIII .

جعل من حضور البراغماتية الجديدة في مجال الأدب و النقد مسألة واضحة وضرورية ، و هي في ذلك تتقاطع مع تفكيكية جاك دريدا في تجزيء البنى و الاهتمام بالهامش و المغيب ، و كذا مع مدارس التأويل أثناء استقصاء النصوص بدلالاتها الحاضرة ، ثم ربطها بسياقاتها المختلفة .

إن البراغماتية الجديدة لا تشير على مستوى الفهم و الممارسة إلى تيار يحوز أفراده على قناعات واحدة مضبوطة و محددة سلفا ، بل على العكس من ذلك تماما حيث يتعدى الأمر من السجالات و المناقشات الحاصلة بين البراغماتيين الجدد و الممثلين للأنماط المعرفية الأخرى ، إلى سجـــالات و حوارات تتـــــــم حتى مع المنتسبين للتيـــــــــار البراغماتي الجديد ، و هـــــو ما حصل فعلا كنقاش مستفيض و متجدد جمع ريتشارد رورتي و هيلاري بوتنام .

إذ ينتقـــــد بوتنام الموقــــــف العــــــام الذي يتبنــــاه رورتي من خــــلال تــــأكيد هذا الأخيــــر على أن الإصلاحات الفكرية التي يقـــــوم بهـــــا هي أشكـــــال جديدة وحيدة للكلام و الفعل و هو الأمر الذي يمكن أن يتبنى – حسب بوتنام – من طرف أي حركة فكرية بما في ذلك الحركات الفاشية المتعصبة [1].

إن انتقاد بوتنام لرورتي كان موجها أساسا للطابع اللاتأسيسي ، و إنكار الواقعية الميتافيزيقية [2].

فبوتنام رغم عودته إلى الأصول البراغماتية مثلما حدث مع رورتي إلا أنه ظل محافظا في كثير من الأحيان على سمة الصرامة رغم رفضه للطرح العلمي المسرف الذي أخذ

---

(1) Putnam Hilary , **Richard Rorty et le Relativisme** , In , **Lire Rorty, le pragmatisme et ses conséquences** , P 134 .
(2) Ibid , P 136 .

به كارناب [1] ، و هـــــــو الأمـــــــر الذي جعل منه يصف منطـــــــــــق روررتي في الاحتفاء بالأدبية و الشاعرية بالبلاغي الذي تكاد تختفي عنه العقلانية [2].

لقد أثرت الحوارات التي جمعت بين رورتي و بوتنام على الساحة الفلسفية المعاصرة ، في سياق تجاذبات تعود بالأساس إلى طبيعة التكوين المعرفي الذي يغلب عليه الطابع الرياضي عند بوتنام بمقابل حضور أدبي عند رورتي .

فبوتنام ظهر أكثر قبولا للميتافيزيقيا و أقل تحفظا لنظرية المعرفة بمقابل رورتي ، إذ تتمحور نظرته الأساسية في الحاجة المستمرة إلى إحداث التنوير عبر التركيز على جدارة الإنسان بالحقوق ، بالشكل الذي يسمو بالمعرفة الأخلاقية ، شريطة إحداث تغيير مزدوج داخل إطار تفاعلي بين التفكير الابستمولوجي و الأخلاقي [3].

لذلك يمكن اعتبار البراغماتية الجديدة صيغة مصغرة مجسدة لمفهوم المحادثة كما تصورها رورتي ، و هو الأمر الذي دفع به إلى تحيين و تعديل تفكيره من دون أن يضع القطيعة مع منطلقاته المعرفية الأولى في إشارة إلى ديوي خصوصا .

و يبقى المشروع البراغماتي الجديد في إطار التراكم و التبلور عبر النقاشات و السجالات المعرفية ، و هو ما يؤجل الحكم بالفاعلية الفلسفية و الاستمرارية المعرفية إلى المستقبل .

قد يبدو من التناقض القول بأن ريتشارد رورتي الذي سعى في مشروعه الفلسفي إلى تقويض دعائم الفلسفة التقليدية عبر طروحاتها الماهوية ، التأسيسية و التمثيلية ، و كذا تقليص مساحة التصور الأقنومي و الإكليروسي الذي طالما اتسمت به

---

(3) Rorty Richard , **L'espoir au Lieu du Savoir : Introduction au Pragmatisme** , P 40 .
(4) Mendieta Edwardo , **Interviews with Richard Rorty** , P 49 .
(5) Putnam Hilary , **Ethics Without Ontology** , Harvard University Press , 2 Edition , 2005 , P 05.

الفلسفة عبر نصوص الثنائيات و تنزيه الذات ، قد أنتج خطابات فلسفية أهلته ليكون فيلسوفا عالميا ذائع الصيت .

و على الرغم من اعترافنا مع دافيد هال (David Hall) بأن اعتبار رورتي الفيلسوف الأمريكي المعاصر الأكثر شهرة لا يعني بالضرورة أنه أكثر إقناعا .

و الواقع أن شهرته المعرفية تكمن أساسا في حضوره الفلسفي من خلال دوره في إحداث البعث أو الميلاد الجديد للبراغماتية و بالتالي إثارة النقاش حول مشروعه الفلسفي المعروف بالبراغماتية الجديدة .

و بغض النظر عن المثالب و النقائص المعرفية التي يحوزها أي مشروع معرفي باعتباره إنتاجا إنسانيا ، إلا أن رورتي ظهر رائدا و مبدعا فلسفيا و ذلك لأنه استطاع إحياء الفلسفة البراغماتية من خلال السعي لإبعاد سمة السطحية و الضحالة التي طالما وصفت بها ، كما أنه استطاع تخليص البراغماتية عبر مشروعه الفلسفي من نعوت الميكيافلية و القوة عن طريـــــــــق إحـــــــــداث الانفتاح و التواصل عبر النقاشات و الحـــــــــوارات مع عدد من التيـــــــارات و النزعات الفلسفية في إطار ما يسمى بالفلسفة القارية ، بالشكل الذي يغني به مشروعه الفلسفي الجديد .

لقد سعى رورتي إلى تمثل البراغماتية عبر إعادة قراءتها ضمن السياق المعاصر ، آخذا بعين الاعتبار التعقيدات المعرفية و التحولات التاريخية الحاصلة داخل الولايات المتحدة الأمريكية و خارجهـــــا ، مستفيدا من إرث جون ديوي (J. Dewey) خصوصا على مستوى المعرفـــــــة و السياسة و الاجتماع ، لصالح براغماتية جديدة تؤخذ على عاتقها مهمة التصديق و التعديـــــــل و الابتكـــــــــار ضمن إطار يلتزم – نظريا على الأقل – بحل المشاكل و النزاعات في سياق تداولي يعطي للمحادثة و قيم الشراكة أهمية بالغة ، و تكون فيه الأسبقية في شكلها البعدي المتجدد

للأصناف المعرفيـــــــة التي تلتـــــــزم بالكفـــــــاءة و الجـــــــودة و الإبداع على مستوى المفهوم و الفعل .

و الواقع أن الإجادة الفلسفية التي حققها و الظاهرة أساسا و بشكل أولي من تصفح البيليوغرافيا الصادرة عنه أو حوله ، و كذا من خلال إعطائه إشارة الانطلاق لفلسفة تنفي ذاتها باستمرار حين تفكك بناها ونصوصها ضمن إطار من التنويعات يحيل بدوره إلى تعددية في الأفهام ، و بالتالي إلى إنتاج المحادثة كحلقة حوارية تشاركية جامعة لمختلف أصناف المعرفة المتماشية مع الطروحات الديمقراطية في معناها الليبرالي .

هذه الإجادة لم تمنع الانتقادات العديدة التي وجهت لرورتي في إطار مشروعه البراغماتي الجديد سواء من خلال إعادة التأسيس عبر عنصر اللغة ، أو في تركيزه على السياق و التداول عبر اختزاله للمعايير إلى مجرد اتفاق ، و كذا في مفهومه للفلسفة و في نسبيته و طوباويته ، بالشكـــــــــل الذي بـــــدا من خلالـــــــــه بالنسبـــــــة لنقـــــــــاده حســــــب وصـــــــف ريتشــــارد برنشتـــــــــــاين (Richard Bernstein) " كالمؤمن الحقيقي الذي فقد إيمانه " .

لقد استطاع رورتي أن يضع لمشروعه الفلسفي مكانا على الرغم من التنوع المستفيض في الاتجاهات الفلسفية ، و مرد ذلك بالأساس إلى جملة الإضافات التي أبرزها من خلال حواراته و تقاطعاته المعرفية مع التأويليين و البنيويين الجدد .

إن رورتي في استعماله لشبكة تقويم ثقافية يغلب عليها طابع الجدة ، من خلال إقراره بحركة اللاتعيين و إزالة الوحدات المركزية الثابتة ، قد عمد إلى تأكيد حضور مشروع فلسفي يعلن على خلخلة المفاهيم التأسيسية من خلال الدعوة إلى الابتعاد عن التفكير انطلاقا من تيارات معرفية ثابتة تمد الفيلسوف بالإجابة و الموقف ، و بالتالي

إعلان الرغبة في إخراج الفلسفـــــــة من أزمتها الأساسيـــــــة التي كانت تتمحور في دائرة أن تكون الأشياء هكذا أو ألا تكون .

و لعل أهم ملامح الجدة و التي شكلت الملامح العامة لفلسفة رورتي حسب دافيد هال في كتابه عن نيوبراغماتية رورتي تكمن في عودته الدائمة إلى الميتافلسفة ، و كذا إلى التركيز على الوعي الفردي ، إضافة إلى الاهتمام بوضعية التضامن الاجتماعي في إطار التأكيد على البعد الإنساني .

زيادة على ذلك ، فقد أعلن رورتي في مشروعه الفلسفي أن البطل الثقافي لما بعد الحداثة هو الشاعر ، كما أكد على أن الرواية كانت أكثر تأثيرا من الفلسفة في إحداث التحولات مساندا في ذلك قولة غادامار الشهيرة في " أن نجوم الروائيين قد غلبت أضواء الفلاسفة " ، إضافة إلى اعتباره للإنسان بأنه مبدع للحقيقة أكثر من مكتشف لها .

كما يتضح أسلوب الجدة عند رورتي في طبيعة الكتابة الفلسفية ذاتها بالشكل الذي يبرز فيه الانعطاف عن الكتابات الأولى التي كانت موجهة أساسا للتحليليين ، و هو التحول الذي ظهر أيضا على مستوى القناعات الفكرية من خلال تعزيز المنطق الليبرالي على حساب القناعات التروتسكية الأولى .

و على الرغم من تأكيد رورتي في مشروعه البراغماتي الجديد على مفصلية اللغة ، إلا أن الاشتغالات التقنية الأولى تخرج عن سيـــــــاق مشروعه الجديد دون أن يعني ذلك انتفاءها بالكامل ، إذ وحسب قراءة جيرالد دولودال (G . Deledalle) فإن البراغماتية الجديدة عند رورتي تحوز على بعدين أساسيين : الأول منطق لغوي يظهر بشكل خافت من خلال ترسبات الثقافة المجترحة في إطار الفلسفة التحليلية ، و الثاني اجتماعي أمدته

البراغماتية في حدود البعد الحركي المعبر عنه في فلسفة وليم جيمس و جون ديوي على وجه الخصوص ، و كذا من خلال الانفتاح على أطروحتي السياق و التداول .

كما ينبغي الإشارة إلى أن رورتي يرى في مشروعه الجديد إحالة للديمقراطية في بعدها الإنساني الصادر من لدن المواطنين الأحرار ، الذين يسيرون أمورهم في إطار المحادثة بمعناها الليبرالي بعيدا عن تأثير كل سلطة مفارقة للإرادة البشرية .

و في هذا الإطار فإن رورتي يعطي للديمقراطية الأسبقية على الفلسفة من منطلق أن الاختلافات الفلسفية لا تقف حائلا أمام إمكانية التفاهم السياسي .

و هي المسألة التي أراد من خلالها درء تقييد الطرح الفلسفي في إطاره النظري التأملي مثلما ما اتجهت إلى ذلك المدونات الفلسفية المعبرة عن الأنساق الفلسفية الكبرى .

إن سعي إبراز عنصر التماهي بين البراغماتية و الديمقراطية هو محاولة من رورتي للابتعاد عن التأصيل أو التأسيس النظري بمقابل البحث عن إمكانات التجسيد ، يبرز ذلك من خلال القضايا الفلسفية التي تناول فيـــــها المسائل الفعليـــــة المرتبطة بحيـــــــاة الأفراد كحقـــــــــوق الإنسان و التسامح و العدالة .

بقي أن نقول ، بأن تجربة رورتي الفلسفية من خلال مشروعه البراغماتي الجديد قد استطاعت أن تعيد الاعتبار للفلسفة الأمريكية و تساهم بانخراطها ضمن الإطار الإنساني على مستوى الفهم أولا ، و ذلك بالنظـــــــر إلى طبيعة الحوادث الحاصلة قي الفضاء العالمي أساسا ، و التي تجعل من التفاؤل بالمستقبل – وفق الوجهة التي كان ينظر لها رورتي – أمرا يصعب بلوغه على الرغم من دعوة رورتي إلى الاستفادة من الأخطاء و التجارب الفاشلة .

كما أن توقع رورتي في أن يعيش أحفاده في جو من الحب و الطمأنينة لا يعدو كونه رجاء يتوقف على الرغبة الجماعية للبشر خصوصا أولئك الذين يحوزون القوة ، و هي الدعوة التي يمكن أن تتجسد من خلال طرح مغاير تنفتح فيه الحضارات على اختلافها ، و تتظافر فيه كل الجهود البشرية دون استثناء كأمل اجتماعي عام يرنو إلى تحقيق تضامن إنساني فعال ...

أخيرا ، إن عملـــــي هذا محاولة أردت من خلاله الحرص على الإحاطـــــــــة و العمـــــــق في الفهم ، و تحـــــــــري البساطة و الوضوح في الطرح ، مع توخي الجديـــــــة في الاستقصاء و الدقة في التحليل و الابتعاد عن الإسهاب و الإطناب على مستوى القول .

و ذلك بغية تشكيـــــــــل دراسة أنأى بها عن السطحية و الضحالة ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

إن تم ذلك فبعون من الله ، و إن لم يحدث فعذري أنني اجتهدت ، و من اجتهد و أخطأ فله أجر ....

قائمـــــــة المصادر و المراجــــع

أولا: المصادر

أ- بالإنجليزية:

1- Rorty Richard	**Achieving Our Country** , Harvard University Press , USA , First Publishing , 1999 .
2- Rorty Richard	**Contingency , Irony and Solidarity ,** Cambridge University Press , UK , First Publishing , 1989 .
3- Rorty Richard	**Objectivity , Relativism and Truth , philosophical paper ,** Cambridge University Press , USA , 14 edition , 2005 .
4- Rorty Richard	**Philosophy and Social Hope ,** Penguin Books , London , First publishing , 1999.
5- Rorty Richard	**Philosophy and Cultural Politics ,** Cambridge University Press , UK , First Publishing , 2007 .
6- Rorty Richard (edited by)	**The Linguistic Turn ,** The University of Chicago Press , Chicago and London , Second Edition , 1968.
7- Rorty Richard	**Truth and Progress ,** Cambridge University Press , USA , Second Edition , 1999.

ب – بالفرنسية:

8- Rorty Richard **Conséquences du Pragmatisme** , Tr Cometti Jean Pierre , Edition du Seuil , France , 1993 .

9- Rorty Richard **Essais sur Heidegger et Autre Ecrits ,** PUF ? 1 Edition , 1995.

10- Rorty Richard **L'homme Spéculaire** , Tr Marchaisse Thiery , Edition du Seuil , France , 1 Edition , 1990 .

11-Rorty Richard **L'espoir au Lieu du Savoir : Introduction au Pragmatism** , Claudine Cowen et Jacque Poulin , Edition Albin Michel , Paris , 1995 .

ثانيا: المراجع

أ- بالإنجليزية:

12- Anscombe G.E.M **An introduction to wittgenstein's tractatus,** the university of Chicago press, U.S.A, second edition, 1979.

13- Bacon Michel **Richard Rorty : Pragmatism and Political Liberalism ,** Edition of Wington Book , USA , 2007.

14- Bahm Archie **Comparative philosophy**, World Books , Lascowas , USA , 2 edition , 1995 .

15- Blau L . Joseph **Men and Movements in American Philosophy** , prentice – hall philosophy Seris , USA , Ninth printing , 1966 .

16- Brandom Robert **Rorty and his critics ,** Black Well publisher , UK , 2001.

17- Calder Gideon **Rorty and Redescription ,** edition of Weidenfeld and Nicolson , London , First published , 2003 .

18- Copleston Frederick **A History of philosophy, Greece and Rome**, volume

I part II, Image books edition, New York, 1962.

19- Critchley Simon — **Continental philosophy ,** Oxford University press , UK , First publishing , 2007 .

20- Fastenstein Mathew and Simon Thompson — **Richard Rorty critical dialogues ,** Black Well publishers , London , 1 published , 2001 .

21- Francioni Francesco — **Access to justice as Human Right ,** Oxford University press , UK , First published , 2007 .

22- Gehlman John and Bronman Rixes Mary — **Adventures in American literature ,** Hard-court Brace and World edition , New York , 1952 .

23- Grippe Edward — **Richard Rorty's New Pragmatism : neither liberal nor free ,** continun studies in America philosophy , USA , First published , 2007 .

24- Guttemplan Samuel — **The languages of logic,** Black well publishers, U.K, second edition, 2002.

25- Guignon Charles , Heley David — **Richard Rorty ,** Cambridge University press , First published , 2003 .

26- Hall David — **Richard Rorty , Prophet and Poet of the New pragmatism ,** edition of State University of New York , USA , 1994 .

27- Halles Steven — **Relativism and Foundation of Philosophy ,** Edition Abradford book , London , 2006 .

28- Hardwick Charley and Donald Crosby — **Pragmatism , Neo – Pragmatism and Religion ,** Peter lang publishing , New York , First edition , 1997 .

29- Herman j , Saatkamp jr — **Rorty and Pragmatism : The philosopher Responds to his critics ,** Vanderbilt University press , Nashville and London , First edition , 1995 .

30- James William — **Pragmatism ,** Dover philosophical classics **,** New York , First published , 1995 .

31- James William — **Pragmatism and the meaning of truth ,** Harvard University press , USA , 7 printing , 1944 .

32- Kalendo Ronstentin — **Rorty humanistic pragmatism : philosophy democratized ,** Edition of University of south Florida , USA , 1990.

33- Kweik Mark — **Elective Affinities : Richard Rorty and postmodern thought ,** scientific publishers of the Department of philosophy of Pozman University , Poland , 1996 .

34- Lamot Corliss — **The philosophy of Humanism ,** Eright Edition , Humanist press , New York , 1997 .

35- Luedtke . S . Luther — **A Reader's guide to Meking America : The Society and Culture of the United Stated ,** United States information Agency , Washington , 2 published , 1990 .

36- Malochowski Alan — **Richard Rorty ,** Acumen publishing limited , UK , First published , 2002 .

37- Mc groth E Alister — **Christian Theology : An Introduction ,** Black Well publishing , UK , Third edition , 2003 .

38- Menand Louis — **Pragmatism ,**Areader , Vintage books , New York **,** First edition , 1997 .

39-Mendieta Edwardo — **The Care of Freedom and Truth will take care of it Self ,** interviews with Richard Rorty , Stanford University press , California , 2006.

40- Nisbet Robert — **The Social philosophers ,** weshington Square press publication , New York , 1983 .

41- O' Callaghan Bryn — **An Illustrated History of the USA ,** Longman , UK , 2 published , 1992 .

42- O' toole James — **Greating The good life : How to apply the Wisdon of Aristoth ,** Rodal International LTd , London , First published , 2005 .

43- Paine Tomas — **Common Sense ,** Dover thrift Editions , New York , W . Y .

44- Pettegrew John — **A Pragmatist's Progress : Richard Rorty and American Intellectual history ,** Row man and

(Edited by)	Littlefield publishers , Mary land , USA , 2000.
45- Putnam Hilary	**Ethics Without Ontology** , Harvard University Press , 2 Edition , 2005 .
46- Radhakrishnan Sarvepalli	**History of Philosophy Eastern and Western ,** Bradford and Dickens Drayton house , UK , 2 edition , 1957 .
47- Rajchman John (Edited by)	**Post – Analytic Philosophy** , Columbia University Press , U.S.A , 1985.
48- Rumana Richard	**Richard Rorty : An Annotated Bibliography of Secondary Literature ,** Value Inquery Book Series , Amesterdam and New York , 2002 .
49- Russell Bertrand	**History of Western Philosophy ,** Unwin University Books , UK , 8 Edition , 1962 .
50- Sheppard Anne	**Aesthetics : An Introduction to the Philosophy of Art** , Oxford University Press , UK , 2 Published , 1989 .
51- Shusterman Richard	**Practicing Philosophy : Pragmatism and the Philosophical Life** , Routledje Edition , New York and London , 1 Edition , 1997 .
52-Tarnas Richard	**The Passion of the Western Mind ,** Ballantine Books , New York , 1 Edition , 1993.
53- Tartagilie James	**Guide Book in Rorty Mirror of Nature ,** Edition of Routelje philosophy , USA, 1 published , 2007 .
54- Thomson David	**Political Ideas** , Penguin Books , UK , 1985 .
55- Thoreau Henry David	**Civil Disobedience** , Flit Editions Media , Alger , 1 Published , 2009 .
56- Warren E Burger (Edited by)	**The Constitution of the United States ,** edition of Jackson place , Washington , 1991 .
57- Wellek Rene and	**Theory of literature ,** Penguin Books , UK , 3 Edition , 1985 .

Werren Austin

58- Williams Bernard — **Ethics and the limits of Philosophy ,** Fontana paperbacks , London , 1 Published , 1985 .

59- Williams Raymond — **Culture and Society ,** Penguin Books , UK , 3 Edition ,UK , 1985 .

ب – بالفرنسية:

60- Bouveresse Jacques et autre — **Lire Rorty, le Pragmatisme et ses Conséquences** , éditions de L'éclat , Paris , 1992 .

61- Chomsky Noam — **Les dessous de la politique de l'Oncle Sam,**les éditions El Hikma , Alger , 2000.

62- Cotten Jean Pierre — **Heidegger , écrivains de toujours ,** éditions du seuil, Paris, 1974.

63- De camp sprague et De camp Catherine — **L'Histoire de la Science Américaine ,** édition Nouveaux Horizons , Paris, 1970.

64- Deledalle Gerard — **La philosophie Américain ,** édition l'age d'homme , Suisse , De Bveck wesmael , Belgique , 2 édition, 1990.

65- De Tocqueville Alexis — **De la Démocratie en Amérique ,** Tome II**,** ENAG Edition ,Reghaia , Algérie , 2 édition , 1991.

66- Ducat Philippe — **Le langage,** édition ellipses, paris, 1995.

67- Dumoulie Camille — **Littérature et philosophie ,** éd Armand colin, Paris,1 édition , 2002.

68- Farber Marvin — **L'activité Philosophique Contemporaine en France et aux Etats – Unis ,** P.V.F , 1950 .

69- Frege Gottlob — **Écrits Logiques et Philosophiques,** Tr : Claude

Imbert, édition du seuil, Paris, 1971.

70-Gadamer Hans - George **Vérité et Méthode , Les grands lignes d'une herméneutique philosophique ,** Edition intégrale revue et complète par Pierre Fruchon Jean Grondin , et grale Gilbert Marlio, Paris , édition du Seuil , 1996.

71- Gaillard Francoise (sous la derection) **La Modernité en Question , De Richard Rorty à Jurgen Habermas ,** Les édition du Cerf , Paris, 2006.

72- Gauchotte Pierre **Le Pragmatism ,** press Universitaire de France , Paris,1 édition , 1992.

73- Grillo Eric **La philosophie du langage,** édition du seuil, France, 1997.

74- Hottoi Gilbert **De la Renaissance à la Postmodernité – une Histoire de la Philosophie Moderne et Contemporaine ,** édition de Boeck Université , France , 3 édition , 2002.

75- Hutin Serge **La Philosophie Anglaise et Américaine ,** P.U.F, Paris , 3 édition, 1971.

76- James William **Le Pragmatisme , ,** Tr : E . le Brun , édition Flammarion, Paris, 1968 .

77- Kant Emmanuel **Critique de la Raison pratique ,** Tr : Picavet François , P.U.F ,5 Edition , 1966.

78- Katz Jerrold . J **La Philosophie du Langage,** Tr, janick gazio, payot, paris, 1971.

79- Leroux Emmanuel, Leroy André **La Philosophie Anglaise Classique,** Edition Armand colin, paris, 1951.

80 - Lyotar Jean – Francois **La Phénoménologie ,** P.U.F , France , 1961

81- Mantoy Jacques **Précis d'Histoire de la philosophie ,** Les édition De l'école , Paris**.**

82- Pages Robert **Le Langage,** édition classiques Hachette, paris, 1959.

83- Rajchman John et cornel west **La Pensée Américaine Contemporaine ,** Tr : Andrée Lyotard – May , P.U.F, 1ère édition, 1991.

84- Rawls John — **Théorie de la justice ,** traduit par Catherine Audard , Edition du Seuil , France , 1993.

85- Reck j . Andrew — **William James ,** édition Seghers , Paris , 1967 .

86- Rossi Jean-Gerard — **La Philosophie Analytique,** P.U.F, 1993.

87- Russ Jacqueline — **Histoire de la Philosophie de Socrate à Foucault,** édition Hatier , Paris , 1985 .

88- Sapir Edward — **Le Langage,** Trd :S.M.Guillemin, payot, paris, 1967.

89- Searle John .R — **Les Actes de Langage, Essai de philosophie du langage** Préface : Oswald Ducrot**,** édition HERMANN, paris, 1996.

90- Vox Louis — **L'emprisme logique,** P.U.E, paris, 1970.

91- Wittgenstein Ludwing — **Investigation Philosophiques ,** Tr : Pierre Klossowski , Edition Gallimard , France , 1961 .

جـــ - بالعربية :

92- إبراهيم وفـــــــاء — **الفلسفة و الشعر ، الوعي : بين المفهوم و الصورة ،** دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، ط ، د ت .

93- أبو السعود عطيات — **الحصاد الفلسفي للقرن العشرين** ، مطبعة منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2002.

94- أبو جابر فايز صالح — **الفكر السياسي الحديث** ، دار الجيل ، بيروت و مكتبة المحتسب عمان ، 1985.

95 - الأهواني أحمد فؤاد — **جون ديوي** ، سلسلة نوابغ الفكر الغربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، 1986 .

96- البيطار نديم — **فكرة المجتمع الجديد** ، بيسان للنشر و التوزيع و الإعلام ،

بيروت، 2000 .
97- الزين محمد شوقي **تأويلات و تفكيكات : فصول في الفكر الغربي المعاصر** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت و الدار البيضاء ، ط 1، 2002.
98- الشنيطي محمد فتحي **وليم جيمس** ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ط 1 ، 1975.
99- الصايغ نوال الصراف **المرجع في الفكر الفلسفي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1983.

100- العشماوي محمد سعيد **روح العدالة** ، دار اقرأ ، بيروت ، ط3، 1986.
101- الفندي محمد ثابت **مع الفيلسوف** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980.
102- الكحلاني حسن **الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر** ، مكتبة مدبولي القاهرة ، 2004 .
103- الواد حسين **شيء من الأدب و اللغة** ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1 ،2004 .
104 - بارة عبد الغني **الهرمينوطيقا و الفلسفة : نحو مشروع عقل تأويلي** ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط 1 ، 2008 .
105- بدوي عبد الرحمان **فلسفة العصور الوسطى** ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ، بيروت ، ط 3 ، 1979.
106- بشتة عبد القادر **النسبية بين العلم و الفلسفة** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت و الدار البيضاء ، ط 1 ، 2002 .
107- تشومسكي نعوم و آخرون **العولمة و الإرهاب : حرب أمريكا على العالم** ، تر : حمزة المزيني ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط 1 ، 2003 .
108- جديدي محمد **الحداثة و مابعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي** ، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، مطابع الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط 1 ، 2008 .
109- جديدي محمد **فلسفة الخبرة : جون ديوي نموذجا** ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2004 .
110- جعفر عبد الوهاب **الفلسفة و اللغة** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، مصر ، ط 2 ، 2004 .

111- حرب علي **الممنوع و الممتنع : نقد الذات المفكرة** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت و الدار البيضاء ، ط 4 ، 2005 .

112- حرب علي **أوهام النخبة أو نقد المثقف** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت و الدار البيضاء ، ط 3 ، 2004 .

113- ديوي جون **المدرسة و المجتمع** ، تر : أحمد حسين الرحيم ، دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 2 ، 1975 .

114- ديوي جون **جيفرسون،** تر: عبد الحميد يوسف ، دار الفكر العربي ، د.ط ،1961.

115- رشوان محمد مهران **دراسات في فلسفة اللغة،** دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، الكويت، 1998.

116- ريكور بول **محاضرات في الإيديولوجيا و اليوتوبيا ،** تحرير و تقديم : جورج تايلور ، تر : فلاح رحيم ، دار الكتاب الجديد بيروت ، 2002 .

117- زيدان محمود فهمي **في فلسفة اللغة ،** دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985.

118- ستيس وولتـــر **تاريخ الفلسفة اليونانية،** تر، مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1984.

119- شنيدر هربرت **تاريخ الفلسفة الأمريكية** ، تر : محمد فتحي الشنيطي ، مكتبة النهضة العصرية ، مصر ، 1964 .

120- صفدي مطاع **نقد العقل الغربي ، الحداثة ما بعد الحداثة ،** مركز الإنماء القومي ، بيروت 1990.

121- صلاح رزق **أدبية النص** ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 2 ، 2001 .

122- طاهر علاء **الخوف من الكتابة : الحياة و التجربة الكتابية** ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، 2003 .

123- عباس إحسان **فن الشعر،** دار صادر ، بيروت ، دار الشروق ، عمان ، ط 1 ، 1996 .

124- عبد اللطيف أميمة **المحافظون الجدد : قراءة في خرائط الفكر و الحركة** ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط 1 ، 2003.

125- علي حسين **العلم و الإيديولوجيا بين الاطلاق و النسبية** ، منشورات مؤتمر العام الخامس عشر للجمعية الفلسفية المصرية ، القاهرة ، د .ط

،2005 .

126- عناية محمد جلال **الفكر السياسي في أمريكا** ، مطابع مصر ، القاهرة ، ط 1 ، 2004 .

127- قارة نبيهـــــــة **الفلسفة و التأويل** ، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ، ط 1 ، 1998 .

128- قنصوه ياســـر **الليبرالية : إشكالية مفهـــوم** ، دار قباء للنشر و التوزيع ،القاهرة ، د . ط ، 2004 .

129- كارناب رودولف و آخرون **كيف يرى الوضعيون الفلسفة** ، تر : نجيب الحصادي ، دار الجماهرية للنشر و التوزيع و الإعلان ، دار الأفاق الجديدة ، طرابلس ، ط 1 ، 1994 .

130- كاز بيتر و آخرون **تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200 عام** ، تر : حسن نصار ، مكتبة أنجلو مصرية ، ب . ت.

131 - كيسيديس ثيوكــاريس **سقراط**، تر، طلال السهيل، دار الفارابي، ط1 ،1987.

132- ماركيه جان فرونسوا **مرايا الهوية : الأدب المسكون بالفلسفة** ، تر : كميل داغر ، مر : لطيف زيتوني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 2005 .

133- محمود زكي نجيب **حياة الفكر في العالم الجديد** ، دار الشروق ، بيروت و القاهرة ، ط 2 ، 1982 .

134- محمود زكي نجيب **دافيد هيوم** ، دار المعارف ، مصر ، 1958 .

135- محمود زكي نجيب **نظرية المعرفة** ، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة ، د . ت .

136- مورتن وايت **عصر التحليل : فلاسفة القــرن العشرين** ، تـر: أديب شمس ، مطبوعات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1975

137 - وارنر دانيال **السياسة الخارجية الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة** ، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية ، د .ط ، د. ت .

138 – وعزيز الطاهر **المناهج الفلسفية** ، مطابع المــركز الثقـافي العربي ، بيروت و الدار البيضاء ، ط 1 ، 1990 .

<u>ثالثا:</u> المقالات

أ- بالإنجليزية:

139- Muller Jerry **The Future of Capitalism ,** in , Dialogue Magazine , Washington , Number 85 , 1989 .

ب- بالعربية:

140- جديدي محمد **تصور الآخر في البناء الاجتماعي : رؤية الفيلسوف ريتشارد رورتي** ، مجلة أيس ، فلسفية نصف سنوية ، تحت إشراف : نعيمة حاج عبد الرحمان ، مؤسسة الأخبار للصحافة ،الجزائر، العدد 02 ، السداسي الأول ، 2007 .

141- نصار نصيف و آخرون **في نقد الليبرالية كما يتخيلها رورتي** ، ملف خاص بريتشارد رورتي ، مجلة أوراق فلسفية ، تحت إشراف : أحمد عبد الحليم عطية ، جامعة القاهرة ، العدد 25 ، 2009 .

<u>رابعا:</u> المعاجم و القواميس

أ- بالإنجليزية:

142- Gray Martin — **A Dictionary of the Literary Terms ,** Longman York Press, Beirut , 2 Edition , 1988 **.**

143- Horderich Ted — **The Oxford Companion to Philosophy ,** Oxford University Press , UK , 2 edition , 2005 .

144 – Winner p Philip — **The Dictionary of the History of Ideas** , Charles Scibner's sons publishers , New York , 1973 .

ب – بالفرنسية:

145 -Baraquin Noella et autres — **Dictionnaires de Philosophie ,** Armand colin , Paris , 2 Édition , 2000 .

146- Cuvillier Armand — **Nouveau vocabulaire philosophique,** ed, Armand colin (F.r.c), 1956.

147 - Ducrot Oswald, Todrov Tzveten, — **Dictionnaire Encyclopédique des Sciences du Langage,** éd Seuil (F.r.c), 1972.

148-Julia Didier — **Dictionnaire de la Philosophie** , Librairie Larousse , Paris , 1977 .

149- Lalande André — **Vocabulaire Technique et Critique de la Philosophie,** presses Universitaires de France, 16 édition, 1988.

جـــ – بالعربية:

150- محمود زكي نجيب (تحت إشراف) — **الموسوعة الفلسفية المختصرة** ، تر: فؤاد كامل و آخرون ، دار القلم ، بيروت ، ب . ت .

المحتويـــــات